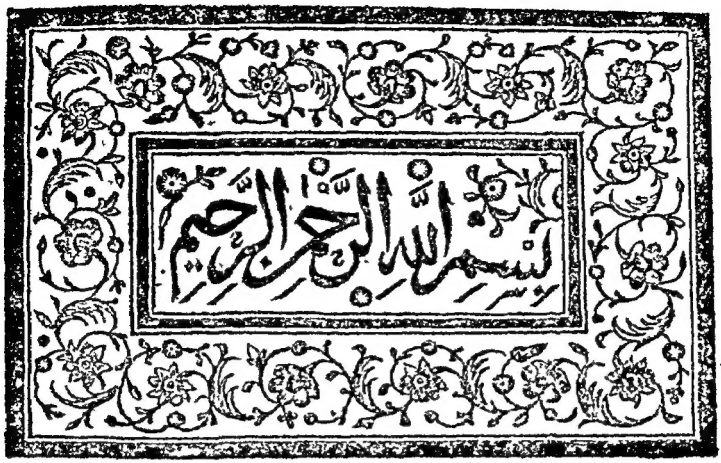

الحمد لله الذي طوى منوال ارادته وتدبيره تنسج مقاطع الامور*
ومن ينبوع قضائه الى لجج قدره يجري تيار الاعاصير والدهور* اذاق
بعض بني آدم بأس بعض ليبلوهم ايهم احسن عملا وهو العزيز الغفور*
وارسل عليهم في القرن الثامن من الهجرة بحار فتن اقبلت كقطع من
الليل المظلم لم ير راجل ماهي فاذا هي تمور* احمده حمد من كان
طي شفا حفرة من نارها فانقذه منها* واشكره شكر من ورطه فيها
عدوه فانجته ايادي فضله عنها* واشهد ان لا اله الا الله الحكم
العدل* الذي يقتص للمظلوم من الظالم يوم الفصل* واشهد ان
سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي ارسله رحمة للعالمين* وجعله رسول

18338

الله وخاتم النبيين * فاخبر صلى الله عليه وسلم عن السر المصون *
ونبأ بما كان في الازل وبما يكون الى يوم يبعثون * واستعاذ من غلبة
الدين وقهر الرجال * ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح
الدجال صلى الله عليه صلوة تذكي المسك الاذفر في صدور
الكتب والتواريخ * وتدني لقائلها في دار الجزاء ثمرات الحسنات
من اطيب الثمار يخ * وعلى آله واصحابه الذين افاضوا سيول
الفتح في الاقاليم فعمروها * وشيدوا اركان الاسلام فاثاروا الارض
بالايمان وعمروها بالعدل والاحسان اكثر مما عمروها * وسلم
تسليما غزيرا * دائما ابدا كثيرا * اما بعد فلما كان في التواريخ
عبرة لمن اعتبر * وتنبيه لمن افتكر * واعلام بان قاطن الدنيا على
سفر * واحضار لصورة من مضى وغبر * كيف قدر واقتدر * ونهى
وامر * وبنى وعمر * وخذل وختر * وغلب وقهر * وكسر وجبر *
وجمع وادخر * وتكبر وفخر * وكيف عبس وبسر * وضحك واستبشر
* وتقلب في اطواره من الطفولية الى الكبر * الى ان قلبته ايدي
الغير * واختطفته وهو آمن مما يكون مخالب القضاء والقدر * فحالط

ما صفا من عيشه الكدر * وتنغص حتى ذهب عنه ما حلا ومر * ان في ذلك لعبرة لمن اعتبر * وتذكرة لمن ادكر * وتبصرة لمن استبصر * وكان من اعجب القضايا * بل من اعظم البلايا * الفتنة التي يحار فيها اللبيب * ويدهش في دجى جنسها القطن الاريب * ويسفه فيها الحليم * ويذل فيها العزيز ويهان الكريم * قصة تيمور رأس الفساق * الاعرج الدجال الذي اقام الفتنة شرقا وغربا على ساق * اقبلت الدنيا الدنية عليه فتولى وسعى في الارض فاسد فيها واهلك الحرث والنسل * وتيمم حين عمته النجاسة صعيد الارض فغسل بسيف الطغيان كل اغر محجل فتحققت نجاسته بهذا الغسل * اردت ان اذكر منها ما رأيته * واقص في ذلك ما رويته * اذ كانت احدى الكبر * وام العبر * والداهية التي لا يرضى القضاء في وصفها بالقدر * والله اسأله الهام الصدق * وسلوك طريق الحق * انه ولي الاجابة * ومسدد سهم المرام الى غرض الاصابة * وهو حسبي ونعم الوكيل *

* فصل في ذكر نسبه وتدريج استيلائه على الممالك وسببه *

هو تيمور بتاء مكسورة مثناة فوقا وياء ساكنة مثناة تحتا وواو

ساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة هذه طريقة املائه وفي التصريف
زنة بنائه لكن كرة الالفاظ الاعجمية * اذ اتى اولها صولجان اللغة
العربية * خرطها في الدوران على بناء اوزانها * ودحرجها كيف
شاء في مبدان لسانها * فقالوا في هذا القارة تمورا خرط تمرلنك *
ولم يجر عليهم في ذلك حرج ولا ضنك * وهو بالتركي الحديد بن
تمرغاى بن ابغاى ومسقط رأس ذلك الغدار * قرية تسمى خواجة ايلغار *
وهي من اعمال الكس * فابعدها الله من الحس * والكس مدينة
من مدن ماوراء النهر * عن سمرقند نحو من ثلث عشر شهرا * قيل رئي
ليلة ولد كان شيئا شبيه الجوزة ترا آى طائرا في عنان الجو * ثم سقط الى
فضاء الدو * ثم انبث على الارض وانتشر * وتطاير منه مثل
الجمر والشرر * وترا كم حتى ملأ البدو والحضر * وقيل لما
سقط الى الارض ذلك السقط * كانت كفاه مملوتين من الدم
العبيط * فسألوا عن احواله الزواجر والقافه * وتفحصوا
عن تأويل ذلك من الكهنة واهل العيافه * فقال بعضهم يكون
شرطيا * وقال بعض ينشأ لصا حراميا * وقال قوم بل قصابا سفاكا *

وقال آخرون بل يصير جلادا بتاكا * وتظافرت هذه الاقوال *
الى ان آل امره الى ما آل * وكان هو وابوه من الفدادين *
ومن طائفة اوشاب لا عقل لهم ولا دين * وقيل كانا من الحشم
الرجاله * والاوباش البطاله * وكانت ما وراء النهر ماءهم *
وتلك الضواحي مشتاهم * وقيل كان ابوه اسكافا بقيرا جلدا * وكان
هو شابا حديدا جلدا * ولكنه لما كان به من القلة يتبرم *
وبسبب تلك الاجرام يتضرر ويتضرم * ففي بعض الليالي سرق
غنمة واحتملها * فضربه الراعي في كتفه بسهم فابطلها * وثنى عليه
بآخر في فخذه فاخطلها * فازداد كسرا على فقره * ولؤما على شره *
ورغبة في الفساد * وحنقا على العباد والبلاد * وطلب له في ذلك
الاضراب والنظراء * وعشي عن ذكر الرحمن فقيض له من الشياطين
القرناء * مثل عباس وجهان شاه * وقماري وسليمان شاه *
وايلكوتيمور وجاكو وسيف الدين نحوا ربعين * لا دنيا لهم ولا
دين * وكان مع ضيق يده * وقلة عدده وعدده * وضعف يده
وحاله * وعدم ماله وزجاله * يذكرهم انه طالب الملك * ومورد

مُلُوكِ الدُّنيا مَوارِدَ الهُلك * وهُم فى ذٰلِكَ يتناقلون عنه هٰذا النقل *
وينسبونه الى كثرة الحماقة وقلة العقل * ويدونونه منهم ويقبلون
اليه * ليسخروا منه ويضحكوا عليه

* شعر *

إنَّ المقادير اذا اساعدت * ألقت العاجز بالحازم
فشرع فيما يقصده * والقضاء يرشك والقدر ينشك *

* شعر *

لا يؤيسنك من مجدٍ تباعده * فانَّ للمجد تدريجًا وترتيبا
إنَّ القناة التي شاهدت رفعتها * تنمو فتنبت انبوبًا فانبوبا

وكان فى بلد الكس شيخ يسمى شمس الدين الفاخوري وهو معتقد تلك
البلاد * وعليه لكل من قصد شيأً من امر الدين والدنيا الاعتماد *
فذكر ان تيمور وهو فقير عاجز * بين عزموهوم وذل ناجز * لم يكن
له سوى ثوب قطني وانه باعه واشترى بثمنه رأس ماعز * وقصد به
الشيخ المشار اليه * وعول فيما قصده عليه * وقد ربط بطرف حبل
عنق ذلك العناق * وربق عنق نفسه بالطرف الاخر من ذلك الرباق *

وجعل يتشحط على عصا من جريد * حتى دخل على ذلك الشيخ
المفيد * فصادفه وهو والفقراء مشغولون بالذكر * مستغرقون فيما هم
فيه من الوجد والفكر * فلا زال قائما حتى افاقوا من حالهم * وسكتوا
عن قالهم * فلما وقع نظر الشيخ عليه * سارع الى تقبيل يديه * وأكب
على رجليه * فتفكر الشيخ ساعة * ثم رفع رأسه الى الجماعة * وقال
كأن هذا الرجل بذل عرضه وعروضه * واستدنا في طلب مالا
يساوي عند الله تعالى جناح بعوضه * فنرى ان نمده ولا نحرمه
ولا نرده * فامدوه بالدعاء اسعافا لما طلبه * فاشبهت قضيته قضية
ثعلبه * ورجع من عند الشيخ وخرج * وعرج بعد ما عرج الى
ما عرج * وقيل انه كان في بعض تحرماته فضل الطريق صورة *
كما ضلها معنى وسيرة * وكاد يهلك عطشا وجوعا * وسار على ذلك
اسبوعا * فوقع في اثناء ذلك على خيل السلطان * فتلقاه الجشار
باللطف والاحسان * وكان تيمور ممن يعرف خصائص الخيل بسماتها *
ويفرق بين هجانها وهجينها بمجرد النظر الى هياتها * فاطلع الجشار
على ذلك منه * واخذ علم ذلك عنه * وزاد فيه رغبه * وطلب منه

ذوام الصحبة * وجهزه الى السلطان مع افراس طلبها منه * واخبره
بفضيلته وما شاهده عنه * فانعم السلطان عليه * ورضي به الجشار
وردّه اليه * فلم ينشب الجشار ان مات فتولى تبمور وظيفته * ولا يزال
يترقى عند السلطان حتى تزوج شقيقته * ثم انه غاضبها في بعض
مكافحته ومقاله * فغيرته بما كان عليه من اول امره وحاله * فسل
السيف ونحاها على انها تفر من بين يديه * فلم تكترث به ولم تلتفت
اليه * فضربها ضربة ازهق بها نفسها * واسكنها رمسها * ثم لم يسعه
الا الخروج والعصيان * والتمرد والطغيان * الى ان كان من
امره ما كان * وكان السلطان اسمه حسين * وهو من بيت الملك
وذا فق الكلمتين * وتحت ملكه مدينة بلخ وهي من اقصى بلاد
خراسان * بل كانت بحاره وامره جارية في مما لاك ما وراء النهر
الى اطراف تركستان * وقيل كان ابوه امير مائة عند السلطان
المذكور * وهو با لجلادة والشهامة بين اقرانه مشهور * ويمكن
الجمع بين هذه الاقاويل باعتبار اختلاف الزمان * وتنقل
الاحوال والاحداث * والاصح ان اباه ترغاي المذكور كان

احد اركان دولة السلطان * ورأيت في ذيل تاريخ فاريشتي يدعى
المنتخب * وهو من بدو الدنيا الى زمان تيمور وهو شيء عجب *
نسبا يتصل منه تيمور الى جنكيز خان * من جهة النساء حبائل
الشيطان * ولما استولى تيمور على ما وراء النهر وفاق الاقران *
تزوج ببنات الملوك فزادوه في القاب كوركان * وهو بلغة المغول
الختن * لكونه صاهر الملوك وصار له في بيتهم حركة وسكن * وكان
للسلطان المذكور من الوزراء اربعة * عليهم مدار المضرة والمنفعة *
هم اعيان المالك * وبرأيهم يقتدي المسالك * والترك بهم قبائل
وشعب * تكاد توازي قبائل العرب * وكل واحد من هؤلاء الوزراء
كان من قبيلة * لسراج آرائه في بيوت تعميرها قبيلة طويلة * قبيلة
احدهم تسمى ارلات * وقبيلة الثاني تدعى جلاير * وقبيلة الثالث
يقال لها تاوجين * وقبيلة الرابع اسمها برلاس * وكان تيمور ابن
رابعهم في الناس * ونشأ شابا لبيبا * مضراع * هما ما حاز ما جلد اريبا *
وكان يصاحب نظراءه من اولاد الوزراء * ويعاشرهم اجزاء به
من فتيان الامراء * الى ان قال لهم في بعض الليالي * وقد اجتمعوا

في مكانٍ خالٍ * واتخذت منهم العشرة والنشاط * وارتفعت استار
الاسرار وامتد البساط بشاط * ابن جدتي فلانة * وكانت من ذوي
العيافة والكهانة * رأت منامًا ما ذاقت منه آلامًا * وعبرته
بانه يظهر لها من الاولاد والاحفاد * من يفرخ البلاد * ويملك
العباد * ويكون صاحب القران * وتذل له ملوك الزمان * وذلك
هوانًا * وقد قرب الوقت والوعد ونا * فعاهدوني ان تكونوا الي ظهرًا وعضدًا *
وجناحًا ويدًا * وان لا تستحيلوا عني ابدًا * فالمطاوعة الي ما فاهم
اليه * وتقاسموا ان يكونوا في السراء والضراء معه لاعليه * ولم يزالوا
يتجاذبون اطراف هذا الكلام في كل مقام * ويتعاوضون فيض غديره
هذا الغدير من غير احتشام واكتتام * حتى آنس برقه قاطن كل مصر
وشام * وخاض في خبيثه كل قديم مجرة من خاص وعام * وشعر
به السلطان * وعلم ان خلافه في روح المملكة بان * فاراد ان
يدركه في بحره * ويريح الدنيا من شره والعباد والبلاد من ضره
وعوره * ويعمل بموجب ما قيل * شعر *

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم *

فاخبره بذلك بعض الناصحين فخرج * وهو على حضن العصيان
وهو سالم فعرج * ويمكن انه في بعض من الاوقات * واثناء هذه
الحالات * توجه الى الشيخ شمس الدين المشار اليه * واستفتاه كما
ذكر فيما عول عليه * فانه كان يقول جميع ما نلته من السلطنة * وفتحته
من مستغلقات الامكنة * انما كان بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخوري
وهبة الشيخ زين الدين الخوافي * وما لقيت بركة الا بالسيد بركة *
وسيأتي ذكر زين الدين وبركة * ثم قال تيمور وما فتحت ابواب
السعادة والدولة على * ولا ضحكت عروس فتوحات الدنيا الي *
الا من سمام سجستان * ومن حين اصابني ذلك النقصان انا في ازدياد
الى هذا الاوان * والظاهر ان بدو امره وخروجه في تلك الفترة *
كان فيما بين السبعين والسبعمائة * وقال لي شيخي الامام
العالم العامل الكامل الفاضل * فريد الدهر * وحبر العصر *
علامة الورى استاذ الدنيا علاء الدين * شيخ المحققين والمدققين *
قطب الزمان * مرشد الاوان * ابو عبد الله محمد بن محمد البخاري
نزيل دمشق ادام الله تعالى ايام حيوته * وامد الاسلام والمسلمين

فيما من براكاته * في شهور لسنة ست وثلثين وثمانمائة ان تيمور قتل
السلطان حسين المذكور * في شعبان سنة احدى وسبعين وسبع مائة *
ومن ذلك الوقت استقل بالملك كما نسته وفاته في شعبان سنة سبع وثمانمائة
على ما اسياتي * فمدة استيلائه مستقلا ستة وثلثون سنة وذلك
خلا خارج عن مدة خروجه وتحريمه الى حين استيلائه والما خراج صار هو
ورفقاؤه يتحرمون في بلاد ما وراء النهر * ويعاملون الناس بالعدوان
والقهر * فتحرك الله فيهم كل ظاعن وساكن * وضيقوا عليهم تلك
المغاني والاماكن * فقطعوا الحشون وقفروا منهم ذلك المكان * فاشتغلوا
بالتحريم في بلاد خراسان * فحصلوا في نواحي سجستان * ولا تسأل
عما انسن في مفاوز بارزروما خان * فذهب بعض الليالي وقد اضربهم
السغب * فجر لنشتعل فيهم من الجوع اللهب * فدخل بعائطا من حوائط
سجستان * قد اوما اليه بعض رعاة الضأن * فاحتمل منها رأسا وادبر *
فشعر به الراعي وابصره * فاتبعه للحين * وضربه بسهمين * اصابه
باحدهما فخدده * وبالاخر كتفه * فلله دره ساعتئذ اذ ابطل بهذا الضرب
الموزون نصفه * ثم ادركه واحتمله * والى سلطان هراة المسمى بملك

خمسين الوصله * فجعل ما ضربه احوج بعابه * وكان للسلطان ابن رأيه
غير مرتين * يدعى ملك شاه ابن * فشفع فيه * واستوهبه من
ابيه * فقال له ابوه انه لم ينقص زعنك ما يدل على صلاحك * ويشهد عن
نجابتك وفلاحك * وهل انجعنا في حرامي نمادة الفساد * لئن ابقيت
ليهلكن العباد والبلاد * فقال والله ما عسى ان يصدر من يصفع
آدمي * وقد اصيب بالله وامي ورمي * ولا شك ان اجله قد اقترب *
فلا تكونن في موته السبب * فوهبه اياه * فوكل به من داواه *
الى ان اندمل جرحه * وبرئ قرحه * فكان في خدمة ابن سلطان
فراه * من اعقل الغلمان واضبطهم للاقاه * فتوفرت عنده حرمته *
وارتفعت درجته وسمعت كلمته * فعصى من نواب السلطان * نائبه
المتولي على سجستان * فاستدعى تيمور ان يتوجه اليه فاجابه الى
ذلك وعول عليه * واضاف اليه طائفة من الاعوان * فوصل الى
سجستان * وقبض على نائبها المتمادي في العصيان * واستخلص
اموال تلك البلاد * واخذ من اطاعه من الاجناد * وتلا آية
العصيان بالجهر * وارتحل بمن معه الى ما وراء النهر * وقيل

قد كان * في خدمة ابن السلطان * الى ان وقع بينه الحمولة
وانتقل * واستقر ولده واستقل * فعند ذلك هرب تيمور الى
ما وراء النهر * وقد قوي منه الرأس والظهر * وكان اذ ذاك
قد اجتمع عليه رفقاؤه * والتجأ اليه اصحابه المتغربون وعشراؤه *
فارسل غياث الدين الطلب وراءهم * وقصد ان يكفي المسلمين
شرهم وعناءهم * وهيهات فقد كان سبق السيف
العذل * وضيع اللبن في الصيف *

ذكر عبوره جيحون على فترة وما جرى من عبرات بهذه العبرة *
فوصل تيمور وجماعته الى جيحون وكان اذ ذاك مثلهم طاغيا *
ولم يمكنهم التواني لان الطلب كان شبيههم باغيا * فقال تيمور
لاصحابه النجاء النجاء * ليتعلق كل منكم بعنان فرسه ومعرفته وليلق
نفسه في الماء * وتواعدوا الى مكان * وقال توجهوا من غير توان *
فمن لم يات الموعد * يعلم انه قد فقد * فتهافتوا وخيولهم في ذلك
الماء العجاج * والتيار الزجاج والامواج * تهافت الفراش على السراج *
ولم يعلم واحد منهم حال الاخر * ولا اطلع من تقدم منهم على امر

ثمن مقاخر * وكابدوا اهوال الموت * وشاهدوا اهوال الفوت *

فنجوا ولم ينقص منهم واحد * واجتمعوا الى ذلك المولد * وذلك

بعد ان امنت منهم البلاد * واطمأن في مسالكها كل رائح وغاد *

فجعلوا يتجسسون الاخبار * ويتتبعون الآثار * ويحاربون الله و

رسوله * ويوذون عباده ويقطعون سبيله * ولم يزل على ذلك يجري

ويمشي * الى ان وصل مدينة قرشي *

ذكر ما جرى له من خبطه * في دخوله الى قرشي وخلاصه من تلك الورطة *

فقال يوما لاصحابه * وقد اضربه الهر واضرابه * واخصب

منهم ربع الفساد واعشب * ان بالقرب منا مدينة بحشب * مدينة

ابي تراب النخشبي رحمة الله عليه مدينة مصونة * مسورة مأنوسة *

لئن ظفرنا بها لتكونن لنا ظهرا وملاذا * وملجأ ومعاذا * وان بخاتمها

موسى لو حصلناه * واخذنا ماله وقتلناه * لتقوينا بها للحرب خيول

وعدة * ولحصل لنا فرج بعد شدة * وانا اعلم بها من ممر الماء

دربا * هين السلوك واسعا رحبا * فشمروا اذيالهم * وتزاكوا

في مكان خيلهم * واستعملوا في نيل مرادهم ليالهم * وقد حلوا حبس

المدينة وقصدوا بيت الامير * ورفعوا يدهم فصادفوا يدهم والحصير *
وكان الامير في البستان خارج البلد * فاخذ راما وجد واله من
اسلحة وعدد * وركبوا بخيله * وقتلوهن وجدوا من الاكابر غيله *
فاجتمع عليهم اهل البلد * وارسلوا الى الامير فادركهم بالمدد *
فتراكم عليهم البلاء باطنا وظاهرا * فلم يجدوا لهم سوى الاستسلام
ناصرا * وقال له اصحابه لقد القينا بانفسنا الى حقيقة الهلاك
من هذا البحر * فقال لا عليكم فني مثل هذه المواطن يمتحن الرجل
ويزار * فاجمعوا كيدكم ثم انثنوا صفا * واندفعوا نحو باب المدينة
يدا واحدة زحفا * حاطمين على القلوب * من غير توان ولا هدوء *
فاني اظن انه لا يثبت لكم شيء * ولا يقف امامكم حي * فامتثلوا امره
ورفعوا الصوت * وقصدوا الباب خائضين غمار الموت * وهجموا
على العساكر هجوم الليث * واندفقوا ولا اندفاق الغيث * ففتح
لهم عند فتح الباب * لا مرية بذلك مسبب الاسباب * فلم يلو
احدهم احدا على احد * ولا يفعله ما هو فيه من الجلاد والعدد *
ثم انثنوا الى مكانهم سالمين * ولم يزالوا على ذلك عائدين عابدين *

واجتمع عليهم اصحابهم * وانحاز اليهم في الفساد اضرابهم *
فصاروا نحواً من ثلثمائة * وبمن يتحيز اليهم من اهل الشرارة *
فارسل السلطان اليهم عسكراً غير مكترث بهم فكسروه * واستولوا
على حصنٍ من الحصون فجعلوه معقلاً لكل ما دخروه * قلت *

* شعر *

لا تحقرن شأن العدو وكيده * فلربما صرع الاسود الثعلب * وقيل *
ان المعوضة تدمي مقلة الاسد * وقيل * وربما قمرت بالبيذق الشاه *

ذكر من اشهر في فتنة ذلك الجناب واستعبد من احرار املوك الاطراف *

وارسل تيمور الى ولاة بلخشان * وكانت الولاية بها لاخوين او قسما
بها مستقلان * تلقيا ذلك عن ابيهما * وكان السلطان نزعها من
ايديهما * ثم اقرهما فيها على ان يكونا من تحت امره * واستوزرهما
لاحدهما عمل وقصارا اسيري قهره * فلما راسلهما تيمور على طاعته *

اجاباه ودخلا تحت كلمته *

ذكر نهوض المغل على السلطان * وكيف تضعضعت منه الاركان *

ثم ان المغل نهضت من جهة الشرق على السلطان حسين * فاستعد لهم

وقطع جيحون ووقع الحرب بين الجهتين * فانكسر السلطان *
وفر اسلهم ايضا ذلك الجبان * واسم حاكمهم قمر الدين خان *
فاجابوا مراده * واقنعوا ما اراده * وسلطوه على السلطان ليستخلص
من يده بلاده * ووا عدوه بمصاهرتهم * وامدوه بمظاهرتهم *
ورجعوا الى بلادهم * وقد سلموه زمام قيادهم * فقويت بذلك
شوكته * وسكنت القلوب هيبته فلم يسع السلطان * الا بذل الجهد
والامكان * في اطفاء نائرته * وقطع دابرته * فجعله نصب عينيه *
وتوجه بنفسه اليه * بعسكر جرار * كالبحر الزخار * حتى انتهى الى
مكان يسمى قاغلغار * وهو وادٍ بين بينهما مضيق * هو الجادة العظمى
والطريق * يسيرا لما رفي ذلك مقدار ساعه * وفي وسط الدرب باب
اذا اغلق راحتي فلا شئ مثله في المناعه * وحوالية جبال كل منها
عرنينه قد شمخ * وقد مه قد غاص ثمو تاورسخ * فصح ان يقال فيه انه
في السماء * وليست في الماء * فاخذ العسكر فم ذلك الدربند * من جهة
سمرقند * وتيمور على الجانب الاخر *
وهو كالمضايق والمحاصر *

ذكر الحيلة التي صنعها * والخديعة التي ابتدعها *

فقال تيمور لاصحابه اني اعرف هنا جادة خفية * مسالكها ابية * لا تطأها الخطا * ولا يهتدي اليها القطا * فهلم نسري ليلنا * ونقود في المسرى خيلنا * فنصبحهم من ورائهم وهم آمنون * فان ادركناهم ليلا فنحن الفائزون * فاجابوه الى ذلك * وشرعوا في قطع تلك الوعور والمسالك * وساروا ليلهم اجمع * وبلغ الفجر المطلع * فادركهم الصباح ولم يدركوا الجيش * فضاقت عليهم الارض بما رحبت * وتنكد لهم العيش * ولم يمكنهم الرجوع * واذ نبت الشمس بالطلوع * فوصلوا الى العسكر وقد اخذ في التحميل * وعزم على الرحيل * فقال اصحابه بئس الرأي فعلنا * في قيضة العدو حصلنا * وقد وقعنا في الاشراك * والقينا بايدينا انفسنا الى الهلاك * فقال تيمور لا ضرر * توجهوا نحو العسكر * وانزلوا بمرأى منهم عن خيلكم * واتركوها ترعى واقضوا من ورد النوم والراحة ملفاتكم في ليلكم * فتراموا عن خيلهم كأنهم ضرغى * وتركوا خيولهم ترعى * شعر *

* واذا السعادة لاحظتك عيونها * * نم فالمخاوف كلهن امان *

واصطلح بها العنقاء فهي تماثيل * وراقد بها الجوزاء فهي عنان *
فجعل العسكر يمر بهم * ويخال انهم من حزبهم * حتى اذا استراحوا *
وركبوا خيولهم وصاحوا * ووضعوا السيوف في اعناقهم * راكبين
اكتافهم من وراءهم * فقتلوا قتلا ذريعا * وغادروهم جريحا وصريعا *
وعم الخطب اهاليهم * ولم يعلم احد البلاء كيف دهيم * واتصل
الخبر بالسلطان * وقد خرج التلى عن حيز الامكان * فهرب الى
بلخ * وقد سلخ من المملكة اي سلخ * وشرع تيمور في النهب * والغارات
والسلب * ثم ضبط الاقطان * وجمع الاموال * ولم رعاع الناس
والمدابرة * واطاعوه وهم مابين راض وكاره * فاستولى على ممالك
ماوراء النهر * وتسلط على العباد بالغلبة والقهر * واخذ في ترتيب
الجنود والعساكر * واستخلاص الحصون والمدائن * وكان نائب
سمرقند واحد الاركان * شخصا يدعى علي شير من جهة السلطان
وكاتبه تيمور على ان تكون الممالك بينهما نصفين * ويكون معه
على السلطان حسين * فرضي علي شير بذلك * وقاسمه الولايات
والممالك * وتوجه اليه * وتمثل بين يديه * فزاد في اكرامه *

وبالغ في احترامه * ذكر توجهه الى بلخشان * واستصارة بمن فيها على السلطان *

ثم انه ترك على شيرين بعد مارگن اليه * وقصد بلخشان فاستقبله ملكها

وتمثلا بين يديه * واتحفاه بالهدايا والخدم * واملاه

بالجيوش والحشم * فسار وصار معه من بلخشان * قاصدين

بلخ لمحاصرة السلطان * فتحصن منهم فاحاطوا به من كل مكان *

فاخرج اولادهما الذين كانوا عنده في الزمان * فضرب اعناقهم

بمرأى من ابويهم * ولم يرق لهم ولا من عليهم * ثم انه ضعف

حاله * وذل عنه خيله ورجاله * فنزل مستسلما للقضاء والقدر *

راضيا بما ذهب في قضاء الله مما حلا ومر * فقبض عليه ثور * وضبط

الامور * ثم رد اميري بلخشان اليها مكرمين * وتوجه الى سمرقند

ومعه السلطان حسين * وذلك في شعبان سنة احدى وسبعين * بعد

ما خلا من الهجرة سبع مائة سنين * ووصل الى سمرقند واتخذها

دار ملكه * وشرع في تمهيد قواعد الملك ونظمها في نظام سياسته و

سلكه * ثم انه قتل السلطان * واقام من جهته شخصا يدعى سيورغاتمش من

ذرية جنكيزخان * وقبيلة جنكيزخان * هم المتفردون باسم الخان
والسلطان * لانهم هم قريش الترك لا يقدر احد ان يتقدم عليهم *
ولا يمكن احدا من انتزاع ذلك الشرف من ايديهم * ولو قدر احد
على ذلك * لكان تيمور الذي استخلص الممالك بسلك المسالك * فرفع
سيوفا تمشى دفعا للمطاعين * وقطعا لمسان سنان كل طاعن * وانما
لقب تيمور الامير الكبير * وان كان في امرة كل مامور منهم وامير *
والخان في اسره كالحبارى بين الطير * وشبيه الخلفاء بالنسبة في هذا
الزمان الى السلاطين * واستمر بعلي شورا نائبا في سمرقند وكان
يكرمه * ويستشيره في الامور ويقلده *

ذكر وثوب توقتامش خان * سلطان الدشت وتركستان *

ثم ان توقتامش خان سلطان الدشت والتتار * لما رأى ما جرى
بين تيمور السلطان فاردم قلبه وغار * وذلك لعلة النسب والجوار *
وهما العسكر الجرار * والجيش الزخار * وتوجه الى مصاف تيمور
من جهة سغناق وانزار * فخرج اليه تيمور من سمرقند * وتلاقيا
باطراف تركستان قريبا من نهر خجند * وهو نهر سيحون * وسمرقند

بين نهري سيحون وجيحون * تقابلت بين العسكرين سوق المبارزة *
ولم يبق بينهم فيها بيوع معاملات المضاربة * ولا زالت رحا الحرب
تدور * الى ان انطحن عسكر تيمور * فبينما عسكره قد انقل * وعقل
جنوده انخذل * اذ ابو رجل يقال له السيد بركة قد اقبل * فقال
له تيمور وهو في غاية الضرر * يا سيد اي السيد جيشي انكسر * فقال له
السيد لا تخف * ثم نزل السيد عن فرسه ووقف * واخذ كفا من الحصباء *
وركب فرسه الشهباء * ونفخها في وجوه عدوهم المردي * وصاح
بقوله ياغي قاجدي * فصرخ بها ايضا تيمور تابعا ذلك الشيخ النجدي *
وكان عباسي الصوت * فكانه دعا الابل المظماء نجوت بجوت * فعطفت
عساكره عطفة البقر على اولادها * واخذت في المجالدة مع اضل اعدادها
اندادها * ولم يبق في عسكره من جذاع ولا قارح * الا وهو يقول ياغي
قاجدي صائح * ثم انهم كروا كرة واحدة * بهمة متعاقد قرونها متعاضدة *
فرجع جيش توقتا ميش منهزمين * وولوا على اعقابهم مدبرين *
فوضع عسكر تيمور فيهم السيوف * وسقوهم بهذا الفتوح كاسات الحتوف *
وغنموا الاموال والمواشي * واسروا اوساط الروس والحواشي *

ثم رجع تيمور الى سمرقند * وقد ضبط اموز تركستان وبلاد نهر خجند *
وعظم لديه السيد بركه * وحكمه في جميع ما استولى عليه وملكه *
وهذا السيد اختلف القول فيه فمن قائل انه كان مغربيا بمصر حجاما *
قد هب الى سمرقند وتسيد بها وعلا قدره وتسامى * ومن قائل
انه كان من اهل المدينة الشريفه * ومنهم من يقول انه من اهل مكة
المنيفه * وعلى كل حال فانه كان من اكبر الاعيان * في بلاد ما وراء
النهر وخراسان * لاسيما وقد امد تيمور بهذه النجده * وخلصه بهذه
الطريقة الصادقة للقضاء والقدر من هذه الشده * وقال له تيمور
تمن علي * واحتكم لدي * فقال له يا مولانا الامير * ان اوقاف
الحرمين الشريفين في الاقاليم كثير * ومن جملة ذلك اناس خوي
في ممالك خراسان * وانا واولادي من جملة مستحقي ذلك الاحسان *
واذا اقيم اصل ذلك وخصمه * وعلم قضمه وخصمه * وضبطت اوقافه *
ومصارف ذلك وصرافه * ما كانت حصتي وحصة اولادي * اقل من
هذه القصبة في هذا الوادي * فاقطعني اياها فاقطعه اياها * مع
مضافاتها واعمالها وقراها * وهي الى الآن في يد بني اولاده *

واسباطه واحفاده *

ذكر علي شير مع تيمور * وما وقع بينهما من المخالفة والشرور *

ثم ان تيمور وقع بينه وبين علي شير مخالفة * وانحاز الى كل منهما طائفة * فاغتاله تيمور وقتله * ثم قبض عليه وقتله * فصفت الممالك والولايات لتيمور بعض الصفا * وعرول الى طاعته من الناس كل وجه ورأس كان في التأبي وقفا *

ذكر ما جرى لدعاء سمرقند والشطار * مع تيمور وكيف احتهم دار البوار *

وكان في سمرقند طائفة من الدعار كثيرون * وهم انواع فمنهم مصارعون ومناقفون وملاكمون ومعالجون * وهم فيما بينهم فرقتان كالقيس واليمن * والعداوة والمقاتلة بينهم قائمة على مر الزمن * ولكل طائفة منهما رؤس * وظهور واعضاد وضروس * وكان تيمور مع ابهته يخافهم * لما كان يظهر له عنادهم وخلافهم * فكان اذا قصد جانبا * اقام له في سمرقند نائبا * فاذا بعد عن المدينة خرج من تلك الجماعة طائفة * فخلعوا النائب وخرجوا مع النائب واظهروا المخالفة * فما يرجع تيمور الا وقد انفرط نظامه *

وتخبطت امورهُ وتشوش مقامهُ * فيحتاج الى تجديد وتمهيد *
وتخريب وتشييد * فيقتل ويعزل * ويعطي ويعزل * ثم يتوجه لتمهيد
ممالكه * وتوطيد مسالكه * فيعودون الى عكرهم * ويؤبون
الى حتفهم ومكرهم * وتكررت هذه القضية نحوا من تسع مرار * فضاق
بهرذرعا بالاشرار والدعار * فاعمل الحيلة في اغتيالهم * وكف
اذاهم واستيصالهم * فصنع سورا * ودعا اليه الخلائق كبيرا
وصغيرا * وصنف الناس اصنافا * وجعل كل ذي عمل الى عامله
مضافا * وميز اولئك الدعار مع رؤسائهم على حدة * وفعل معهم ما فعله
انوشروان بن كيقباد بالملاحدة * وارصد له في اخذ الاطراف
انصارا * وقرر معهم ان كل من ارسله اليهم يولونه دمارا * ويكون
ارسالهُ اليهم على قتله شعارا * ثم انهُ جعل يدعو رؤس الناس *
ويسقيهم بيده الكاس * ويخلع عليهم افخر اللباس * واذا انفضت
النوبة من اولئك الدعار الى احد * سقاه كأسه وخلع عليه واشار
ان يتوجه به الى نحو الرصد * فاذا وصل اليهم خلعوا عنه خلعته بل
وثوب الحيوة فهتكوه * وسكبوا عجين قلبه في بوطة القناء فسبكوه *

الى ان اتى على آخرهم * واستولى بذلك قطع دابرهم * ومحا آثارهم واطفأ نارهم * فصفت له المشارع * وخلا ملكه عن مجاذب ومنازع * ولم يبق له في ما وراء النهر ممانع ولا مدافع *

فصل في تفصيل ممالك سمرقند * وما بين نهري بلخشان وخجند *

فمن ذلك سمرقند ولا ياتها * وهي سبعة تومانات والملك كان اوجهاتها * وهي تسعة تومانات والتومان عبارة عما يخرج عشرة آلاف مقاتل * وفي ما وراء النهر من المدن المشهورة * والاماكن المعتبرة المذكورة * سمرقند وسورها قديما على ما زعموا اثنا عشر فرسخا * وكان ذلك على عهد السلطان * جلال الدين قبل جنكيز خان * ورأيت حد سورها من جهة الغرب قصبة بناها تيمور * وسماها دمشق ومسافتها عن سمرقند نحو من نصف يوم * والناس الى الآن يحفرون سمرقند العتيقة * ويخرجون دراهم وفلوسا سكتها بالخط الكوفي يسبكون الفلوس ويخرجون منها فضة * ومن مدن ما وراء النهر مرغينان * وهي كانت التخت قديما وبها كان ايلك خان * ومنها خرج الشيخ الجليل العلامة برهان الدين المرغيناني

صاحب الهداية رحمه الله تعالى * وخجند وهي على شاطئ سيحون *
وترمذ وهي على ساحل جيحون * وخشب وهي قرشي المذكورة *
والكس وبخارا وان كان وهي اماكن مشهورة * وغير ذلك من الولايات
بلخشان * ومما لك خوارزم واقليم صغانيان * الى غير ذلك من
الاطراف الواسعة * والاكناف الشاسعة * وفي عرفهم ما وراء
جيحون الى جهة الشرق توران * وما كان في هذا الطرف الى جهة
الغرب ايران * ولما اقتسم كيكاوس وافراسياب البلاد * كانت توران
لافراسياب وايران لكيكاوس بن كيقباد * وعراق هو مغرب ايران *

ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر * بعد استقصائه ممالك ماوراء النهر *

ولما صفت له ممالك ماوراء النهر * وذلت لاوامره جوامح الدهر *
شرع في استخلاص البلاد * واسترقاق العباد * وجعل ينسج بانامل
الحيل الاشراك والاوهاق * ليصطاد بذلك ملوك الاقاليم وسلاطين
الآفاق * فاول ما صاهر المغول وصافاهم * وهادنهم وهاداهم *
وتزوج بينت قمر الدين منكين * وصار آمنا من تبعتهم ودركهم *
وهم جيرانه من جهة الشرق * ولا تباين بينه وبينهم ولا فرق *

أذا العلة وهي الجنسية والمصاهرة والمجاورة حاصلة للجهتين *
والملة وهي التوراة الجنكيزخانية ممشاة في كلتا الولتين * فامن
شرهم * وكفى كيدهم وضرهم *

ذكر تصميمه العزم * وتصدية الاطراف والاموال خوارزم *
فحين امن مكرهم * وسد بالمصالحة ثغرهم * صمم العزم * على التوجه
الى ممالك خوارزم * وهم مجاورو غربا بالشام * ومباينو بتمشية
قواعد الاسلام * وتختهم مدينة جرجان * وهي من اعظم البلدان *
وهذه المملكة ذات مدن عظيمة * وولايات جسيمة * تحتها مجمع
الفضلاء * ومحط رحال العلماء * ومقر الظرفاء والشعراء * ومورد
الادباء والكبراء * ومعدن جبال الاعتزال * وينبوع بحار اهل
التحقيق من ارباب الهدى والضلال * نعمها كثيرة * وخيراتها
غزيرة * ووجوه فضائلها مستنيرة * واسم سلطانها حسين صوفي *
وهو من الاعتقاد ذات الباطلة عوفي * ومدن ما وراء النهر وضع بعضها
قريب من بعض * لانها كلها مبنية باللبن والآجر على الارض * واهل
خوارزم كاهل سمرقند في اللطافة * وافضل من اهل سمرقند

فى الحشمة والظرافة * يتعانون المشاعرة والادب * ولهم
فى فنون الفضل والمحاسن اشياء عجب * خصوصا فى معرفة الموسيقا
والالحان * ويشترك فى ذلك الخاص منهم والعام * وما هو مشهور
عنهم * ان الطفل فى المهد منهم * اذا بكى او قال آه * فان ذلك
يكون فى شعبة دوكاه * فاما وصل تيمور الى خوارزم كان حسين
صوفي غائبا عنها * فنهب خوانيها وما وصلت يده اليه منها * ولم يقدر
عليها * فلم يكترث بها ولا التفت اليها * ثم لم اطراف حاشيته *
وعاد الى مملكته *

ذكر عوده ثانيا الى خوارزم

ثم انه شد حزام الحزم * وكر ثانيا الى خوارزم * باستعداد تام *
وجيش طام * وكان سلطانها ايضا غائبا * واقام لجميلة بكرها خاطبا *
فحاصرها * وضاجرها * وشد على اعناق مساكبها التلابيب *
وكاد ان يتشبث باذيالها منه المخالب * فخرج اليه رجل من
اعيانها * وكان تاجرا وله قدم صدق عند سلطانها * يقال له حسن
بوريج * والتمس ان يرفع عنهم ذلك الامر المريج * وان يبذل له

ما طلب * فى مقابلة ما يريد من اسير وسلب * فطلب منه حمل مائتى بغل
فضه * ترفع الى خزانته فضه * فلم يزل يراجعه * ويلاطفه ويمانعه *
حتى صالحه على ربع سؤاله * وقام المصالح بذلك من ماله وصلب حاله *
ووزن له ذلك فى الحال * واخذ يجور فى الترحال * وكف عن الاذى
شياطين جنده * وعزم على التوجه الى سمرقند *

ذكر مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراة * الذى خاصه
من الصلب وراوده فيه اياه *

ثم انه راسل سلطان هراة ملك غياث الدين الذى كان مغيثه * عملا
بقوله كتب الله على كل نفس خبيثه * وطلب منه الدخول فى ربقة الطاعه *
وحمل الخدم والتقادم اليه بحسب الاستطاعه * والاقصد ديارة *
وبلغه دماره * فارسل ملك غياث الدين يقول * صحبة الرسول *
اما كنت خادما لى واحسنت اليك * واسبلت ذيل احسانى ونعمتى
عليك * فتمثلت وقتلت * وفتكت وقللت * وفعلت فعلتك التى فعلت *
وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب * فان لم تكن انسانا يعرف
الاحسان فكن كالكلب * فعبر جيحون وتوجه اليه * فلم يكن لغياث

الدين قرة الوقوف بين يديه * فارسل الى حشمه وسكان قراه *
فاجتمعوا فهم ومواشيهم حول قراه * وحفروا خندقا حول البساتين *
محيطا بالزراع وضعفة المساكين * وحصر نفسه فى القلعة * وحسب
ان يكون له بذلك منعة * وذلك لركاكة رأيه اولا وآخرا وجمود
قريحته * وقلة عقله وانعكاس فكره وردولته * قلت * شعر *
من لم يصادف سعده تقل يره * يخطفه فى دل بيره دل ميره *
فلم يكترث تيمور له بقتال وحصار * ولكن احاطت به العساكر دائرا
ما دار * ومكث تيمور فى الامن والدعة * وملوه فى الضيق بعد السعة *
واضطربت الروس والحواشى * وبارت الانعام والمواشى * وعض
البلد بالزحام * وهلكت الخواص والعوام * واضناهم السغب *
وعلاهم الصراخ والصخب * فارسل اليه السلطان * يطلب منه الامان *
ويعلم انه اختنق بسببه * وانه اعانه اولا فبلى به * فذكره سابقة
العرفان * وما اسداه اليه من احسان * وطلب منه تاكيد الامان
بالايمان * فحلف له تيمور انه يحفظ له الذمام القديم * وان لا يراق
له دم ولا يمزق له ادديم * فخرج اليه * ودخل عليه * وتمثل بين

يديه * فدخل تيمور الى المدينة * وصعد الى قلعتها الحصينة *
وصحبته السلطان وقد احاطت به جنود هراة والاعوان * فاشار
بواحد من ابطال صاحب هراة على السلطان * ان يقتل تيمور ويجعل
نفسه فداه * وقال له ما معناه * ان اذى المسلمين بنفسي ومالي *
واقتل هذا الاعرج ولا ابالي * فلم يجبه الى اشارته * واستسلم لقضاء
الله تعالى وارادته * وقال ان لله تعالى تصريفا في عباده * ولا بد ان ينفذ
فيهم سهم مراده * ولا مفر من القضا * ولا مجير مما قدر الله تعالى وقضى

* شعر *

واذا اتاك من الامور مقدر * وفررت منه فنحوه تتوجه * وهذا سر
لا بد من ظهوره * فلا تبحث عن حقيقة امره * فمن غالب القضاء
غلب * ومن ناهب الزمان سلب * ومن قاوم تيار المقدور غرق
ومن استلأم بالغفلة في مشارب اللهو شرق * وذكر في ذلك الوقت
مقالة ابيه له واطلاع على تحقيقه * ولكن السهم خرج فما امكن رده الى فوقه *

ذكر اجتماع ذلك الجاني * بالشيخ زين الدين ابي بكر الخوافي *

وكان في بعض قدماته خراسان بلغه ان في قصبة خواف * رجلا قد

مِنَحُهُ اللهُ تعالى الألطافَ * عالِمًا عامِلًا * كبيرًا فاضلًا * ذا كراماتٍ
ظاهِرَهْ * وولاياتٍ باهِرَهْ * وكلماتٍ زاهِرَهْ * ومقاماتٍ طاهِرَهْ *
ومُكاشَفاتٍ صادِقَهْ * ومُعامَلاتٍ مَعَ اللهِ تعالى بالصِّدْقِ ناطِقَهْ *
يُدْعَى الشيخَ زينَ الدِّينِ ابا بَكْرٍ * لطائِرِ اجتهادِهِ في حظيرةِ القُدْسِ
أملى وكرْ * نقصدَ تيمورٌ رؤيتَهُ * وتوجَّهَ اليهِ وجماعتَهُ * فقالوا
للشيخِ انَّ تيمورَ قادمٌ عليكَ * وواصِلٌ اليكَ * يقصدُ رؤيتَكَ *
ويرجو بركتَكَ * فلم يفهِ الشيخُ بلفظةٍ * ولا رفعَ لذلكَ لحظةً *
فوصلَ تيمورُ اليهِ * ونزلَ عن فرسِهِ ودخلَ عليهِ * والشيخُ مشغولٌ
بحالِهِ على عادتِهِ * جالسٌ في فكرِهِ على سجادتِهِ * فلما انتهى اليهِ *
قامَ الشيخُ فاحدودبَ تيمورُ منكبًا على رجليهِ * ووضعَ الشيخُ على ظهرِهِ
يدَيهِ * وقالَ تيمورُ لولا انَّ الشيخَ رفعَ يدَيهِ عن ظهري بسرعةٍ
لخلتُ الارضَ * ولقد تصورتُ انَّ السماءَ وقعتْ على الارضِ * وانا
بينهما رضختُ الارضَ * ثم انهُ جلسَ بينَ يدَيْ ذلكَ المنتخبِ * على ركبتَيِ
الادبِ * وقالَ لهُ بالملاطفةِ في المحاورةِ * على سبيلِ الاستفهامِ لا المناظرةِ *
يا سيدي الشيخُ لمَ لا تأمرونَ ملوككم بالعدلِ والانصافِ * وانْ لا يميلوا

الى الجزيرة والاعتياب * فقال له الشيخ امزنامم وتقدم منا بذلك
اليهم * فلم يأتمروا تسلطنا كَ عليهم * فخرج من فوره من عند الشيخ
وقد قامت منه الحدبة * وقال ملكت الدنيا ورب الكعبة * وهذا
الشيخ هو الموعود بذكره ثم ان تيمور قبض على ملك هراة * واحتاط
على ما ملكت يداه * وضبط ولاياتها جانبا جانبا * وقرر لكل جانب
نائبا * وتوجه الى سمرقند قافلا بما امكنه * وحبس السلطان في المدينة *
واوصد عليه بابها * ووكل بحفظه اصحابها * واضاف اليهم اشدة الحفاظ *
الزبانية الشداد الغلاظ * وذلك لخائفه ان لا يريق دمه * وان
يحفظ له ذمه * فلم يرق له دما * ولكنه قتله في الحبس جوعا وظما *

ذكر عوده الى خراسان * وتخريبه ولايات سجستان *

ثم عاد الى خراسان * وقد عزم على الانتقام من سجستان * فخرج
اليه اهلها طالبين الصلح والصلاح * فاجابهم الى ذلك على ان يمدوه
بالسلاح * واخرجوا اليه ما عندهم من عدة * ورجوا بذلك الفرج
من تلك الشدة * فحلفهم وكتب عليهم قسامات بالغة * ان من ينتهم
عدت من السلاح فارغه * فلما تحقق ذلك منهم وضع السيف فيهم *

فاضاف بهم جنود المنايا عن بكرة ابيهم ثم خرب المدينة فلم يبق بها
شجر ولا مدر * ومحاها فلم يبن لها عين ولا اثر * وارتحل عنها
وليس بها داع ولا مجيب * وما فعل ذلك بهم الا لانهم ولا منهم
اصيب * وذكر لي الشيخ الفقيه زين الدين عبد اللطيف بن محمد بن
ابي الفتح الكرماني الحنفي نزيل دمشق بالمدرسة الجقمقية * في سنة
ثلث وثلثين وثمانمائة * ان الذين تخلصوا من القتل من اهل
سجستان * بهزيمة او غيبة او بنوع لطيفة من الله تعالى المنان * لما
تراجعوا اليها * بعد رجوع تيمور عنها * ارادوا ان يجمعوا بها ما ضلوا
يوم الجمعة وما امتدوا اليه * حتى ارسلوا الى كرمان من دلهم عليه *
ذكر قصد ذلك الغدار * ممالك سبزوار * وانقيادها اليه * وقدومها اليها عليه *
ثم لما اثار بسجستان ما اثار * قصد بعساكره مدينة سبزوار * وكان
واليها يدعى حسن الجويري مستقلا بالامارة وهو رافضي * فما
امكنه الا الاطاعة * واستقباله من الهدايا والخدم بما استطاعه *
فاقره على ولايته * وزاد في رعايته * فصل * وكان من عادة تيمور
ومكره * انه كان في اول امره * اذا نزل باحد مستضيفا استنسبه * وحفظ

اسمه ونسبه * وقال له اذا بلغك اني استوليت * وعلى الممالك استقليت *
فاتني بعلامة كذا * فاني اكافيك اذا * فلما انتشر ذكره * وشاع امره *
وفشا في الدنيا خبره وخبره * هرعت الناس بالعلائم اليه * ووفدت
من كل فج عميق عليه * وكان ينزل كل احد منزلته * ويحله مرتبته *

ذكر ما جرى لك الاعرجي سمزوار مع الشريف محمد رأس طائفة اللصار

وكان في مدينة سمزوار * رجل شريف من الشطار * يدعى السيد
محمد السربدال معه جماعة من الرجال كلهم ذعار * يسمون السربدالية
يعني الشطار * وكان هذا السيد رجلا مشهورا * بالمآثر والفضائل
مذكورا * فقال تيمور علي به * فاني ما جئت الا بسببه * وقد كنت
متشوقا اليه * ومتشوفا لعلم ما لديه * فلما وقع له فلما دخل عليه
فقام اليه واعتنقه * وقابله ببشرة منطلقه * واكرمه وادناه *
وقال في جملة فحواه * ياسيدي السيد قل لي كيف استخلص ممالك
خراسان واحويها * واني احوزها اد انيها واقاصيها * وماذا افعل
حتى يتم لي هذا الامر * وارتقي هذا المسلك الصعب الوعر * فقال
له السيد يا مولانا الامير * انا رجل فقير وقير * من آل الرسول *

عن اين انا وهذا الفضول * وانى وان قبل لى شريف * رجل عاجز
ضعيف * لا طاقة لى بمجاوزة الهلك * ومن انا حتى اتشاوف لمصالح
الملك * ومن داخل الملوك او خارجهم * او عارضهم في امورهم
او مازجهم * كان كالعائم في مجمع البحرين * وكالجاثم في منتطح
الكبشين * والخارج عن لغته لحان * وشتان ما بين المأمونين
والطحان * فقال له لا بد ان تدلني على هذه الطريقة * وتخبرني
عن المجاز الى هذه الحقيقة * ولولا انني تفرست فيك ذلك * وتكهنت
ان برأيك تقتنص المسالك * ولولا انك اهل لهذه المعرفة * ما فهت
لك ببنت شفة * ولا استنبيت عنك استغناء النفه عن الرفه * فان
غراماتي ايا سيه * وقضاياي كلها قياسيه * فقال ذلك المشير * ايها
الامير * اوتسمع في هذه المقالتي * وتتبع اشارتي * فقال ما استشرتك
الا لاتبعك * ولا جاريتك الا لامشي معك * فقال ان اردت ان
يصفو لك المشرب * وتنال المالك من غير ان تتعب * فعليك
بتخواجه علي * ابن المويد الطوسي * فطب فلك هذه المالك *
ومركز دائرة هذه المسالك * فان اقبل عليك بظاهره لم يكن بباطنه

إلا معك * وإن ولى عنك بوجهه فلن يغيرك غيره ولن ينفعك * فكن
على استيلاب خاطره وحضوره اليك ابلغ جاهد * فانه رجل صلب
وظاهره وباطنه واحد * وان طاعة التابع منوطة بطاعته * وافعال الكل
مربوطة باشارته * فما فعل فعلوا * فان خطط خطوا وان رحل رحلوا *
وكان هذا الرجل اعني خواجه علي المذكور رجلا شيعيا * موليا
حليا * يضرب السكة باسم الاثني عشر اماما * ويخطب باسمائهم
وكان شهما هماما * ثم قال السيد يا امير ادع خواجه علي فان لبى
دعوتك * وحضر حضرتك * فلا تترك من انواع الاحترام والتوقير *
والاكرام والتكبير * شيأ الا وصله اياه * فانه يحفظ لك ذلك ويرعاه *
وانزله منزلة الملوك العظام * في التعظيم والتوقير والاحترام * ولا تدع
معه شيأ مما يليق بحشمتك * فان ذلك كله عائد الى حرمتك وعظمتك *
ثم خرج السيد من عند تيمور * وجهز قاصده الى الخواجه علي المذكور *
يقول له انه قد مهد له الامور * فان جاءه قاصده فلا يتوقف عن
الطاعه * ولا يتعلل عن التوجه اليه ولا ساعه * ويكون منشرح
البال * آمنا سطواته في الحال والمال * فاستعد خواجه علي لقدوم

الوارد * وورود القاصد * وهيأ الخدمات * والتقادم والحمولات *
وضرب باسمه واسم متولاه الدرهم والدينار * وخطب باسمهما في
جوامع الامصار * وقعد لامره منجزا * واقام للطلب مستوفزا *
واذا بقاصد تيمور جاءه منه بكتاب * فيه من الطف كلام والين خطاب *
يستدعيه مع انشراح الصدر * وتوفير التوقير وتكثير البر * فنهض
من ساعته * ملبيا بلسان طاعته * ولم يلبث غير مسافة الطريق *
وقدم بمل نسيج وعهد وثيق * فلما اخبروه بوفوده * جهز لاستقباله
اساورة جنوده * وسر سرورا شديدا * وكأنه استأنف ملكا جديدا *
فلما وصل قدم هدايا فاخرة * وتحفا متكاثرة * وظرائف ملوكية *
وذخائر كسروية * فعظمه تعظيما بالغا * واولاه انعاما سابغا *
واسبل على قامة رجائه من خلع اعزازه واكرامه ذيلا سابغا *
واستعربه على ولايته * وزاد في بره وكرامته * فلم يبق في خراسان
امير مدينة * ولا نائب قلعة مكينة * ولا من يشار اليه * الا وقصد
تيمورا وقبل عليه * فمن اكابرهم امير محمد حاكم باورد وامير عبد الله
حاكم سرخس وانتشرت هيبته في الآفاق * وبلغت سطوته مازندران

وكيلان بلاد الري والعراق * وامتلأت منه القلوب والاسماع *
وخافه القريب والبعيد وعلى الخصوص شاه شجاع * وكل هذا في مدة
قصيرة * واما قلائل يسيرة * نحو امن سنتين * بعد قتله السلطان حسين *
ذكر مراسلة ذلك الشجاع * سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع *
ولما صفت له بلاد خراسان * واذعن لطاعته كل قاص ودان * راسل
شاه شجاع سلطان شيراز وعراق العجم * يطلب منه الطاعة والانقياد
وارسال الاموال والخدم * ومن جملة كتابه * وفحوى خطابه *
ان الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظامة الحكام * والجائرين من ملوك
الانام * ورفعني على من باراني * ونصرني على من خالفني وعاداني *
وقد رأيت وسمعت * فان اجبت واطعت فلها ونعمت * والا فاعلم
ان في قلبي تلك اشياء * الخراب والقحط والوباء * واعلم
كل ذلك عائد عليك * ومنسوب اليك * فلم يسع شاه شجاع الا مهانته
ومهادنته * ومصاهرته ومصافاته * وزوج ابنته بابن تيمور *
ولم يتم ذلك السرور لحدوث الشرور * فانقبضت تلك المبسطة *
بواسطة افساد الواسطة * وتشريب الخطابة وتحريب الماشطة * قلت

بل يها مضمنًا * شعر *

* اذا تخبطك لامر عزواسطة * فاحلل رداه وكن منه على وجل *
* واعلم بان طباع الانس قد جبلت * من الجفاء ومن مكر ومن دخل *
* فلا تثق منهم يومًا بواسطة * واشرع بنفسك فيه غير متكل *
* فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل *

ومن عيان الكلام * في هذا المقام * يخرجنا عن المرام * ولكن تمت رياض المحبة زاهرة * وارباض المودة عامرة * وقفول المراسلة والمصادقة بين الطرفين سائرة * واستمروا على ذلك من غير نزاع * الى ان توفي شاه شجاع * وكان شاه شجاع هذا رجلًا عالمًا فاضلا * يقرر الكشاف تقريرًا شافيًا كافيًا * وله شعر رائق * وادب فائق * فمن شعره العربي على ما قيل * شعر *

* الا ان عهدي في الغرام يطول * واسباب صبري لا تزال تزول *
* اصون هواها كلما ذر شارق * ولكن ما بي قد يتم تحول *
* ومن لم يذق صرف الصبابة في الصبا * علمت يقينًا انه لجهول *

* ومن شعره الفارسي *

* ای بکام حاشقان حسنت جمیل * کی کزینم دیگرے بر تو بدل *

* کر زیادت غافلم عیشم حرام * ور ز جورت دم زنم خونم حلال *

* هر کمی تدبیر کاری میکند * ما رضا کردیم بانعم الوکیل *

وهوشاه شجاع بن محمد بن مظفر * وابوه کان من افراد الناس ومن اهل البر *

یسکن ضواحی یزد وابرقوه * ذا باس شدید یخافه القریب والبعید

ویرجوه * وکان قد نبغ بین یزد وشیراز * حرامی من عرب آل خفاجة سل

طی سالکی الطریقة حقیقة المجاز * یدعی جمال لوک * افقر الغنی وابا

الصعلوک * لایبالی بالرجال قلت او کثرت * ولا یکترث بکواکب النبال اذا

الکواکب علی رأسه انتثرت * فابادطائفة من البلاد * واهلک الحرث والنسل

والله لایحب الفساد * فکمن له ابو شجاع * فی بعض وهد او بقاع * ثم دبله

مواجهه * وکافحه مشافهه * ونازله فصرعه * وقطع رأسه وانتزعه *

فنصبه برأسه السلطان * فقدمه علی سائر الاعوان * واقطعه اماکن

عمله * وقربه وجعله علة لکل شک * وکان له علی اولاد * واقارب واحفاد *

کل منهم رئیس مطاع * فمن اولاده شاه مظفر وشاه محمود وشاه

شجاع * فصار کل منهم ذا کلمة نافذة * ویدا مبسوطة آخذة * ولم یکن

للسلطان ولد يبقى وراءه فى امور الملك او ينقب * فلما اقبل عليه
زائد المنية اجابه وولى مدبرا ولم يعقب * وكان اذ ذاك قد نبتت
اوتاد محمد بن مظفر * فتقدم فى السلطنة ومن سواه تاخر * فصار
فى ممالك عراق العجم الملك المطاع * واستقل من غير تشاق ونزاع
وتصرف فى الممالك كيف شاء * وردّاه الله خلعة قل اللهم مالك
الملك تؤتى الملك من تشاء * ومات فى حيوته ولده شاه مظفر المشهور *
وخلف له شاه منصور * ثم جرى بين شاه شجاع وبين ابيه * من النزاع
والشرور ما لا خير فيه * وقبض على ابيه وقهره * وفجعه بكريمتيه
واعدمه بصره * وتمكن من السلطنة واستقر * وكان به مرض جوع
البقر * بحيث انه كان لا يقدر على الصوم لا فى السفر ولا فى الحضر *
وكان كثيرا ما يدعو الله الغفور * ان لا يجمع بينه وبين تيمور *
فلما ادركه الاجل * وطوى فراش الموت منه بساط الامل * احضر من له
من الاقارب والاولاد * وقسم عليهم الممالك والبلاد * فولى ابنه
لصلبه زين العابدين * شيراز وهى كرسى الملك ومقصد الواردين *
واقطع اخاه السلطان احمد ولايات كرمان * واعطى ابن اخيه شاه

فسمي يزدوابن أخيه شاه منصور اصفهان * واستدل وصيته ذلك
الى تيمور * وخلد ذلك في رق منشور * واشهد على ذلك من حضر
مجمعه * فكان كمن سلم الرمح لابي زوبعه * ولما ادمج الموت توبه
عمر شاه شجاع * انتشرت بين اقاربه شقق الشقاق والنزاع *
فقصد شاه منصور زين العابدين وقبض عليه * واستولى على شيراز
وفجعه بكريمتيه * وخالف عمه ونقض حبل عهده * وفعل مع ابنه
ما فعله ابوه بجده * وحمل هذه القضية ممدود * والاشتغال بنقضه
وابرامه يخرج عن المقصود * فانمعض تيمور واغتاض * وتجرع
الغصص وارتهض * ولكن ارتقب في ذلك انتهاز الفرص *

ذكر توجه تيمور مرة ثالثة * الى خوارزم بالعساكر العابثة العائثة *

ثم ان تيمور جدد العزم * وصمم العزم على التوجه الى خوارزم *
وتوجه الى تلك البلاد * من خراسان على طريق استراباد * وكان
سلطانها ايضا غائبا * فاراد ان يولي عليهم من جهته نائبا * فخرج
اليه حسين المذكور وصالحه * واشترى منه الشرور والمقابحه *
وقال له يا مولانا الامير * كنا عندك اسير * ولكن سلطاننا غائب *

واذا اقيم علينا من جهتك نائب * ثم رجع الينا السلطان * فلا بد
ان يقع بينهما شنآن * وانما كان الامر كذا * فربما يصل اليه منه اذى *
فيكون ذلك سببا تاكيد العداوة * ويزداد بينهما البغا والقساوة *
فيمضي حنقك على المسلمين * ويقع فساد والله لا يحب المفسدين *
وهب ان حسين صوفي صار نائبك * فكل الخلق يجب عليه ان يراعي
خدمتك وجانبك * ورأيك اعلى * وانت تتابع مرسوماتك اولى * فسمع
قيور كلامه * وقبل قوله وقوض للرجيل حيث امره * وكان لحسن
المذكور ابن غير فالح * اهمل غير صالح * فكانه فتك بحظية من حظايا
السلطان * وذاع ذلك في المكان * وفاح ذكره في انف الزمان *
فلم يعتد بذلك الفعل القبيح حسين * وقال ان لي على السلطان منا
واي منن * حيث حميت بلده من كل ظلوم كنهاز * وبذلت في ذلك
مالي ووجاهتي ثلث مرار * فلا بد ان يقابل هذه الاصالحة * بالعفو عن
جريمة ولد يحيى المسالحة * فاما آب السلطان من سفره * واطلع
على حقيقة الامر وخبره * قبض على حسن وولده وقتلهما * والقاهما بين
يدي اسد قهرمانه فاكلهما * وخرب ديارهما * ونقل الى خزائنه

شعارهما ودثارهما * ثم لم يلبثها حسين صوفي ان توفي * وولي بعده ابنه
ولده يوسف صوفي * وكان تيمور قبل ذلك قد صاهرهم * وناصرهم
على مخالفيهم وظاهرهم * وزوج ابنه الذي يدعى جهانكير * عقيلة
منهم ذات قدر كبير * وواصل خطير * وزوجه مستنير * احسن من
شهريبن واظرف من ولادة * ولكونها من بنات الملوك تدعى خانزاده *
فولدت له محمد سلطان * وكان في نجابته وآدابه الساطع البرهان *
فلما شاهد تيمور في شمائله مخايل السعادة * وقد فاق في النجابة
اولاده واحفاده * اقبل دون الكل عليه * وعهد مع وجود اعمامه
اليه * لكن عاند الدهر ذلك المظلوم * فتوفي قبله في آق شهر من بلاد
الروم * وسيأتي ذكر ذلك

ذكر توجه ذلك الباقعة * الى خوارزم مرة رابعة * وما
فلما سمع تيمور * ما جرى على حسن من الشرور * تحنق وشد الازم *
وركب الغضب الى خوارزم * واحتلها وقتل سلطانها *
وهدم اركانها وخرب بنيانها * وولى على ما بقي منها نائبا من عنده
ونقل جميع ما امكنه نقله منها * الى مما لك سمرقند * وتاريخ خراب

خوارزم عذاب * كما أن تاريخ خراب دمشق خراب *
٨٠٣ ٧٧٣

ذكر ما كان ذلك الجان * راسل به شاه ولي امير ممالك مازندران *

ثم انه لما كان توجه الى خراسان * راسل شاه ولي امير ممالك مازندران *
وكاتب الامراء المستقلين بذلك المكان * فمنهم اسكندر الجلابي *
وارشيوند وابراهيم القمي * واستدعاهم الى حضرته * كما هو
جاري عادته * فاجابه بالضرورة ابراهيم وارشيوند واسكندر *
وتأبى عليه شاه ولي ذلك الغضنفر * فلم يلتفت الى خطابه وخشن
له في جوابه *

ذكر مراسلة شاه ولي سلاطين العراق * وما وقع
في ذلك من الشقاق وعدم الاتفاق *

ثم ارسل شاه ولي الى شاه شجاع سلطان عراق العجم وكرمان * والى
السلطان احمد بن الشيخ اويس متولي عراق العرب واذربيجان *
يخبرهما بورود خطابه * وصدور جوابه * ثم قال انا ثغركما * وان
انتظم امري انتظم امركما * وان نزل بي منه بائقة * فانها بمالكما
لاحقة * فان ساعدتماني بمدد * كفيتكما هذا الملك * والا فتصيران

كما قيل * شعر *

* مَنْ حُلِقَتْ لِحْيَةُ جارِلَهُ * فَلْيَسْكُبِ الماءَ على لِحْيَتِهِ *

فَأَمّا شاهْ شُجاع فاطَّرَحَ قَوْلَهُ وَرَماهُ * وَهادَنَ تَيْمُورَ كَما ذَكَرْناهُ *

وَأَمّا السُّلْطانُ أَحْمَدُ فَأَجابَ بِجَوابٍ مُهْمَلٍ * وَقالَ هٰذا الأَشَلُّ الأَعْرَجُ

الجُغْتائِيُّ ما عَساهُ أَنْ يَفْعَلَ * وَمِنْ أَيْنَ وَمِنْ أَيْنَ * لِلأَعْرَجِ الجُغْتائِيِّ

أَنْ يَطَأَ العِراقَيْنِ * وَإِنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هٰذِهِ البِلادِ * لَخَرْطَ القَتادِ * وَلَكِمْ بَيْنَ

مَكانٍ وَمَكانٍ * فَلا يَخْلِ العِراقَ خُراسانَ * وَلَئِنْ عَقَدْتَ عَلَى التَّوَجُّهِ

إِلى دِيارِنا نِيَّتَهُ * لَتَحُلَّنَّ بِهِ مَنِيَّتَهُ * وَلَتَرْحَلَنَّ عَنْهُ أُمْنِيَّتَهُ * فَإِنّا

قَوْمٌ لَنا البَأْسُ وَالشِّدَّةُ * وَالعُدَّةُ وَالعِدَّةُ * وَالدَّلُّ وَلَنا النَّجْدَةُ * وَلَنا يَصْلُحُ

التَّشامُخُ وَالتَّأَبِّي * حَتّى كَأَنَّهُ قالَ فِينا المُتَنَبِّي * نَحْنُ قَوْمٌ مُلْجَمُونَ فِي زِيِّ ناسِ *

فَوْقَ طَيْرٍ لَها شُخُوصُ الجِمالِ * فَلَمّا عَلِمَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ شاهْ وَلِيٌّ *

وَأَيْقَنَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُما عَنْ شَجْوِهِ خَلِي * قالَ أَمّا أَنا فَوَاللّٰهِ لَأُرافِقَنَّهُ *

بِعَزْمٍ صادِقٍ وَنَفْسٍ مُطْمَئِنَّهُ * فَلَئِنْ ظَفِرْتُ بِهِ لَأُنْزِلَنَّ بِكُما فِي الأَمْصارِ *

وَلَأَجْعَلَنَّكُما عِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصارِ * وَإِنْ ظَفِرَ بِي فَلا عَلَيَّ ما يَصِلُ إِلَيْكُما *

فَلْيَنْزِلَنَّ القَضاءُ الطّامُّ وَالبَلاءُ العامُّ عَلَيْكُما * ثُمَّ اسْتَعَدَّ لِلِقائِهِ *

واستسلم لقدر الله تعالى وقضائه * ولما تراأى الجمعان * واتصلت
الحرب شقة بالضرب والطعان * ثبت شاه ولي ساعة لما نابه من شره
وفره * ثم ولى الدبر لما لاحظ ما رأى من كره وفره * وتبع السنة
في الفرار مما لا يطاق * وتوجه الى الري اذ ما امكنه التوجه الى
العراق * وكان بها امير مستقل يدعى محمد جوكار * متصرفا بحكومته
في تلك القرى والامصار * وكان كريما شجاعا * وملكا مطاعا * ومع
ذلك فانه دار تيمور * وراعى منه بعض الامور * وخاف سطوته
وبأسه * فقتل شاه ولي وارسل الى تيمور رأسه *

ذكر ما جرى لابي بكر الشاسباني * من الوقايع مع ذلك الجاني *

وكان في بعض ولايات مازندران * رجل يسمى ابا بكر من قرية
تدعى شاسبان * وكان في الحروب * كالاسد الغضوب * وكان
قد اباد وابار * الجم الغفير من عساكر التتار * اذا انتمى في النجال *
لا تثبت له الرجال * واذا وضع العمامه * اقام فيهم القيامه *
ولا زال يكمن بين الروابي والجبال * ويجندل الجنود والابطال *
حتى صارت تضرب به الامثال * وترعد منه الفرائص ولو في طيف

الخيال * فكان القائل منهم يقول لمركوبه اذا علق عليه ارتفاعا *
فتأخر عن الماء ارجل من الحلاء * كأن ابا بكر الشاسباني في الماء
أزين العليق تراه * وقيل لم يتضرر عسكر تيمور في مدة احتباله *
مع كثرة حروبه ومصافاته وابلائه * الا من ثلثة انفار * اضر وا به
وبعساكره غاية الاضرار * وازدادوا كثيرا منهم موارد النار *
احدهم ابو بكر الشاسباني * وثانيهم سيدي علي الكردي وثالثهم امة
التركماني * فاما ابو بكر فقد اذكرونا الله في بعض مضايق مازندران *
تغلب عليه الجغتا من كل مكان * وشد واعليه وجه المخلص *
وشد واحبل المقنص * فالجأوه الى جرف مقابله جرف * مقدار ثمانية
اذرع ما بين البرف الى الجرف * كأن قعره جب النقير * اوواد في قعر
الصعير * فنزل ابو بكر من جواد المضمر * وطفر وطمر من احد
الجرفين الى الآخر * بما عليه من السلاح والمغفر * ولم ينل منهم
ضرا * او نبا كما نبا تابط شرا * ثم اتصل بحاشيته وابادهم * ونقل
الى طاحون الفناء منهم من استكمل دياسهم وحصادهم * ثم ما ادري
اميره الى ما ذا آل * وكيف تقلبت به الاحوال * واما سيدي علي الكردي

فانه كان اميرا في بلاد الكرد * معه طائفة من الخيل المجرد * والرجال
غير المرد * في جبال عاصية * واماكن وعرة منقاصية * فكان يخرج
هو وجماعته * ومن شملته طاعته ويترك على فم المضائق * من قويه
واثق * ثم يشن على عمها كر تيمور الغارات * ويدرك فيهم للمسلمين
الثارات * ويقتطع من حواشيهم * وما يمكنه من مواشيهم * ثم يرجع
الى اوكاره * بما قضى من اوطاره * ولم يزل على ذلك البيات في حيوة
تيمور وبعد ان مات * الى ان ادركته الوفاة فمات * واما امة
التركماني فانه كان من تراكمة قراباغ * وله ابنان قد وضع كل منهما
على قلب تيمور راي داغ * وكانت الحروب والنزال * بينهم وبين امبران
شاه وعساكر الجغتاي لا تزال * وافنوا من جماعتهم عددا لا يحصى *
وجانبا فات الاستقصا * الى ان غدر واحد من المنتشبين اليهم * فطلب
غرتهم ودل عسكر امبران شاه عليهم * فبيتوهم ليلا * واراقوا
من دمهم سيلا * فاستشهد الثلثة في سبيل الله * رحمهم الله *

* قلت * شعر *

* واصعب فتنة تشمت الاعدا * وانكى منه تخذيل الموالي

* وقيل شعر *

* وظلم ذوي القربى اشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند *

* وقيل شعر *

* اذا كان هذا بالاقارب فعلكم * فماذا الذي ابقيتم للاباعد *

ذكر توجه تيمور الى عراق العجم * وخوض شاه منصور غمار ذلك

البحر الخضم *

ولما توفي شاه شجاع * ووقع بين اهله كما مر نزاع * واستقر امر عراق

العجم على شاه منصور * وخلصت ممالك مازندران وولايتها لتيمور *

وكان شاه شجاع قد اوصى الى تيمور ولده زين العابدين كما ذكر

وكل امره اليه * وجد تيمور على شاه منصور طريقا بما فعله من ابن

عمه زين العابدين فاحتج بذلك ومشى عليه * فاستمد شاه منصور

اقاربه * فكلهم صار محاربه * وعاد محاذيه ومجانبه * واقام كل

منهم يحفظ جانبه * فتهيأ لملاقاته وحده * بنحو الفي فارس كاملي العدة *

بعد ان حصن المدينة * وحوطها بالاهبة المكينة * ورتب خيلها

ورجلها * وحرض على التصبر والتربص املها * فقال له اكابر اعيانها *

والرؤس من سكانها * كأنابك في المقتحم * وسل الخيل قد التحم *
وقد منعناه من الوصول اليها * ودافعناه عن الهجوم علينا * وربما جندل لنا
له رجالا * وابطلنا من عشكرة ابطالا * ثم بماذا تصنع انت يا لقى
راكب * مع هذا العمام المتراكم المتراكب * وربما اخل عقلك * او يفل
جندك * فلا ترى لنفسك في الهيجاء * الا طلب الخلاص والنجاء * وتتركنا
لحما على وضم * بعد ان زلت بنا معهم القدم * ولا ينفعنا بعد تاكيد
العقد او ة الندم * ولا يجبر منا ذلك هذا الكسر * الا بالقتل والنهب
والاسر * فوضع يده على دبوسه شاه منصور * وقال هذا الالف في الكاف
السادسة من ام من يفر من تيمور * اما انا فاقاتل وجندي *
فان خذلني جندي ما قاتلت وحدي وبئست في ذلك جدي وجهدي *
وعانيت عليه وكدي وكدي * فان نصرت نلت قصدي * وان قتلت فلا
علي ممن بقي بعدي * وكأني انا كنت الحاضر * والخاطر في خاطر
الشاعر * حين قال

* اذا هم القى بين عينيه عزمة * ونكب عن ذكر العواقب جانبا *

وقيل ان شاه منصور فرق رجاله على قلاعه * واراد بذلك حفظ من فيه

فضاع في ضياعه * ثم جمع رؤساء شيراز واجنادها * وافلاذ
كبدها واولادها * وقال ان هذا عدو ثقيل * وغدر وان كان خارجيا
فهو في بلاد نا دخيل * فالرأي اني لا احصر معه في مكان * ولا اقاتله
بضراب او طعان * بل انتقل في الجوانب * واتسلط انا وسراياي
عليه من كل جانب * فنضع اكنافهم * ونقطع اطرافهم * ونواظبه
بالنهار ونراقبه بالليل * ونعد له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل *
وكلما وجدنا منه غرة * كسرنا منه القفا والغرة * فتارة نتخطه * واخرى
نرمحه * وكرة نجدله ومرة نجرحه * ونسلبه الهجوع * ونمنعه
الرجوع * فتشتد عليه المضائق * وتنسد عليه الطرق والطرائق * فيوان
القصد منكم يا احرار * ويا نمور القفار * ونسور النفار * ان تحتفظوا
بضبط الاسوار * ولا تغفلوا عنها اثناء الليل واطراف النهار * فاني
ما دمت بعيدا عنكم لا يدنو احد منهم منكم * وان حاصركم فقيكم
كفايه * واستودعكم الله وهو نعم الوديعه * وغايته ما تكونون في مدة
البوسا * فقال ارما واعد الله تعالى نبيه موسى * ولله هذا الرأي ما كان
امتنه * وجده هذا القصد ما كان احسنه * ثم انه خرج ذاهبا * وقصد جانبا *

ذكر وقيعة تصلت فحلت وانتصت * ما ابرمه ناد منصور

من عقد حبس حلت *

فبينما هو عند باب المدينة جائز * نظرته سعلاة من عشوزنات الحجائز *

فبدرته بالملام * وآذنته باللمام * ونادت بلسان الاعجام * انظروا

الى هذا التركش بجرام * رمى امر الله * وتحكم في دمائنا * وغادرنا

اخرج ما نحن اليه في مخالب اهل اثنا * جعل الله حمل السلاح عليه

حراما * ولا انجح له قصدا ولا اسعد له مراما * فقد حنت زنادة *

وجرحت نوادة * وتاججت نيران قصبه * واحرق الناس تدبره

شواظ لهبه * وثارت نفسه الابية * واخذته حمية الجاهلية *

حتى ذهب لب ذلك الرجل الحازم * وغلط فامسى وسولعاطه ملازم *

فثنى عنان عزمه * وكز اسنان ازمه * وانثنى لا يبرح من المغارمة *

ولا يرجع في مجلس مقام الحرب من ملازمة المصادمة * وتجعل

ذلك دأبه صباحا ومساه وعشاه * الى ان يعطي الله النصر لمن يشاء *

ثم قابل * ورتب ابطاله وقاتل * وكان في عسكر ناد منصور * امير

هراما نبي مباحثن لتجور * يدعى محمد بن زين الدين * من التجرة

المعتدين * وجال العساكر كان معه * نسارا الى تيورر اكثر
البند تبعه * فلم يبق منهم الا دون الالف * فما فر واحد منهم
من الزحف * فثبت شاه منصور * بعد ان تضعضعت منه الامور *
فلم تزل ثيران الضياء تنطح * وزناد الحرب تورى اذ تنقدح *
وشرار السهام تتطاير * وثمار الرؤس بمناجل السيوف تقطف *
بتناثر * حتى اقبل جيش الليل * وشمر الهزيمة جنح النهار الى الذيل *
فتراجع كل منهم الى وكره * واعمل شاه منصور فكره في مكره *

ذكر ما نقل عن شاه منصور مما اوقع بعسكر تيمور من الحرب

والويل * تحت جنح الليل *
نعمد الى فرس جفول * من بين الخيول * اجمح من داهر رمح *
وارمح من عصر جمح * واتى بها عسكر العدو * وقد اجن الليل في
الهدو * ثم ربط في ذنبها قدرا من النحاس * مملوءة في قطعة بلاس *
وشدها شدة احكم وثاقها * وضرب رأسها نحو العدو وساقها * فجالت
الفرس في العسكر واضطربت * واختطت الناس واجتربت * وانسابت
جل اول السيوف في بطون تلك النحور وانسربت * حتى كان الساعة

افتربت * او السماء عليهم بالشهب انقلبت * والارض بهم اهتزت
وارتبت * وشاه منصور واقف حواليهم * كالبازي المطل عليهم *
يقتل من شاء * ويبقي من شاء * وصاروا كما قيل

* شعر *

* الليل داج والكماة تنتطح * نطاح جد ما اراها تصطلح *
* * فقائم وقاعد ومنبطح * لمن نجا برأسه فقد ربح * *
قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فنى نحو من عشرة آلاف نفس *
فلما تواضع الليل خيامه * ورفع النهار اعلامه * علموا البلاء ليفت
دهاهم * وليت الليل لم يكن فارق ذراهم * ثم ان شاه منصور اصبح
وقد قل ناصره * وذل موازره * فانتخب من جماعته نحوا
من خمس مائة * فجعل يصول بهم صولة الاسد * ويخوض بهم
غمار الموت فلا يأوي امامهم احد طي اجد * ويميل يسرة ويمنة وينتسب *
ويضيح انا شاه منصور الصابر المحتسب * فتراهم بين يديه حمرا مستنفرة *
فرت من قسورة * وقصد مكانا فيه تمور فهرب منه ودخل بين النساء *
واختفى بينهن وغطى بكساء * فما درنه وقلن نحن حرم * واشرن

الى طائفة من العسكر المصطدم * وقلن هناك بغيتك * وبين اولياك
طلبتك * فالوطء راجعا * وتركهن منادعا * وقصد حيث اشرن
اليه * وقد احاطت به جموع العساكر وحلقت عليه * قلت بدبها

* شعر *

* وما حزأ عناق الرجال سوى النما * واى بلاء ما لهن به ابلاء *
* وكم نازر احرقت كبد الوزى * ولم يك الا مكر من لها اصلا *
وكان على فرس فاقت خصالا * فضرب فيهم بسيفين يمينا وشمالا *
وفرسه السبوح كانت تقاتل معه * وتصدم وتكلم من يقرب منها
في تلك المعمعة * وكانه كان ينشد معنى ما قلته في مرآة الادن

* شعر *

* يد الله قوتني فغلبت بدا هم * وملء يدى فيهم بسيفين تضرب *
فصار كلما قصد رعلة من تلك الرعال * افترقت امامه يمينا وشمالا
وان كانوا كلهم من اهل الشمال * ولكن * شعر *
* اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاعظم ما يجنى عليه اجتهاده *
حتى انهكته الحرب * وكلت يداه من الطعن والضرب * وجندلت

ابطاله * وقتلت خيله ورجاله * وتغيرت من كل جهة احواله * وشدت
طرائقه * وشدت مضائقه * وخرست شقاشقه * وضرست فيالقه *
وحمدت بوارقه * وهمدت بياذقه * وحص نجاحه وقص جناحه *
وخف مراحه * واثقله جراحه * وسكتت همهمته * وسكنت
غمغمته * فانفرد عن اصحابه * وقد آذاه الجراح وآوده به *
ولم يبق معه في ذلك البحر * سوى نفرين احدهما يدعى توكل والآخر
مهتر فخر * واخذه الدهش * وغلب عليه العطش * ونشف الروح
والوهج كبده * وطلب شربة ماء فما وجده * ولو وجد ما يبل به ريقة *
اقل راحل ان يقطع عليه طريقه * فرأى الاولى * طرح نفسه بين
القتلى * فاطرح بينهم نفسه * ورمى اهبته وسيب فرسه * وقتل توكل
ونجا فخر الدين * وبه من الجراح نحو من سبعين * وعمر بعد ذلك
حتى بلغ تسعين * وكان من الابطال والمصارعين * فتراجع جيش
تيمور وتضام * وانتعش بعد ان بلغ موارد الحمام * وذلك بعد ان
قتل منهم ما لا يعد * وافنى ليلا ونهارا ما لا يحصى ولا يعد * وطفق
تيمور في القلق * والضجر والارق * لفقد شاه منصور * وعدم الوقوف

على حال ذلك الانسان المصور * امر في الاحياء فيخشى ذكره * ام
انتقل الى دار الفناء فيأمن مكره * فامر بتفتيش الجرحى * والتنقيب
عنه بين القتلى والطرحى * الى ان كادت الشمس تتوارى بالحجاب *
وبعد حسام الضياء من الظلام في قراب * فعند ما ضم دينار البيضاء *
تحت ذيل ملاءة الضياء * وملأ نسائج القترة في جو الفضاء سدا * والليل
اذا سجى * ونثر على سطح هذا الاديم لبنا * دراهم كواكبه الزهراء *
واتسع الظلام واتسق * عثر واحد من الجماعة على شاة منصور وبه
ادنى رمق * فتشبث شاة منصور بذلك الانسان * بل الشيطان
الخوان * وناداه الامان الامان * انا شاة منصور * فاركتم حتى هذا
الامور * وخذ مني هذه الجواهر * وخافت في قضيتي ولا تجاهر *
كأني لا رأيتك ولا رأيتني * ولا عرفتك ولا عرفتني * وان اخفيت مكاني *
وبقلتني الى اخواني واعواني * كذلك كمن اعتقني بعد ما اشتراني *
ومن بعد ما اماتني احياني * وكنت ترى مكافاتي * وتغنم مكافاتي *
ثم اخرج له من الجوهر * ما يكفيه وذريته الى يوم الآخر * فكان
في قصته واستكشاف غصته * كالمستغيث بعمرو عند كربته * فما عتم

ان وثب على شاة منصور * واحز رأسه واتى به الى تيمور * وحكى له
ماجرى بتنجيز المشترى فما صدقه * ولا في كلامه استوثقه * بل اخرج
من قبائله وشعوبه * من عرفه به * فعرفوه بشامه * كانت على وجهه
علامه * فلما علم انه شاة منصور بعينه * وتميز له صدق ذلك الرجل
من مينه * تحنق وتحيف * وتحرق لقتل شاة منصور وتاسف * ثم سأل
ذلك الرجل عن محتده * وعن والده ووالده * وعن قبيلته وذويه *
وطنه وموطنه * فلما استوضح اخباره * علم نجاره ووجاره *
ارسل هوسوفه الى منزل تلك الداره * فقتل اهله واولاده * واعوانه
وانصاره * وآله واحفاده * واختانه واصهاره * وقتله شر قتله
ومحا آثاره * واضاد رمحه ومه وقتله وخرب ديار * ثم ارسل الى
اطراف ممالكه مطالعات * يذكر فيها صور تلك المصافات والمواقعات *
وما شاهد من وثبات شاة منصور وثباته * وغشيانه غمرات الحرب
لضرباته * واما حصل في واقعة القتال على التحديد في صف مرسلاته *
وكيف ازلزلت الغادر يا بلدر وتولت النساء في فتح حجراته * بعبارات
هائله * وكلمات في ميادين الفصاحة والبلاغة جائله * ومن قراءة المطالعات

تقرأ في المنازل والمشاهد * وتتلى في المصادر والموارد * يستفاد منها ذخرا
الآداب * ويعتني بحفظها الكتاب والصبيان في الكتاب * رأيت
في أخبار بعض المعتنين * انه في شوال سنة خمس وتسعين * ورد رسول
صاحب بسطام * يوذن سلطان مصر بالاعلام * ان تيمور * قتل شاه
منصور * وانه تولى على شيراز وتبريز البلاد * وارسل رأسه
الى حاكم بغداد * وامره بالطاعة * هو ومن معه من الجماعة *
وارسل اليه خلعة * وان يضرب السكة باسمه ويخطب بذلك
في الجمعة * فلبس خلعته وأمر * ممتثلا كل ما به امر * وانه علق
راس شاه منصور * بعد ما طافوا به على السور * وما اظن لذلك صحة
ذكر ما وقع من الامور والشرور * بعد واقعة شاه منصور *
فاستولى تيمور على ممالك فارس وارض عراق العجم * وارسل
من داناه من اقارب شاه شجاع وملوك الامم * واستمال الخواطر *
واغتنم البادي والحاضر * ورحل فجاز * على مدينة شيراز * واضطبط
نحوالها * وقرر رفيقها خيلها ورجالها * ونادى بالامان * للقاصي
والداني * فلبت دعوته ملوك البلاد * ولم يسعهم معه الا الاطاعة

والانقياد * فوصل اليه سلطان احمد من كرمان * وشاه يحيى
من يزد وعصى سلطان ابو اسحق فى شيرجان * فانعم وخلع على من
اطاعه واتقاد * ولم يتعرض لمن اظهر العناد * ولم يشق بينه وبين
مخالفيه العصا * واكرم من اطاعه ليوقع بذلك من عصى * وطرح
على شيراز وسائر البلدان بالامان * واقام فى كل بلدة من جهته
نائبا وتوجه الى اصبهان * واحسن الى زين العابدين الذى هو
وصيه من ابيه * ووظف له من الجوامك والادرارات
ما يكفيه وذويه *

ذكر ما صنع الزمان * عند حلوله باصبهان *

فلما وصل الى اصبهان * وكانت من اكبر البلدان * مملوة
بالافاضل * محشوة بالاماثل * وبها شخص من علماء الاسلام *
والسادة الاعلام * قد بلغ فى العلم الغاية * وفى العمل والاجتهاد
النهاية * افعاله مبرورة * وكراماته مشهورة * ومآثره
مذكورة * ومحاسنه على جبهة الايام مسطورة * وهو معتقل
المسلمين * وكان اسمه امام الدين * وكان اهل اصبهان يذكرون

لَهُ تَبُورُ * وَيَحْذَرُونَ مِنْ شِرَّةِ أَيِّ مَحْذُورٍ * فَيَقُولُ لَهُمْ مَا دُمْتُ فِيكُمْ
حَيًّا * مَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُ شَيْءٍ * فَإِنِّي وَقَانِيَ الْأَجَلُ * فَكُونُوا مِنْ أَذَاهُ
عَلَى وَجَلٍ * إِتَّفَقَ أَنَّهُ فِي وُصُولٍ تَفُورُ * تُوُفِّيَ الشَّيْخُ الْمَذْكُورُ * فَأَصْبَحَتْ
أَصْبَهَانُ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ نُورًا عَلَى نُورٍ * فَتَضَاعَفَتْ
حَسْرَتُهُمْ * وَتَرَدَّدَتْ كَسْرَتُهُمْ * فَوَقَعُوا فِي الْحَيْرَةِ * وَصَارُوا كَأَبِي
هُرَيْرَةَ * رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ يَقُولُ
* لِلنَّاسِ هَمٌّ وَلِي فِي الْيَوْمِ هَمَّانِ * نَقْلُ الْجِرَابِ وَقَوْلُ الشَّيْخِ عُجْمَانِ *
* فَخَرَجُوا إِلَيْهِ وَصَالَحُوهُ عَلَى حَمْلِ أَمْوَالٍ * فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ لِاسْتِخْلَاصِهَا
الرِّجَالَ * فَوَزَّعُوهَا عَلَى الْجِهَاتِ * وَفَرَضُوا عَلَى الدَّارَاتِ وَالْمَحَلَّاتِ *
وَتَفَرَّقَ فِيهِمُ الْمُسْتَخْلِصُونَ * فَكَانُوا يَعِيثُونَ فِيهِمْ وَيَعْبَثُونَ * وَاسْتَطَالُوا
عَلَيْهِمْ فَجَعَلُوهُمْ كَالْخَدَمِ * وَتَوَصَّلُوا إِلَى أَنْ مَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى الْحَرَمِ *
فَاشْتَكَوْا مِنْهُمْ أَيَّ شِكَايَةٍ * فَرَفَعَ أَهْلُ أَصْبَهَانَ إِلَى رَئِيسِهِمُ الشِّكَايَةَ *
وَكَثُرَتْ مِنْهُمُ الشَّكْوَى * وَهُمْ قَوْمٌ لَهُمْ حَمِيَّةٌ * قَالُوا الْمَوْتُ عَلَى هَذِهِ
الْحَالَةِ * خَيْرٌ مِنَ الْحَيَوٰةِ مَعَ هَذِهِ الِاسْتِطَالَةِ * فَقَالَ لَهُمْ رَئِيسُهُمْ إِذَا أَقْبَلَ
الْمَسَاءُ * فَإِنِّي أَضْرِبُ الطَّبْلَ لَكِنْ لَا تَجِيئُوا كَمَا * فَإِذَا سَمِعْتُمُ الطَّبْلَ قَدْ دُقَّ *

فالقول قول حق * فليقبض كل منكم على نزيله * ولمحتكم منكم بسمين رأيه
وهزيله * فاتفقوا على هذا الرأي المعكوس * والامر المنكوس في الطالع
المنحوس * وقصروا ايدي انظارهم السقيمة * عن قصاري هذه الامور
الوخيمة * ولما تعرى العنان من ثوب نوره * وايذل الجو قامة
تشمره * ومضى هزيع من الليل * ضرب الرئيس الطبل فحل
بالمستخلصين الويل * فقتلوهم وكانوا نحوا من ستة آلاف * فاصبحوا
وقد غرسوا في دوح المعضلات اغصان الخلاف * فاثمر ذلك لهم
الجور بعد الكور * وبان لهم البور فاصخوا بورا بهذا البور * ولما سل
الفجر حسامه * وحسر الليل لثامه * بلغ ثمور ذلك الصنع المشوم *
فنفخ الشيطان منه في الخيشوم * فارتحل من فوره * واستل عضب
غضبه ونثل جعبة جوره * وتوجه الى المدينة مزمجرا * مضراع *
متكلما متأسفا متنمرا * فوصل اليها * واخذ عليها وامزاليه فاء ان
تسفك * وبالحرمات ان تهتك * وبالارواح ان تسلب * وبالاموال
ان تنهب * وبالعمران ان تخرب * وبالزروع ان تحرق *
وبالضروع ان تشرق * وبالاطفال ان تطرح * وبالاجساد

أن تجرح * وبالاعراض ان تظلم * وبالذمم ان تعلم ولا تسلم *
وان يطوى بساط الرحمة * وينشر مسح النقمة * فلا يرحم كبير لكبره *
ولا صغير لصغره * ولا يوقر عالم لعلمه * ولا ذو ادب لفضله وحلمه * ولا شريف
لنسبه * ولا منيف لحسبه * ولا غريب لغربته * ولا قريب لقرابته
وقرابته * ولا مسلم لاسلامه * ولا ذمى لذمامه * ولا ضعيف لضعفه *
ولا حامل لركاكة رأيه وسخفه * وبالجملة فلا يبقى على أحد *
ممن هو داخل البلد * واما اهل المدينة فاعلموا انه ليس للجدال
مجال * فضلا عن ضراب وقتال * وان قبول الاعذار محال *
وانه ليس ينجيهم من ريب المنون * مال ولا بنون * ولا يقبل منهم
في تلك الساعة * ولا ينفعهم عدل ولا شفاعة * فتحصنوا بالصبر
الاضطرار * وتدرعوا دروع الاعتبار * وتلقوا سهام القضاء
من حنايا المنايا بحسن تسليم المراد * واستقبلوا ضربات القدر
من سيوف الحتوف باعناق التفويض والانقياد * فاطلق في ميادين
رقابهم عنان السهام البتار * وجعل مقابرهم بطون الابل والقفار
وحواصل الاطيار * ولازالت عواصف الفناء تعيثهم من اشجار الوجود

حتى * حصروا على القتلى فكان نحو ست مرار من امة يونس بن متى *
فاستغاث بعض البصراء * لواحد من رؤس الامراء * وقال التقية
في البقية * والرعاية في المرعية * فقال ذلك الامير * للسائل الفقير *
اجمعوا بعض الاطفال عندك بعض القلل * فلعل ان يلين قلبه عند
رؤيتهم شيأ ما عسى ولعل * فامتثلوا ما به امر * ووضعوا شرذمة
من الاطفال منه على الطرف * ثم ركب ذلك الامير مع تيمور واخذ به
على تلك الاطفال ومر * ثم قال انظر يا مخدوم * نظر الراحم الى المرحوم *
فقال ما هؤلاء الا طرحاء الاشقياء * فقال اطفال معصومون *
وامة مرحومون مترحومون * استحر القتل بوالديهم * وحل غضب
مولانا الامير على اكابرهم وذويهم * وهم يستعصمون بعواطفك الملوكية
وصغرهم * ويستشفعون اليك بذل لهم وضعفهم ويتمهم وفقرهم
وكسرهم * ان ترحمهم وتبقي على من بقي لهم * فلم يحيروا جوابا *
ولا بذلوا خطابا * ثم مال بعنان فرسه عليهم * ولم يظهروا انه بصر بهم
ولا نظر اليهم * وما لبث معه تلك الجنود والعساكر * حتى اتى منهم
على الاول والاخر * فجعلهم طعمة للسنابك * ودقة تحت اقدام

أولئك * ثم جمع الاموال * واوسق الاحمال * ومال نحو الحجا الى
سمرقند بما قل ثمن * وكم بين هذه الامور والقضايا * من ذوات
وبلايا * واخبار وحكايات وتحليل سرايا * وتولية وعزل * وتبديل
بقي صورة بحر واحد في صورة هزل * وبناء وهدم * وصلح وردّ * وتعمير
تخاصم وتخريب عامر * وتهاون واتقان * وتقاعد وتوان * ومناجشات
مع علماء * ومناظرات مع كبراء * ورفع وضعاء * ووضع شرفاء * وتمهيد
قواعد * وتقريب باعد * وتبعيد داني * وبروز مراسيم الى كل قاص
ودانٍ * الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر * ولا يضبط بديوان ولا دفتر *

ذكر ضبطه طرف المغل والحجا * وحاصل ما منه في تلك الاماكن واتى *

ولما وصل الى سمرقند اوسل ابن ابنه محمد سلطان بن جهانكير *
مع سيف الدين الايمور * الى اقصى ما تبلغ اليه مملكته * وتنقل فيه
كلمته * وهو وزراء سبعون شرقاسوا * آخذا في تحرير مما لك المغل
والحجا والخطا * نحوا من مسيرة شهر * عن مما لك ماوراء النهر *
فضبطوا مما لك الرمل والبقاع * وتبدوا فيه لجملة من القلاع *
واقصاها بلد يسمى اشبارة * فضبطوا فيه خمسا جميعا معدا للنهب

والغارة * وخطب من بنات الملوك ملكة اخرى * وكانت الاولى تدعى الملكة الكبرى والاخرى الملكة الصغرى * فاجابهم ملكهم الى ما سألوا * وآناب الى ما طلبه منه بالاطاعة وبذل * وارتجت منه اقاليم المغل والخطا * وذلك لما بلغهم مما فتك * في كل طرف وبتك * من بلاد الاسلام وسطا * وكان السفير في ذلك الله داداخا هيف الدين المذكور * وهو الذي استخلص اموال دمشق ونزل في دار ابن مشكور * وامر تيمور ببناء مدينة على طرف سيحون من ذلك الجانب * وعقد اليها جسرا على متن النهر بالمراسي والمراكب * وسماها شاه رخيه * وهي في اماكن رخيه * وسبب تسمية ابنه شاه رخ بهذا الاسم * ووسم هذه المدينة بهذا الوسم * انه كان على عادته * مشغولا بلعب الشطرنج مع بعض حاشيته * وقد امر ببناء هذه المدينة على هذا الساحل * وكانت احدى حظاياه معه وهي حامل * فرمى على خصمه شاه رخا * فقبل خصمه ذلك وارتحى * وبينما خصمه قد وقع في الاين * اذا بمبشرين جاءا مخبرين * احدهما ببشره بولد * والاخر ببشره بتمام عمارة البلد * فسماهما بهذين الاسمين *

وسمهما بهذين الوسمين *

ذكر عود ذلك الانعوان * الى ممالك فارس وخراسان * وفتكه بملوك
اهراق العجم * واستصفائه تلك الولايات والامم *

ثم عاد * بعد تمهيد البلاد * وتوطيد قواعد ممالك تركستان *
الى بلاد خراسان * فاستقبله الملوك والامراء * والسلاطين والوزراء *
وسارعوا اليه من كل جانب * ما بين راجل وراكب * فامتين دعوته *
فاذعنين سطوته * مغتنمين خدمته * وسلموه الانجاد والاغوار *
والاطواد والقفار * والقرى وسكانها * والمدن وقطانها * والقلاع
العاصية * وربطوا بذيل امره كل ناصية * ممتثلي اوامره * مجتنبي
زواجره * عاقدين نطاق عبوديته بانامل الاخلاص * تابعين رائد
مرضاته على تجانب الولاء والاختصاص * فمنهم من مر ذكره
من المطيعين * ومن كانوا في الشواهق ممتنعين منيعين * ومن جملتهم
اسكدار الجلابي احد ملوك مازندران * وارشيوند الفارسكوهي ذلك
الاسد الغضبان * صاحب الجبال * الشوامخ العاصية الطلال *
وابراهيم القمي صاحب النجان * والمعد لكل شدة * واطاعه السلطان

ابو اسحق من شيرجان * فاجتمع عنده من ملوك عراق العجم سبعة عشر
نفرا ما بين سلطان وابن سلطان وابن اخي سلطان * كلهم في ممالكه
ملك مطاع * مثل سلطان احمد اخي شاه شجاع * وشاه يحيى ابن
اخي شاه شجاع سوى ملوك مازندران * وسوى ارشيوند وابراهيم
وملوك خراسان * ولما سلك السلطان ابو اسحق نمط اقاربه في الطاعة
وعمل على ذلك الطرز * خلف ببلده شيرجان نائبا يقال له كود رز *
فاتفق في بعض الايام * انه اجتمع عنده تيمور وهؤلاء الملوك العظام *
فكانوا عنده في خيمة له وهو بينهم وحده * فاشار واحد منهم الى شاه يحيى
وقد امكنت الفرصة * ان يقتله ويرفع عن العالم هذه الغصة * فاجابه
بعض وامتنع بعض * وقال لمن رضي بذلك من لم يرض * ان لم
تكفوا * وعن هذا المقال تعفوا * اخبرته بهذه المقالة * واطلعته على هذه
الحالة * فامتنعوا عن هذا الرأي المتين والفكر الرصين * لاختلافهم
ولا يزالون مختلفين * وكأنه طالع احوالهم او تفرس اقوالهم *
فاضمرها في نفسه ولم يبد لهم * ثم مكث اياما * وجلس للناس جلوسا
عاما * وقد لبس ثيابا حمرا * ودعا بهؤلاء الملوك السبعة عشر طرا *

ثم امر فقتلوا جميعا في ساعة واحدة ضيرا * ثم لما ابادهم * ضبط بلادهم * وجمع
طريفهم وتلادهم * وقتل اولادهم واحفادهم * واقام في مما لكهم
اولادة * وامرآءة واحفادة واسباطه واجنادة * وسبب قتله هؤلاء الملوك
وفتكه * وتمزيقه شر تمزيق وهتكه * ان بلاد العجم كانت لا تخلو
من الملوك الاكابر * ومن ورث الملك والسلطنة كابرا عن كابر * وهي
ممالك واسعه * اطرافها شاسعه * مدنها وافره * وقراها متكاثره *
واوتادها راسخه * وعرانين اطوادها شامخه * ومخدرات
قلاعها ناشزه * ومضمرات مكامنها ومعاقلها غير بارزه * وكواسر
اكاسرها كامره * ونواشر جوارحها للظهور ناشزه * ونمور رعازها
طامره * وبحور شطارها طافره * وثعابين ابطالها في جداول الجدال
ظاهره * وتماسيح اقيالها في بحار الضراب قاهره * فنظر تيمور بعين
بصيرته * في وذيلة تامله ومرآة فكرته * فراى انه لا يزلزله زعازعها
من شوكة عارض * ولا يضعضع ركن ثغر فائضها من شارب معارض *
ولا يثبت له في بنيان ممالكها اساس محكم * ولا ينبت له في بستان
ممالكها غراس ينعم * وكان قصده ابقاء ما تيسر * واجراء امره

على ما اقتضته التورة الجنكيزخانية فيها * فلم يمكن عمل فلاحة لسلطنته في بسيط ارضها * وسوق انعامها واميرة في ضرائب ممالكها طولها وعرضها * الا بقلع علاليق انساب اكابرها * وكسر قوادم اخشاب احساب اكاسرها * فسعى في استيصال فرعهم واصلهم * واجتهد في اهلاك خريفهم ونسلهم * وجعل لا يسمع لهم ببزرة نطفة في ارض رحم الا قلعها * ولا يشم منهم رائحة زهرة في كم كمين الا قطعها * وقيل انه كان في مجلس فيه اسكندر الجلابي وكأنه كان مجلس نشاط * ومقام انشراح وانبساط * فسأل اسكندر * في ذلك المحضر * وقال ان حكم القضاء بافساد دينتي * من تراه يتعرض لاولادي وذريتي * فاجابه وهو في حالة الشطح * وقد حلت عليه دماغه ووضع سراج العقل منها فوق السطح * اول من ينازع اولادك المشائيم * انا وارشيونل وابراهيم * فان نجا من مخاليبي منهم احد * فانه لا يخلص من انياب ابراهيم الاسد * وان افلت احد منهم من ذلك البتن * فانه لا مخرج له من شراك ارشيونل * وكان ارشيونل وابراهيم غائبين * فلم يتعرض تيمور لاسكندر بضرر وشين * واراد بالابقاء عليه * وقرعه

مع صاحبيه * فلما افاق اسكندر ليم على ما قال * فقال لا مفر
من قضاء الله ولا مجال * ولا عتب في ذلك علي * انطقني بذلك الله
الذي انطق كل شيء * ثم ان اسكندر وابراهيم هربا * فقبض على ارشيونذ
والقاه في النار عاث فصار رمادا * وهتك حريم عمره اذ جزعه اول الرعد
واقرأه اخر نوح وسبا * ثم ان اسكندر لم يزله اثر * ولا سمع عنه
الى يومنا هذا خبر * وكان كبير الهامه * طويل القامة اذا مشى
بين الناس كأنه علامه * حتى قيل ان مدى ذلك القصر المشيد * كان
نحوا من ثلثة اذرع ونصف بالحديد * وابراهيم القمي استمر
على انكماشه * ثم مات على فراشه * فكان ذلك * سبب ايراد الملوك
والعلماء هم المهالك * فصل * ثم ان تيمور عصى عليه كودرز في قلعة
شيرجان * وقال ان مخدومي شاه منصور موجود الى الان * وكان
هذا الكلام * فاشيا في الخاص والعام * فكان كودرز يتوقع ظهوره *
ويزجي على ذلك اعوامه وشهوره * فحاصر تيمور قلعة شيرجان * فلم
يفلح له عليها سلطان * فوجه اليها عساكر شيراز ويزد وابرقوه وكرمان *
واضاف اليهم عساكر سجستان * وذلك بعد ان شملها العمران *

وكان نائبها يدغمي شاه ابا الفتح فحاصروها نحوا من عشرين
وهم ما بين ظاعنين عنها وعليها مقيمين * وهي بكر لا تفتح لطالبها بابا *
وعانس لا يملك خاطبها منها خطابا * وكان تيمور لنكزمان * شخصا
يدغمي ايدكو من اخوان السلطان * وكان هو المشار اليه * ومن العسكر
هو المعول عليه * ولما تحقق كودرزمن شاه منصور وفاته * وخذله
الانصار واعجزه الانتصار وفاته * وكان ابو الفتح يراسله كل ساعة *
ويتكفل له عند تيمور بالشفاعة * اذ عن للصلح * واستعمل ان لك
ابا الفتح * ونزل مترامیا عليهم * وسلم الحصن اليهم * فحنق ايدكو
عليه * لكون عقد الصلح لم ينحل على يديه * فقتله من ساعته *
ولم يلتفت الى ابي الفتح وشفاعته * فاخبر تيمور بذلك * وكان
في بعض الممالك * فغضب عليه غضبا شديدا ولكن فاتت التدارك

فصل

مما يحكى عن ايدكو فتى امتولي كرمان انه كان بها
للسلطان * احمد اغي شاه شجاع ولدان صغيران * احدهما يدغمي
سلطان مهدي والآخر سليمان خان * وكان سليمان خان في غاية
الحسن واللطافة * حاويا معاني الملاحة والظرافة * معجبا بالكمال *

مربي بالدلال * ألفاظه رائقه * ولحاظه رائقه * والأرواح إليه
تائقه * وأرباب الألباب له عاشقه * حركاته في القلوب ماتنه *
ولفتاته للخلق فاتنه * كما قيل * شعر *
* نسيم عبير في خلاله ماء * وتمثال نور في أديم هواء *
وحمزة إذ ذاك ستة أعوام * ولكن ففتن به الخاص والعام *
فعزم ابن كوطل إغلافهما * وإلحاقهما بأسلافهما * ولم يكتف
من تلك الدرة بأنها صارت يتيمة * ولا رق لأمهما التي خربت ديارها
لكونها مخدرة كريمة * ولم يكن له مدافع * ولا عنهما مانع *
فطلب من الجلادين من يعتمد في ذلك عليه * فلم تطب نفس أحد ان
تمتد يده بمكروه إليه * ومضى على ذلك مدة * والخلق بسبب هذه
القضية في ضيق وشدة * حتى وجد واعبد الأسود * كأنه للبلاء مرصد *
وكأن الشياطين له عبيد * والعفاريت له جنود وحشد * وثوب ليل
القهر من سدا سواده انتسج * وأصل الشجرة التي طلعها كأنه رؤس
الشياطين من حية فؤاده نبت فنتج * يستلذ عند صدى صوته خوار
الثيران * ويستحسن عند خيال صورته مشاهدة الغيلان * قلت

* شعر *

* زبانية البيران بكره وجهه * وحين ترا ه تستعيل جهنم *

قد نزع الله من قلبه المرحمه * وجعل فوا ده على المأتمه * فارغبوه

في أن يختلسها * ويقتلها * وكانت عين عليها ان رمدا *

وقد سكن في حجرة ايته وتهدا * فدخل عليه ذلك الظالم

من غاية * واغتاله وهو راقد في حجرة ايته * فضربه في جنبه

بخنجر * انفذه من الجنب الآخر * فارتفع الضجيج والولوله * ووقع

العجيج في الناس والزلزله * وعم الماتم امه الوالهة واهلها * وطفق

الناس يبكون عليها ولها * والظاهر ان هذه الامور * كانت باشارة

تيمور * وعسكر ذلك الظالم الكفار * ما كان يخلو عن مثل هذه الشرور

والاشرار * ولو كان فاعله من غيرهم * لكن لعلة المصاحبة

والمرافقة كان يسير بسيرهم

* حكاية *

لما ارتحل من الشام بجنوده الغزيره * كان معه راحل منهم اسيره *

كشفت ايدي النوائب قناع عصمتها ولطمتها * وعلى يدها بنت لها

رضيع فقطعتها * فلما قربوا الى حماه * جعلت البنت تأنّ انين الاراه *
ولما بها من المضض المنكي * تتنكد وتبكي * وتعهم جمال من بغى اذ *
مغطوط على الفساد * محتوم على النكاد * مجبول على الغلاظة والقساوة *
معمول من الفظاظة والغباوة * ممتلئ من البلا * متضلع من الاذى *
لم يخلق الله تعالى في قلبه من الرحمة شيأ فينتزع * ولم يودع لسانه
لفظا من الخير فيستمع * فاخذت تلك البنت من امها * تذارفي وهيها
انه انما اخذها ليخفف من همها * وكانت راكبة على جمل * ثم انقطع
ساعة من الثقل * ثم وصل وبذلك حاليه * وتهقهقه عاليه * فاستكشفت
امها حالها * فقال مالي ومالها * فهوى عقلها ورمى * فطرحت نفسها
ونحت نحوها * فاخذتها وانقلبت * واتت بها وركبت * فتناولها
منها مرة اخرى * على ان لا يسومها ضرا * ثم غاب عنها ورجع *
وقد صنع كما صنع * فالقت نفسها ثانيه * وعدت اليها ثانيه * وجاءت
ومي عانيه * وقطوف حتوفها دانيه * فركبت واخذتها * ووضعتها
على كبدها التي منها فلذتها * فاخذها منها مرة ثالثه * بنية
في الفساد عابثه * وحلف لها بيمينا حانثه * انه يحملها وينوء * ولا يسقيها

يهود * فحملها ما عه * ثم خرج عن سنة الجماعه * ورمى بها في بعض
البطاح * ومثل بها ما فعله اليهودي بصاحبة الاوضاح * وجاء
ويك الدامغه * بالاثم ملآن ومن البنت فارغه * وقد سلبها سلبها * وجلب
الى امها جلبها * فاطرحت نفسها باكيه * ورامت الرجعى جاريه *
فقال لها لاتتعبي * كفيتك همًا ما رجعي وراكبي * نبكت وصاحت *
وانّت وناحت * ووقعت في العناء وان كانت استراحت * والناس
على دين ملوكهم * سالكون طرائق سلوكهم *

سبب دخوله الى عراق العرب * ان كان ايذار لا يحتاج الى علة وسبب
ولما خلص لتيمور جميع ممالك العجم * ودانت له الملوك والامم *
وانتهت مراميه الى حدود عراق العرب * غضب السلطان احمد صاحب
بغداد وقطرب * فجهز جيشًا عرمرمًا * وجعل رئيسهم اميرًا مقدامًا
مقدامًا * يدعى سنتائي * فتوجه الجيش نحو الجغتائي * فبلغ
تيمور خبر الجيش وخبره * فسر بذلك قلبه وانشرح صدره * فجعل
ذلك سببًا لمحاربة ملك العراق ومناوشته * وانفذ جيشًا كرارًا * بل بحرًا زخارًا * فتلاقيا بضفة نيه * على ملتقة

سلطانيه * فيصدق كل منهما صاحبه الضرب * ويسد لنجدة السنة الاسنى
وسهام الحرب * واستمد بحر الجغتائي من افواج اهواجه واصطدم *
فانكسر في قساطله قنيات جند سنتائي فانهزم * ووصل كلهم الى بغداد *
وتشتتوا في البلاد * فالتمس السلطان احمد سنتائي المقنعه * واشهره
في بغداد بعد ان ضربه واوجعه * وكف تيمور عن عنادة * وقفل
متوجها الى بلاده *

ذكر سكون ذلك الزعزع الناثر * وقد رد ذلك البحر الماثر * لتطمئن منه
الاطراف فيحطها كما يريد ويديرها الدوائر *

ثم ان تيمور خرج من سمرقند الى ضواحيها * وجعل يتنقل في جوانبها
ونواحيها * وبنى حواليها قصبات * سماهن باسماء كبار المدن
والامهات * وقد صفت له سمرقند ولاياتها * وما لك ما وراء
النهر وجهاتها * وتركستان وما فيها من البلاد * ونائبها من جهة
يدعى خدايداد * وخوارزم التي بها فتلغ وسطا * وكاشغر وهي في بحر
ممالك الخطا * وبلخشان وهي ممالك على حدة * عن ممالك سمرقند
مبتاعدة * واقاليم خراسان * وغالب ممالك ماوزران *

ورستمدار وزدار لشكان وطبرستان * والري وغزني واستراباد *
وسلطانية وسلماس تلك البلاد * وجبال الغور المنيعة * وعراق العجم
وفارس الشامخة الرفيعة * وكل ذلك من غير منازع * ولا مجادل
ولا ممانع * وله في كل مملكة من هذه الممالك ولد *
او ولد ولد او نائب معتمد *

تموذج مما كان يغور * ذلك الظلوم الكفور * من عساكره في الجوز * وبغوص
في آمو * ثم بغور * بشرور ومن جملة ذلك غوصه هما وراء النهر
وخروجه من بلاد اللور *

ثم انه مع اتساع مملكته * وانتشار هيبته وصولته * وشيوع اراجيفه
في الاقطار * وبلوغ تخاويفه الاقاليم والامصار * وثقل اثقاله *
وعدم اختفاء توجهه الى جهة وانتقاله * كان يجري في جسد العالم * مجرى
الشيطان من ابن آدم * ويدب في البلاد * دبيب السم في الاجساد * قلت

* شعر *

* يصوب يمنة ويصيب يسرة * وينوي جبهة والقصد نثرة *
بينا يكون له في المشارق يارق فيالقي * اذ لمع له في الغرب بوارق

بوائق * بينما نغمات طبوله وضربات اعواده تقرع في جدار العراق
واصبهان وشيراز * واذا بوقات اوتاره وبوقات ابواقه تسمع
في مخالف الروم ومقام الرماوي وركب الحجاز * فمن ذلك انه مكث
في سمرقند مشغولا بانشاء البساتين وعمارة القصور * وقد امنت
منه البلاد واطمأنت الثغور * فلما انتهت امورة * وبلغ الكمال
قصوره * امر بجمع جنده * الى سمرقند * ثم امرهم ان يصنعوا لهم
قلانس ابتدعها * وعلى صورة من التركيب والتضريب اخترعها *
فيلبسونها ويسيرون * وما بين لهم الى اين يصيرون * ليكون ذلك لهم
شعارا * وقد كان ارصد له في كل جهة من ممالكه خشارا * ثم رحل
عن سمرقند * واشاع انه قاصد خجند * وبلاد الترك وجند * ثم انه
فاجأ مس * في درد وعسكره وانقمس * كأنه في لجة بحر الغمس *
ولم يشعر احد اين عطف * ولا الى اين قصد المختطف * ولا زال في تأويب
واسآد * وجوب بلاد بعد بلاد * يجري جري المراكب * ويسير سير
الكواكب * ويطرح ما وقف وكل من نجائب النجائب * حتى نبغ
من بلاد الثلور * ولم يكن لاحد به شعور * وهي بلاد عامرة * خيراتها

متكاثرة * وقواكهها وافرة * اسم قلعتها بورو حرز وحاكمها عز الدين
العباسي * وقلعتها وان كانت في الحضيض لكن كانت تسامي بمناعتها
حصون الجبال الرواسي * وهي مجاورة همذان * ومناظرة عراق
العرب كاذربيجان * فاحاط بالقلعة وما حواليها وحاصر ملكها
المتولي عليها * ولما كان صاحبها بلا عدد * ولا عدد ولا اهبة
ولا مدد * وكان في صورة المتوكل المحتسب * واتاه البلاء من حيث
لا يحتسب * لم يسعه الا طلب الامان * والانقياد له والاذعان *
فنزل اليه وسلمه قياده * فقبض عليه وضبط بلاده * ثم ارسله الى
همرقند وحبسه * وضيق عليه نفسه ونفسه * ثم بعد ذلك بمدة خلفه
ورفع عنه مانابه * وصالحه على جمل من الخيل والبغال ورده الى بلاده
واستنابه * ولما استخلص ذلك الكفور * ولايات تلك الكفور * واصل
السير الى همذان * في اقرب زمان * فوصل اليها واهلها غافلون *
فجاءها البأس بياتا اوهم قائلون * فخرج اليه منها رجل شريف يقال له
مجتبى * وكان عند الملوك مصطفى ولديهم مرتضى * فشفع فيهم
فشفعه على ان يبذلوا مال الامان * ويشتروا باموالهم ما من عليهم

به من الارواح والابدان * فامتثلوا امره وفعلوا * وزوزعزاذلك
فجمعوه والى خزائنه نقلوا * فدعته نفسه الجانيه * ان طرح عليهم
المال مرة ثانيه * فخرج اليه ذلك الرجل الجليل * ووقف في مقام
الشفاعة مقام البائس الذليل * فقبل شفاعته * ورهبه جماعته *
ثم انه سدك بمكانه وجثم * حتى تلاحق به عسكره والتأم *
ابتداء تخريب ذلك الخرب * اذ ربيجان ومملك عراق العرب *
ولما بلغ السلطان احمد بن الشيخ اويس * ما فعله بغنم رعايا جيرانه
الدور وهمدان ذلك الاويس * علم انه لابد له من قصد مملكته
وديارة * لانه هو باداه بالشر وطرح على شرارة طائر شرارة *
وان عسكره وان كان كالسيل الهامر فانه لا مقاومة له بعشره وتياره *
وانه اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى * ولا مقابلة لشجرة فرعون
مع عصا موسى * قلت * شعر *
* السيل يقلع ما يلقاه من شجر * بين الجبال ومنه الصخر ينفطر *
* حتى يواتي عباب البحر تنظره * قد اضمحل فلا يبقى له اثر *
فاستعد للبلاء قبل نزوله * وتأهب له قبل حلوله * فتشمر للزيمه *

وعلم ان ايابه يسلمه الغنيمه * وانه قصر من بسيط فقد المقاتلة
والمقابلة على الوجيز * وصمم على الخروج من ممالك بغداد والعراق
وتبريز * وقال لنفسه النجاء النجاء * وجهز ما يخاف عليه صحبة ابنه
السلطان طاهر الى قلعة النجاء * وارسل الى تيمور الاشعار في الهجاء *

فمن ذلك ما ترجمته وهو * شعر *

* لئن كانت بلادي في الحرب سلاً * فرجلي في الهزيمة غير عرجا *
ثم قصد بلاد الشامية * وذلك في سنة خمس وتسعين وسبعمائة *
في حيوة الملك الظاهر ابي سعيد برقوق رحمه الله تعالى * فوصل تيمور
الى تبريز * ونهب بها الذهب والعزيز * ووجه الى قلعة النجاء العساكر *
لانها كانت معقل السلطان احمد وبها ولده وزوجته والذخائر *
وتوجه هو الى بغداد ونهبها * ولم يخربها ولكن سلبها سلبها * وكان
الوالي بالنجاء رجلا شديد البأس يدعى التون * عند السلطان
احمد مأمون وله البه ركون * ومعه جماعة من اهل النجدة *
وازلي البأس والشدة * نحو من ثلثمائة رجل في العدة * وكان ينزل بهم
التون * اذا احندس الليل في السكون * ويشن الغارة على تلك العساكر

والمكان المسكون * فوهن امر العسكر * فابلغوا تيمور هذا الخبر *
فامدهم بنحو اربعين الف مقاتل مشهور * مع اربعة امراء كبيرهم يدعى
قبلغ تيمور * فوصلوا الى القلعة ولم يكن اذ ذاك التون فيها * وكان
قد خرج الناس للغارة على من في ضواحيها * فبينما هو راجع *
اذا بالنقع ساطع * فلما اطلع طلع الخبر * قال اين المفر * فقيل
كلا لا وزر * فعلم انه لا ملجأ من الله الا اليه * فثبت جاشه وحاشيته
وتوكل عليه * وقال ان الرؤس في مثل هذا المقام * انما يكونون تحت
الاعلام * فاحتموا نحو قلب هؤلاء اللئام * فاما ان تبلغوا او تموتوا
على ظهر الخيل وانتم كرام * اذ لا ينجيكم من هذا الكرب * سوى
الطعن الصادق والضرب * قلت * شعر *
* كريما مت وان لا مت لئيما * فما والله بعد الموت موت *
فتعاضدوا بهمة صادقة * وعزيمة على حصول الخلاص من الله تعالى
واثقة * وقد احاطوا بهم احاطة الشبكة بالسمكة * وصاروا في وسطهم
كالمغزل في الفلكة * وقصدوا الراية وحاميها * ومن يليها وذويها *
فساعدهم ساعد السعد اللحيان بنصرته * ورحل عنهم القبض الداخل

أنيس عقلته * فاسألوا على راياتهم ذات البياض من اللمى ما عمره *
وفتحت لجماعتهم طريق الى عتبة النصرة * فلاح لهم فلاح * ونجح
لهم نجاح * فنجوا من الشرور * وحصل لهم السرور * بعد ان قتلوا
من العسكر أميرين احدهما قبلغ تيمور * ولما وصل هذا الخبر اليه *
اسودت الدنيا في عينيه * بل انقلب الكون والمكان عليه * ثم نهض
اليها بنفسه * وربض عليها بحربه * واحاط بجوانبها * والقم
الحرس افواه مضاربها *

صفة قلعة النجاء

وهذه القلعة امنع من العقاب * وارفع من السحاب * يناجي السماك
سماكها * ويباهي الافلاك استمساكها * كأن الشمس في شرفها *
تمرس من الابريز على بيض شرفها * وكأن الثريا في انتصابها * تذيل معلق
على بابها * لا يحوم طائر الوهم عليها * فانى يصل طائش السهم اليها *
ولا يتعلق بخدم خدمتها خلجان خيال واقتكار * فضلا ان يحلق على معصم
عصمتها من عساكر الاساورة سوار * وكان التون قد تربى في ترائب
ترابها * واهل مكة اخبر بشعابها * فصار كلما سجى الليل الساجم * وارصد

لسراق الشياطين عيونه الرواجم * ومطمن تلك الطلل * وسرى
سرى طيف الخيال * ودب دبيب السقم في اللحم * والماء في العود
والنار في الفحم * من درب لم تتوهمه الظنون * بعون من لا تزاله
العيون * بحيث لا يشعر به الحرس * ولا يبصره العسس * ولا يزل
يتلو عليهم آيات الاغفاء * وينفث بطلسماته الاستخفاء * ويتقرب
ويترقب * حتى يلوح له في الحي مضرب * فيقتل ويسلب * وينهب ويهرب *
فيكر سالما * ويغر غانما * فلم يزل ذلك دأبهم وديدنه * حتى اعجز تيمور
واصحابه * فلم يرتيمور اوثق من الارتحال * لضيق المجال * وعدم
المنال * فارتحل عنها بعد ان رتب عليها للحصار الجزك * واستمر
بالحصار مدة طويلة والقضاء يقول له اصبر فانها ان تعجزك * قيل انها
مكثت في الحصار اثنتي عشرة سنة * وسبب اخذه لها ان الثون
المذكور * كان له اخ بالفسق مشهور * فحصل بينه وبين ام السلطان
طاهر * خيانة اوجبت عليهما ما يجب على الغاهر * فاطلع على ذلك
طاهر ابن السلطان احمد * فقبض عليهما وقتلهما سالكا في ذلك الرأي
الاحمد * وكان اذ ذاك الثون عن القلعة غائبا * قد خرج منها

وقصد الغارة جانبا * فلما رجع التون اغلقوا باب القلعة عليه *
رموا باخيه من فوق السور اليه * واخبروه خبره * وعجره وبجره *
فقال جزاكم الله احسن الجزاء * وجعل حظكم من الخيرات اوفر
الاجزاء * لو كنت عالما فعله * او حاضرا قتله * لعاملته بما هو اهله *
وفعلت به ما يجب فعله * واحل به من الزمان دواهيه * ولاريتكم
العبر فيه * ولاشهرته في خلق الله تعالى وبريته * وناديت عليه
هذا جزاء من يخون ولي نعمته * ثم طلب الدخول * فقطعوه عن
الوصول * فقال اما اخي فانه جنى فذاق ثمرة ما جناه * واما انا
فقلبي على الوفاء بعهدكم من الازل الى حين وفاه * ولم ازل موالي
وليكم * ومعادي عدوكم * فان طردتموني فالى اين اذهب *
وان رددتم رغبتي فيكم ففيمن ارغب * فقالوا ربما ادركتك الحمية *
ولحقتك العصبية * فتذكرت اخاك * وتفكرت شدتك بعد رخاك *
فنقمت * وانتقمت * واعوججت بعد ما استقمت * وتكدر منك
ما صفا * وناهيك قصة الاخوين مع ذات الصفا * وقلت

* شعر *

* ويُمكن وَصْلُ الحَبْلِ بعدَ انقطاعِهِ * ولكنَّهُ يبقى بهِ عُقدةُ الرَّبطِ *
فانشأ لهم ايمانًا واثقة * انَّ كلماتهِ وعهودهُ صادقة * فقالوا لهُ
لا تُطِلْ فما حبيت * مالكَ عندنا مقيلٌ ولا مبيت * فارجع من حيثُ
جئت * وهذا آخرُ العهدِ منك غضبت أم رضيت * فاخذ يلوم
دهره * ويأكل يده ندامة وحسرة * على انهُ انفق عمره * في طاعة
من لم يعرف قدره * ثم دنى فتدلى * وعبس وتولى * وسيب فرسهُ
وماله * وفرق خيلهُ ورجاله * ولما لم يكن لهُ ملجا * سوى قلعة النجا *
وقد خرجت من يده * والقت النار في كبده * ضرب اخماسًا لاسداس *
فيمن يقصدهُ من الناس * ثم اورث برأيهِ الزلل * ان يقصد مدينة
مرزل * وكانت تحت حكم تيمور * وفيها اوامرهُ تمور * فسالمها * وقصد
حاكمها * لا بسالبدا * وتاركًا مالاً وولدا * ولما اتصل بحاكمها
الخبر * احاط بهِ الجبن والخور * فاضطرب واقشعر * واضطرم
واعتكر * واخذ الحذر * ورام المفر * فقيل انهُ وحدهُ * من غير
رجال وعدهُ * فرجع عقلهُ اليهِ * ودخل الشؤن عليهِ * فاخذ في التحريش
من امورهِ * ثم قطع رأسهُ وارسلهُ الى تيمورهِ * فتحرق لذلك

وانتكى * وتأسف عليه وبكى * وارسل الى قاتله فعزله * ثم صادره وقتله * ثم ان السلطان ظاهر لما احدث من الحدث * وتنجس بهذه الخبائث والخبث * لم يمكنه الاقامة فاذن بالرحيل * وانه بجماعته قبلة التجويل * اذ نشز عنه مخدراته القلعة فعجز من احصان تحصينها * وعنن في انتضاض ابكارها وعونها * وقل جيشه وانفل * فسلم متاعه منها وانسل * فذل لتيمور رضعا بها * وفتح له من غير معالجة بابها * فولى فيها من يثق به من الاعوان * ورصى به لعلة المجاورة الشيخ ابراهيم حاكم شروان * ثم ثنى عنان الفساد * الى صوب بغداد * فهرب السلطان احمد كما ذكر الى الشام في فئة * وذلك في شوال سنة خمس وتسعين وسبعمائة * فوصل اليها حادي عشرة يوم السبت * فكبتها ومن حواليها اي كبت *

ذكر اخبار صاحب بغداد * واسماء آبائه والاجداد * وكيفية دخوله الى هذه البلاد *

وهو السلطان مغيث الدين احمد بن الشيخ اويس بن الشيخ حسن بن حسين بن اتبغا بن ايلكان * صاحب بغداد واذربيجان * وما اضيف

الى ذلك * من ولايات ومماليك * وايد كان جده الاعلى ابن القان
الكبير التتبين * شرف الدين سبط القان ارغون بن ابغا سعيد *
كان والده الشيخ اويس * من اهل الديانة والتيمن * ملكا عادلا *
وامامًا شجاعًا فاضلا * مؤيدًا منصورًا * صارمًا مشكورًا * قليل الشر *
كثير البر * صورته كسيرته حسنة * وكانت دولته تسعة عشرة سنة *
وكان محبًا للفقراء * معتقدًا للعلماء والكبراء * وكان قد ابصر في
منامه * لوقت مواخاة حمامه * ثم صدر رضوه قبيلة عن ولاية بغداد
قاصدين دياربكر وارزنجان فاشتغل لحلول فوته * ورحل نزول
موته * وخلع من الملك يده * وولاه حسينا ولده * وهو اكبر بنيه *
والافضل من اهله وذريه * ونبذ اداني الدنيا ده * واقبل على طاعة
مولاه * واستعطفه الى الرضى * والعفو عما مضى * ولازم صلوته
وصيامه * وزكوته وقيامه * ولا زال يصلي ويصوم * حتى ادركه ذلك
الوقت المعلوم * فاظهر سره المصون * وتلا اذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون * فدرج على نهج الطريقة الحسنة *
وقد جاوز نيفًا وثلاثين سنة * ومن مغرب تبريز قفل قمره * وفي سنة

ست وسبعين وسبعمائة وصل الى الشام خبره * واستقر ولده جلال الدين
حسين مكانه * وافاض على رعيته فضله واحسانه * وكان كريم
الشمائل * جسيم الفضائل * وافر الشهامة * ظاهر الكرامة * اراد
ان يمشي على سنن والده * ويحيي ما درس من رسوم آثاره ومعاهده
فخذل له الاقدار * وخالفت صفو مساعيه الاكدار * وفي سنة
ثلث وثمانين وسبعمائة * وصل من قصاده الى الشام فتنه * وهم
القاضي زين الدين علي بن جلال الدين عبد الله بن نجم الدين
سليمان العبايغي الشافعي * قاضي بغداد وتبريز والصاحب شرف
الدين ابن الحاج عز الدين الحسين الواسطي * وزير السلطان
وغيرهما * ثم في جمادى الآخرة من هذه السنة وثب السلطان احمد
على اخيه المشار اليه فقتله * وقام لينصر الملك والدين مكانه فخذل له *
فملأ جفن حيوته من الغناء سنه * وعمره اذ ذاك نيف وعشرون
سنة * ولما استولى السلطان احمد على ممالك العراق * مد يد تعديه
وضم جناح الشفقة والارفاق * وشرع يظلم نفسه ورعيته * ويذهب
في الجور والفساد يومه وليلته * ثم بالغ في الفسق والفجور * فتجاور

بالعاصي وتظاهر بالشروز * واتخذ سفك الدماء الى سلب الاقراض
وظلم الاعراض سلما * فقيل ان اهل بغداد مجوه * واستغاثوا بتيمور
فاغيثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه * فلم يشعر الا والتتار قد دهمته *
وعساكر الجغتائي خيلا ورجلا حطمته * وذلك يوم السبت المذكور *
من الشهر المشهور فاقتحموا بخيلهم رجله وقصدوا الاسوار * ولم
يمنعهم ذلك البحر التيار * ورماهم اهل البلد بالسهام * وعلم احمد
الله لا ينجيه الا الانهزام * فخرج فيمن يثق به قاصدا الشام * فتبعه
من الجغتاي طائفة لئام * فجعل يكر عليهم ويردهم * ويغزو منهم
فيطعمهم * وحصل بينهم قتال شديد * وقتل من الطائفتين عدد
عديد * حتى وصل الى الحلة * فعبر من جسرها فمر دجله * ثم قطع
الجسر * ونجا من ورطة الاسر * واستمرت التتار في عقبه *
تكاد انوفها تدخل في ذنبه * فوصلوا الى الجسر وقد مقطوعا * فتراموا
في الماء وخرجوا من الجانب الآخر ولم يزالوا تابعا ومتبوعا * ففاتهم
ووصل الى مشهد الامام * وبينه وبين بغداد ثلاثة ايام *

ذكر ما فعله من الخديعة والمكر * في بلاد ارزنجان وديار بكر *

فوصل الى ديار بكر واستخلصها * ومن ايدي ولاتها خلصها * فعصت عليه قلعة تكريت * فسلط عليها من عساكره كل عفريت * وذلك يوم الثلثاء رابع عشر ذي الحجة * وقد ارتجت منه البلاد اشد رجة * فحاصرها واخذها في صفر بالامان * ونزل اليه متوليها حسن بن بولتمور متذرع الاكفان * وفي حضنه وعلى عاتقه اطفاله * وقد ودعه اهله وماله * واسلمته خيله ورجاله * وذلك بعد ان عاهده ان لا يريق دمه * فارسله الى حائط فقضه عليه ودمه * وقتل من بها من رجال * وسبى النساء واسر الاطفال * وجعل يعيث ويفتاصل * ويقطع في الفساد ويوصل * حتى اناخ يوم الجمعة حادي عشرين صفر سنة ست وتسعين الى الموصل * فاخربها وكسرها * ثم اتى رأس عين ونهبها واسرها * ثم الى البرها تحول * ودخلها يوم الاحد عشرة شهر ربيع الاول * فزاد عيثا وفسادا * وجار فيما عاث ثمود وعادا * وخرج من تلك البلد * ثاني عشرة يوم الاحد * ثم اختار من نسور قومه طائفة * على ورد الماء حائمة * على قتل المسلمين عاكفة * فاخذهم واندفر * وفي ممالك ديار بكر انغمر * ولم يزالوا بها عاثين * ولاذاها قاصدين *

وعلينا ظالمين * وفيما مازدين * بنقصد ما بتلك العقاريت المصالبت *
وواصل البير اليها فوصل في خمسة ايام من تكريت * ومسافة ما بينهما
للجيد * اثنى عشر يوما ان لم يتردد * وكان سلطانها الملك الطاهر تحقق انه
لا يضر من التجأ اليه * وقدم في ثوب الطاعة عليه * فما وسعه الا
التشبث بذيل ذمه * والانتظام في سلك خدمه *

ذكر ما جرى لسلطان ماردين عيسى الملك الطاهر *
* من المحنة والبلاء مع ذلك الغادر الماكر *

لكنه خاف غائلته * فجمع حاشيته وصاغيته * وقال اني ذاهب
الى هذا الرجل ومظهر له الانقياد * فان رد نبي حسبما اريد فهو
المراد * وان طالبني بالقلعة * فكونوا معي على التأبي والمنعة * واياكم ان
تسلموها اليه * او تعتمدوا في الكلام عليه * وان دار الامر بين تسليم
القلعة وبين اتلافي * فاحتفظوا بالقلعة واجعلوا اتلافي في تلافي *
فانكم ان تسلموها اليه خرجتم من باطنكم وظاهركم * واتى بالهلاك على اولكم
وآخركم * وخسرتم شعاركم ودثاركم * وغبنتم انفسكم وديارکم *
واذا كان كذلك فانا اجعل نفسي فداكم * واكفيكم بروحي

بلادها كم * وبعض الشراهون من بعض * وها أنا احبس لكم النبض *

ثم قصد ذلك الكالح * المفسد الطالح * بعد ما استخلف ابن اخيه

الملك الصالح * شهاب الدين احمد الملك السعيد * اسكندر بن

الملك الصالح الشهيد * ونزل يوم الاربعاء خامس عشرين شهر ربيع

الاول سنة ست وتسعين وستمائة * واجتمع به في سلخه بمكان يسمى

الهلالية فقابله بشنعه * وقبض عليه بسرعه * وطلب منه تسليم

القلعة * فقال القلعة عند اربابها * وبيد اصحابها * وانا ما املك

الا نفسي فقد مننت بها عليك * وقد مننت بها عليك * فلا تحملني فوق طاقتي *

ولا تكلفني غير استطاعتي * فاتي به القلعة وطلبها منهم فابوا * فقدمه

اليهم ليضرب عنقه او يسلموها فتاولا * فطلب منه في مقابلة الامان *

ثمن الدراهم الفضية مائة تومان * كل تومان ستون الفا * خارجا

عما يقرب به اليه زلفى * ثم انه شد وثاقه * وسد عليه ليذهب عنه

ما به من قوة كل باب وطاقه * وشمر للفساد ذيله * وجعل يريح رجله

ويسمن خيله * ويتقوى كما يتقوى الفساد * ويعربد على عباد الله

ويلاده * واستمر على ذلك لا يعنى ولا يفيق * ويتردد ما بين الفردوس

الى رسمل ونصيبين والموصل العتيق * ثم امر عساكره في جمادى
الاخرة ان يمروا قاصدين * ويقصدوا ماردين * فسابقوا الطير *
ولاحقوا السير * وجاوزوا بالنهار الانهار * وبالليل السيل فقطعوا قفار
القفار * قطع الهندي * وصلوا في تلك الجبال والتلال بما قاله
الكندي * وهو * سموت اليها بعد ما نام اهلها * سمو حباب الماء
حالا على حال * فوصلوا اليها على غفلة * واحتوروا عليها من غير مهلة
وذلك يوم الثلثاء ثاني عشرة * وقد سل الصبح حسام فجره * وطار
غراب الليل جبنا عن وكره * فصاروا سوار معصم تلك الاسوار * واحاطوا
الى ما رماته يد الدار * فعموها رجفا * وسموها خسفا * وهدموها
زحفا * ودكوها دكفا * وتعلقوا باهداب ارجائها * وتسلقوا بالسلالم
من ارضها الى سمائها * وكان متسلقهم على الاسوار * من القبيلة الابية
اليهود ومن الغرب التلول ومن الشرق المنشار * فاحتلوا المدينة عنوة
وقهرا * وملأوها فسقا وكفرا * وترفع اهل المدينة الى القلعة * ولم يكن
احد سواهم علوا المنزلة والرفعة * واكوهدوا ملتجئين الى قرارتها
وخوافيها * وذب عنهم من القلعة بالسهام والمكاحل من كان فيها *

فقتلوا من ظفروا به ذكرا وانثى صغيرا وكبيرا * ولم يرتضوا بما فيها
نهبا ومن فيها اسيرا * فجال بعض الناس واظهر لهم بعض الجلادة *
وارادوا بتثبيته لهم ان يضم اليها دالبي الشهادة * ولا زالت آيات
القتال عليهم تتلى * حتى امتلأت المدينة من الجرحى والقتلى *
واستمر ذلك من قبيل طلوع الشمس * الى ان صار اليوم امس * وحين
التقى على وجنتي الكون عارضا الليل * واستوفى اولئك المطففون من
اظلهم وتعديهم الميزان والكيل * وبادرنون الظلام * يونس الشمس
بالاختفاء * طرا على تلك الحركات السكون * فتراجعوا ونزل العسكر
بمقابل عزبون * وقد قتل من العسكريين ما سمق العدد * وانكثوهم
بكان من اهل الميل * فلبثوا يعدن ان السلاح ويثقفونه * ويتظرون
الصباح ويستبطؤنه * الى ان شق الليل مكتوم جيبه * واظهر الظلام
مكنون غيبه * وامر الكون وجه الفنا ان يضرب على جنبتي الآفاق
اطواف شيبه * بكرا والبكور والغراب * وابدوا الى الخراب والخراب *
وحصروا اهل المدينة وحصروها اشد حصر * وهدموها وايسوا منها
من الظهر فجعوا آثارها بعد العصر * ثم يأوا بالاثام *

18338

وقد انتشر كظلمهم الظلام *

ايضاح ما اخفاه من الحيله * وصلود زيد تلك الافكار الوبيله *
ولما آب ليله بالخيبه * ولم يمكنه تحصيل القلعة بالهيبه * شحن فكرا *
ورتل دمكرا * وتاب عن المقاتله * وثاب الى المطاوله * فرد ذلك
الجيش في مصادرة ذلك الخميس * وارسل اليهم يقول * ضمن كتلف
ربع المحصول * تعلم امن قلعة ما ترد * ان الضعفاء والعجزة للبقاء كين *
فاقبل عفونا عنهم واعطينا هم الامان على نفوسهم واولادهم فلبوا منوا
وليطاعوا النا الادعية ومنى الرسالة نقلتها كما وجدتها * فما اشبهت
كيدة * ولا انجح قصده * لان رصفاءها كانوا غير راقدين * وشياطين
رجمها كانوا كفي ما يرد ين * فما وتحل ذلك الرأي الكرة المسبت
الى البشير يل * وارسل الى آمل الخنود * مع اميرهم على سلطان
محمود * فتوجه بجيش طام * فاحاصرها خمسة ايام * فارسل
يستمد عليها * فتوجه بنفسه اليها * فاحلها الهوان * فطلبوا
الامان * فامن البواب * ففتح له الباب * فدخل من باب التل * ووضع
السيف في الكل * فابادا الجميع * العاصي منهم والمطيع * واسروا

الصغار * وهتكوا استار الحرم وحرم الاستار * واذاقوا الناس
لباس الباس * والتجى بعض الناس الى الجامع * فقتلوا منهم نحو الف
واربعمائة * ثم حرقوا الجامع * ورحلوا وتركوها بلاقع * فهذا
اخبارهم * الى قلعة ارجيش * ثم بادر بالتحريك * وحط على قلعة
اوزنك * وبها مضر بن قرا محمد امير التركمان * فحاصروها واخذوها
بالامان * وذلك في سنة ست وتسعين وستمائة بعد عيد رمضان *
ثم قتل كل من كان بها من الجند * وصير مضر الى سمرقند *

* فصل *

ثم استصحب الملك الظاهر يسوء نيه * ورحل سابع ذي القعدة سنة
ست وتسعين وستمائة وحبسه في مدينة سلطانية * وحبس عندها
من امرآئه الامير ركن الدين * وعز الدين السليماني واستنبوغا
وضياء الدين * وضيق عليه بان يقطع عن اهله خبره * بحيث
لا يدري احد عجره وبجره * ولما تخنيه شد الوثاق * قصد التوجه
الى دشت قفجاق * فاجرى نحوها اقام من الفتنة على قدم وساق *
وملك الملك الظاهر سنه * لا يدري احد خبره في يقظة ولا سنه * ثم وفدت

الملكة الكبرى الى سلطانيه * وخففت عنه ما به من ضيق وبليه *
وفسحت له في مراسلة جماعته * وحرضته على طلب الدخول في رضى
تيمور وطاعته * زاعمة انها ناصحة له وطالبة مصلحته * وكان ذلك
من مكايد تيمور ومباشرته * ثم رجع تيمور من الى شت في شعبان *
سنة ثمان وتسعين فمكث بسلطانية ثلاثة عشر يوما ثم توجه الى
قمدان * ومكث بها الى ثالث عشر شهر رمضان * ثم استدعى طغا
سلطانية الملك الطاهر * باكرام تام وانشراح ضد وخاطر * فقلدوا قيوده
وقيود متعلقيه * وعظموه غاية التعظيم مع ذويه * وتوجه اليه يوم
الخميس خامس عشره * ودخل عليه يوم السبت سابع عشره *
فتلقاه بالاحترام واعتنقه * واذهب عنه دهشه وقلقه * وقبله
في وجهه مرارا * واعتذر اليه مما فعله معه جهارا * وقال له انك
لله ولي * ورفيع القدر كابي بكر وعلي * وتحلل منه * عما صدر في حقه
عنه * واضافه ستة ايام * وخلع عليه خلع الملوك العظام * واحله
محلا جميلا * واعطاه عطاء اجزيلا * من ذلك مائة فرس وعشرة
بغال * وستون الف دينار ركبكيه وستة جمال * وخلعا مزركشة مكللة *

وانعاماتٍ وافرةً مكمّلة * ولواءً ينخفق على رأسه منصورا * وستّة
وخمسين منشورا * كلّ منشورٍ بتولية بلد * وان لا ينازعه فيه أحد *
أوّل ذلك الرها الى آخر ديار بكر * الى حدود اذربيجان وارمينية
وكلّ ذلك من الماء والبرّ * وانّ جميع حكّام تلك البلاد يكونون
تحت طاعته * معدّ ودين في جملة خدمه وجماعته * يحملون
اليه الخراج والخدم * ولا ينقلون الّا عن أمره قدّما عن قدم *
بحيث يكون شخص كلّ من مجاوريه بما أفاء الله لظلّه فيأ * ويعفى هو
فلا يحمل الى تيمور ولا الى غيره شيأ * وهذا وان كان في الظاهر
كالاكرام * فانه فيما يؤول اليه وبال عليه وانتقام * وفيه كما ترى ما فيه *
والقاء العداوة بينه وبين مجاوريه * وينجرّ ذلك الى ان يلتجيء
اليه * ويعوّل في كلّ اموره عليه * ويدخل لكثرة الاعداء تحت ضبنه *
فيصل اذ ذاك منه الى خضنه * ثمّ انّه شرط عليه * انه كلّما طلبه جاءه
اليه * ثم عانقه وودّعه * وامر امرأته بتشييعه فخرج من الضيق
الى السعه * ثالث عشرين شهر رمضان ليلة الجمعه * سنة ثمان
وتسعين وسبعمائة فوصل الى سلطانيه * في عيشية رضية * وحالة

هنيه * ثم عزم على تبريز * في جحفل نفيس عزيز * واجتمع بأميران
شاه * فزاد في إكرامه وعطاياه * وشيعه في احسن صيته وايمن طور *
فجاء على وسطان وبل ليس وارزن الى الصور * ووصل خبره الى قيائله
والعشائر * فابتهج الناس ودقت البشائر * فوصل يوم الجمعة حادي
عشرين شوال * وخرج اهل المدينة والاكابر للاستقبال * وسبق
الناس ولي عهده الملك الصالح * فدخل المدينة بفال سعيد وامر
ناجح * وتوجه الى مدرسة حسام الدين * وزار والده واموات
الماضين * وعزم على ترك التخت المنيف * والتوجه الى الحجاز
الشريف * فلم يتركه الناس خاصة وعامه * وترامو اعليه وقبلوا
اقدامه * فصعد الى محل كرامته * واستقر في كرسي مملكته *
وسياتي لهذا الشان مزيد بيان * وما جرى من الامور * عند قدوم
تيمور * وحلول عسكره الشام * ما ردين بعد خرابهم ممالك الشام *
قيل لما استقر الملك الظاهر في مملكته * اجتمع عنده جماعة من ادباء
زمانه حضرته * فاقترح عليهم ان يقولوا في ذلك شيأ فقال اولا
بدر الدين حسن بن طيغور * شعر *

* طغى تمرد استأصل الناس ظلمه * وشاعت له فى الخافقين الكبائر *

* لقد زاد بغيا فارحوا بزواله * لان طى الباغي تدور الدوائر *

فقال ركن الدين حسين بن الاصغر احد الموقعين ثانيا * شعر *

* كن من رجال اذا ما الخطب نابهم * ردوا الامور الى الرحمن واعتصموا *

فسلموا الامر لما ان رأوا خطرا * لذى الجلال فلما سلموا سلموا *

فقال القاضي صدر الدين بن ظهير الدين الحنفي السمرقندي ثالثا *

* شعر *

* طويل حيوة المرء كاليوم في غد * فخيرته ان لا يزيد على العدد *

* ولابد من نقص لكل زيادة * وان شديد البطش يقتص للعبد *

ثم قال علاء الدين بن زين الدين الحصني احد الموقعين رابعا وبيت *

* شعر *

* لا تحزن فالذي قضى الله يكون * والامر موكل الى كن فيكون *

* ما بين تحرك بلحظ وسكون * الحالة تنقضي وذا الامر يهون *

فاعجبه ذلك واجازه خمسة آلاف درهم * وصرفه والله اعلم *

ذكر رجوعه من ديار بكر والعراق * وتوجهه الى مهامه قفجاق * ووصف

ملوكها ومماليكها * وبيان ضياعها ومسالكها *

ثم انه رجع من عراقي العرب والعجم * وقد ثبتت له في ممالكها اية قدم *

وذلك بعد ان قدم عليه الشيخ ابو ابهيم * وسلمه مقاليد ما يليه *

من اقاليم * فتقلد طوق عبوديته * ووقف في مواقف خدمته *

وانتظم في سلك عبده * واجله محل ولده * وسنذكر كيف تغرب *

ومن اي طريق تقرب اليه * فقصد دشت قفجاق * وجد في الوخد *

والاعناق * وهو ملك فسيح * يحتوي على مهامه فيح * وسلطانها توقتا ميشن *

وهو الذي كان في حرب تيمور امام السلاطين المخالفين كاليشن *

اذ هو اول من بالعداوة بارزه * وفي بلاد تركستان واقفه وناجزه *

وانجده في ذلك كما مر للسيد بركه * وبلاد الدشت تدعى بلاد قفجاق *

ودشت بركه * والدشت باللغة الفارسية اسم للبرية * وبركة

المضاف اليه هو اول سلطان * اسلم ونشر بها رايات الملة الاسلامية *

وانما كانوا عبادا وثنان * واهل شرك لا يعرفون الا سلام

والايمان * ومنهم بقية يعبدون الاصنام الى هذا الاوان * فتوجه

الى ذلك الاقليم * من طريق الدربند الجاري تحت حكم الشيخ

ابراهيم * وهو سلطان ممالك شروان * ونسبه متصل بالملك كسرى
انوشروان * وله قاض يدعى ابا يزيد * يفضل على جميع اركان
دولته بالقرب اليه ويزيد * هو دستور مملكته * وقطب فلك سلطنته *
استشارة في امور تيمور وما يفعله * ايطيعه ام يتحصن منه ام يغر
بقاتله * فقال له الفرار في رأيي اصوب * والتحصن في الجبال الشواهق
ارتق عندي وانسب * فقال ليس هذا برأي مصيب * انجوا نا واترك
رعيتي ليوم عصيب * وماذا احبك يوم القيامة رب البريه * اذا رعيت
امورهم واضعت الرعيه * لا عزمت ان اقاتله * وبالحرب والضرب
اقابله * ولكني اتوجه اليه سريعا * واتمثل بين يديه سامعا لامره
مطيعا * فان ردني الى مكانتي وقررني في ولايتي * فهو قصدي وغايتي *
وان آذاني او عزلني * او حبسني او قتلني * فتكفي الرعية مؤنة القتل
والنهب والاسار * فيولي اذفا كي عليهم وعلى البلاد من يختار *
ثم امر بالاقامات فجمعت * واذن للجيوش فتفرقت وتمنعت * وبملك
الولايات ان تتزين وتتزوق * وبسكانها براً وبحراً ان تأمن فتعامل
وتتأنق * وبالخطب ان تقرأ فوق المنابر باسمه * وبالدنانير والدراهم

ان تضرب بوسمه ورسمه * ثم حمل التقادم والخدم * وتوجه
اليه باطيب جاش واثبت قدم * ولما وفد عليه * وتمثل بين يديه *
قدم الهدايا والتحف * وانواع الغرائب والظرف * وعادة الجغتاي
في تقديم الخدم ان يقدموا من كل جنس تسعه * لينالوا بذلك عنده
المهد اليه الكرامة والرفعه * فقدم الشيخ ابراهيم من كل جنس
من اصناف ما قدمه تسعه * ومن المماليك ثمانيه * فقال له المتسلمون
لذلك واين تاسع المماليك فقال التاسع نفسي العانيه * فاعجب
تيمور هذا الكلام * ووقع من قلبه بمكان ومقام * وقال له بل انت
ولدي * وخليفتي في هذه البلاد ومعتمدي * وخلع عليه خلعة سنيه * وردة
الى مملكته مستبشرا ببلوغ الامنيه * ثم فرقت تلك الاقامات * وتوزعت
القواكه والطعامات * ففضل منها امثال الجبال * عن ذلك العسكر
الذي هو كالحصا والرمال * ثم تركه وسار * الى بلاد الشمال والتتار *
وسبب آخر لقصده تلك الممالك * وان كان لا يحتاج الى ذلك * ان الامير
ايدكو كان عند توقتا ميش احد رؤس امرآء الميسره * والاعيان
المتخلين في النائبات لدفعها وارباب الرأي والمشوره * وقبيلته

قد عن توبكومات * وقبائل الترك كقبائل العرب واللغات كاللغات *
وكان ايدكو قد احس من مخدومه تغيرا طرحا فت منه على نفسه *
وكان توقتاميش شديد البأس فخشي منه حلول بأسه * فلم يزل منه
متحرزا * وللفرار اذا رأى منه ما يقتضي ذلك مستوفزا * وجعل يراقبه
ويراقبه * ويداريه ويداريه * ففي بعض ليالي السرور * ونجوم
الكامات في افلاك الطرب تدور * وسلطان الخمرة * قد انقل في اجيز
العقل امره * طفح توقتاميش الى ان قال لايدكو * ونور البصيرة يخبو
ويذكو * ان لي ولك يوما * يسومك الخسف سوما * ويوليك من موائد
الحيوة صوما * ويملأ عين بقائك من سنة الفناء نوما * فغالطه
ايدكو باسطه * وقال اعيذ مولانا الخاقان * ان يعقل على عبد
ما خان * وان يذوي غراسا هو انشاه * او يهوي اساسا هو بناه *
ثم اظهر التذلل والخشوع * والتمسكن والخنوع * وتحقق ما كان
ظنه * واعمل في وجه الخلاص ذهنه * واستعمل في ذلك الذكاء
والفطنه * وعلم انه ان اهمل امره او امهله انه * فمكث قليلا واشتغل
السلطان * ثم انسلت من بين الحواشي والاعوان * وخرج

في لبّاجه * كأنّه يريد قضاء حاجه * وأتى اصطبل توقتاميش * بجائش
غير جيش ولا بطيش * وعمد الى فرس مسرجه * منجيه منجبه * أتيحت
بعده * لكل شده * وقال لبعض حاشيته * الموتمن على سرّه من فاشيته *
من أراد أن يوافيني * فعند تيمور يلاقيني * ولا تفش هذه الأسرار *
إلا بعد أن تحقق أني قطعت القفار * ثم تركه وسار * فلم يشعر به
إلا وقد سبق * وركب طبقاً عن طبق * وقطع على أنوال السير الطول
الشقق * فلم يدركوا منه الآثار * ولا لحقوا منه ولا الغبار * ووصل
الى تيمور وقبل يديه * وعرض حكاياته وأخباره كما جرت عليه *
وقال إنت تطلب البلاد الشاحطه * والأماكن الوعرة الساقطه *
وتركب في ذلك الأخطار * وتقطع فقار القفار * وتتلو أسفار الأسفار *
وهذا المغنم البارد نصب عينك * تدركه هنيأ مريأ بهينك ولينك *
فقيم التواني والتناعس * وعلام التقاعد والتقاعس * فانهض بعزم
صميم * فانا لك به زعيم * فلا قلعة تمنعك * ولا منعة تقلعك *
ولا قاطع يدفعك * ولا داخع يقطعك * ولا مقابل يقابلك * ولا مقاتل
يقاتلك * فما هو إلا أوشاب وأوباش * وأموال تساق وخزائن بأرجلها

مَوَانِئ * ولا زال يحرضه على ذلك ويطالبه * ويقتل منه فى الذروة
والغارب * كما فعل معه عثمان قزاياوك حين جاء الى تبريز بوسواسه *
وحرضه على دخوله الشام بعد قتله السلطان برهان الدين احمد
ومحاصرة سيواسه * كما يذكر * فتهيأ تيمور بأوفى حركه * الى استخلاص
دشت برکه * وكانت بلادا بالتتار خاصه * وبانواع المواشي وقبائل
الترك غاصه * محفوظة الاطراف * معمورة الاكناف * فسيحة
الارجاء * صحيحة الماء والهواء * حشمها رجاله * وجنودها نباله *
افصح الاتراك لهجه * وازكاهم مهجه * واجملهم جبهه * واكملهم
بهجه * نساؤهم شموس * ورجالهم بدور * وملوكهم رؤس *
واغنياؤهم صدور * لا زور فيهم ولا تدليس * ولا مكر بينهم ولا تلبيس *
دابهم الترحال على العجل * مع امان لا يدانيه وجل * مدنها قليله *
ومراحلها طويله * وحد بلاد الدشت من القبلة بحر قلزم الظلوم
الغشوم * وبحر مصر المنقلب اليهم من بلاد الروم * وهذا ان
البحران * كادا يلتقيان * لولا ان جبل الجركس بينهما برزخ
لا يبغيان * ومن الشرق تخوم ممالك خوارزم وانزار وسغناق *

الى غير ذلك من البلاد والآفاق * آخذاً الى تركستان وبلاد اليغتا *
متوغلاً الى حدود الصين من ممالك المغول والخطا * ومن الشمال
مواضع وبراري وقفار ورمال كالجبال * وكم في ذلك من تيه * تحير الطير
والوحش فيه * وهو كرض اكابر الزمان غاية لا تدرك * ونهاية
لا تسلك * ومن الغرب تخوم بلاد الروس والبلغار * وممالك النصارى
والاشرار * ويتصل بتلك التخوم * ما هو جار تحت حكم ابن عثمان من ممالك
الروم * وكانت القوافل تخرج من خوارزم وتسير بالعجل * وهم آمنون
من غير ريب ولا وجل * والى قريم طولاً ومسيرة ذلك نحو من ثلاثة
اشهر * واما عرضاً فهو نحو من الرمل امدّه سبعة ايام * لا يهتدي فيه
الا بيت * ولا يقربه من الدواعي كل عفريت * فكانت القافلة
لا تحمل زاداً ولا علفاً * ولا يصحبون معهم رفيقاً * وذلك لكثرة الامم *
ووفور الامن والمأكل والمشرب من الحشم * فلا ينصرفون الا عن قبيله *
ولا ينزلون الا عند من يكرم نزيله * وكأنه قيل فيهم *

* شعر *

* متكنفي جنبي عكاظ كليهما * يدعو وليد هم بها عرعار *

وأمّا اليوم فليس بتلك الأماكن * من خوارزم الى قريبها من تلك الأمم
والحشم متحرّك ولا ساكن * وليس فيها من انيس * الا اليعافير
والا العيس * وتحت الدشت سرا وهي مدينة اسلامية البنيان *
بديعة الاركان * وباني وصفها * وكان السلطان بركة رحمه الله لما اسلم
بناها * واتخذها دار الملك واصطفاها * وحمل امم الدشت على الدخول
في حمى الاسلام ورماها * فلذلك كانت محل كل خير وبركه * واضيفت
بعد اضافتها الى قفجاق والى بركه * انشأني لنفسه مولانا وسيدنا
الخواجه عصام الدين * بن المرحوم مولانا وسيدنا الخواجه عبد
الملك وهو من اولاد الشيخ الجليل برهان الدين * المرغيناني رحمه الله
في حاجي ترخان من بلاد الدشت بعد مرجعه من الحجاز الشريف سنة
اربع عشرة وثمانمائة وفي يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة
انتهت اليه الرياسة في سمرقند قوله وقد قاسى
في دربه الدشت انواع النكال *

* شعر *

* قد كنت اسمع ان الخير يوجد في * صحراء تعزى الى سلطانها بركه *

بَرَّكْتُ نَاقَةَ تَرْحَالِي بِجَانِبِهَا * فَمَا رَأَيْتُ بِهَا فِي وَاحِدٍ بَرَكَهْ *

وَانْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ مُعَرِّضًا بِمَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا وَشَيْخِنَا حَافِظِ الدِّينِ

مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الْكُرْدِيِّ الْبَزَّازِيِّ تَغَمَّدَهُ اللهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ

فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ الْمَذْكُورَيْنِ *

* شعر *

* مَتَى تَحْفَظُ النَّاسُ فِي بَلْدَةٍ * مَصَالِحَهَا فِي يَدَيْ حَافِظِ *

* فَحَافِظُهَا مَا رَسُلْطَانُهَا * وَسُلْطَانُهَا لَيْسَ بِالْحَافِظِ *

وَلَمَّا تَشَرَّفَ بَرَكَةُ خَانَ بِخِلْعَةِ الْإِسْلَامِ وَرَفَعَ فِي أَطْرَافِ الدُّنْيَا لِلدِّينِ الْحَنِيفِيِّ

الْأَعْلَامَ * اسْتَدْعَى الْعُلَمَاءَ مِنَ الْأَطْرَافِ * وَالْمَشَائِخَ مِنَ الْآفَاقِ وَالْأَكْنَافِ *

لِيُوَقِّفُوا النَّاسَ عَلَى مَعَالِمِ دِينِهِمْ * وَيُبَصِّرُوهُمْ طَرَائِقَ تَوْحِيدِهِمْ وَيَقِينِهِمْ *

وَبَذَلَ فِي ذَلِكَ الرَّغَبَاتِ * وَفَاضَ عَلَى الْوَافِدِينَ مِنْهُمْ بِحَارَ الْهِبَاتِ * وَأَقَامَ

حُرْمَةَ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ * وَعَظَّمَ شَعَائِرَ اللهِ تَعَالَى وَشَرَائِعَ الْأَنْبِيَاءِ * وَكَانَ عِنْدَهُ

فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ * وَعِنْدَ أُوزْبَكَ بَعْدَهُ وَجَانِي بَيْكَ خَانِ * مَوْلَانَا قُطْبُ

الدِّينِ الْعَلَّامَةُ الرَّازِيُّ * وَالشَّيْخُ سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيُّ * وَالسَّيِّدُ

جَلَالُ الدِّينِ شَارِحُ الْحَاجِبِيَّةِ * وَغَيْرُهُمْ مِنْ فُضَلَاءِ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ *

ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازي * ومولانا احمد الخجندي *
رحمهم الله فصارت سراى بواسطة مولاء السادات * مجمع العلم ومعدن
السعادات * واجتمع فيها من العلماء والفضلاء * والادباء والظرفاء *
ومن كل صاحب فضيلة * وخصلة نبيلة جميلة * في مدة قليلة * ما لم يجتمع
في سواها * ولا في جامع مصر ولا قراها * وبين بنيان سراى وخرابها
ما بها من الامكنة * ثلاث وستون سنة * وكانت من اعظم المدن
وضعا * واكثرها للخلق جمعا * حكي ان رجلا من اعيانها هرب له رقيق *
سكن في مكان متحى عن الطريق * وفتح له حانوتا * ينسب فيه ويحصل
له قوتا * واستورد له الهمن * نحوا من عشر سنين * لم يصادفه فيه
مولاه * ولا اجتمع به ولا راه * وذلك لعظمها * وكثرة امنها * وهي
على شط نهر منشعب من نهر آنل * الذي اجمع السياحون والمؤرخون
وقطاع المناهل * انه لم يكن في الانهر الجارية * والمياه العذبة النامية *
اكبر منه وهو ياتي من بلاد الروس * وليس له فائدة سوى اغتيال
النفوس * ويصب في بحر الغلزم * وكذلك يخبرون وما يرى انهار العجم *
مع ان بحر الغلزم محصور * وعليه بعض ممالك العجم تدور * مثل

كيلان وماذندران * واستراباد وشروان * واسم نهر سراى سنكلاً
ولا يقطع ايضاً الا بالمراكب * ولا يثبت عليه قدم لراجل ولا راكب *
وكم فرق تتفرق من ذلك البحر العريض الطويل * وكل فرق اعظم
من الفراة والنيل *

ذكر وصول ذلك الطوفان * وجحفة امم الدشت بعد كسرة توقتا ميش خان *

فوصل تيمور الى تلك الدارة * يا لعساكر الجرارة * بل بالبحار
الزخارة * ذوى السهام الطيارة * والسيوف البتارة * والرماح
العطارة * والاسود الهصارة * والنمور الكرارة * من كل شان الغارة *
مدرك فى العدو ثارة * حامى حقيقته وجارة * وعرينه وجارة *
وفريسته ونجارة * والج من بحر الحرب عمارة * مقاوم امواجه وتيارة *
فارسل توقتا ميش الى زعماء حشمه * وعظماء امه * وسكان احقافه *
وقطان اطرافه * ورؤس اسرته * ورؤس ميمنته وميسرته * فاستدعاهم *
والى المقاتلة والمقاتلة دعاهم * فاتوا في ثوب طاعته يرفلون *
وهم من كل حدب ينسلون * واجتمعوا شعوبا وقبائل * مابين فارس
وراجل * وضارب ونابل * ومقبل وقابل * ومقاتل وقاتل * بمرهف

وذابل * وهم قوم نبّال النبال * ونضّال النضال * لا يطيشون منها * وهم من بني ثعل أرمى * اذا عقدوا الأوتار * أصابوا الأوتار * وان قصدوا الأوطار * وجدوا المقصد جثم أوطار * ثم نهض للصادمة * واستعدّ للمقاحمة والمقاومة * بعساكر كالرمال كثرة * وكالجبال قرة *

ذكر ما وقع من الخلاف * في عسكر توقتاميش وقت المصاف *

وحين تواقف الصفان * وتناقف الزحفان * برز من عسكر توقتاميش احد رؤس الميمنة * له دم على احد الامراء فطلبه منه وفي قتله استئذنه * فقال له لينعم بالك * وليجب سؤالك * قلت * شعر *

* لكن ترى ما قد طوى * على الورى وما جرى *

فامهلنا حتى اذا انفصلنا * وعلى المراد حصلنا * اعطيتك غريمك * وناولتك خصيمك * فادرك منه ثارك * واقض اوطارك * قال لا ولكن الساعة * والا لا سمع لك ولا طاعة * فقال نحن في كرب مهم * هو من مرامك اهم * وخطب مدلهم * هو من مطالبك اعم * فاصبر ولا تعجل * واطمئن ولا توجل * فما ينهب لاحد حق * ولا يضيع مستحق * فلا تلجئ الامور الى الجور * ولا تكن ممن يعبد الله على حرف *

فكأنك بليل الشدة وقد ادبر * وبصباح الفلاح وقد اسفر * فالزم
مكانك * ونازل اقرانك * وتقدم ولا تتأخر * واصدع بما تؤمر * فانجز
ذلك الامير * بجمع كثير * واتبعه كل باغ وغاو * وقبيلته كلها واسمها
لقتاو * فانطلق يروم * ممالك الروم * فوصل هو وجشمه الى ضواحيها
ادرنه * واستوطن تلك الامكنه * فاختل لذلك عسكر تو قتاميش *
وصارت سهام مرامه عن مراميه تطيش * ولم يربد امن اللقاء *
وصدق الملتقى * فثبت جاشه وجيشه * وهزم وقاره وطيشه * وقدم
من اطلابه الابطال * ورتب الخيالة والرجال * وقوى القلب والجناح *
* وسد الذيل والصفاح *

* فصل *

واما جيش تيمور * فانه مستغن عن هذه الامور * لان امره معلوم *
ووصفه مفهوم * وسطر النصر والتمكين على جبين رايته مرقوم *
ثم تدانى الجيشان واصطدما * واصطليا بنار الحرب واصطلما *
والتفت الاقران بالاقران * وامتلت الاعناق للضراب وشرعت
النحور للطعان * واكفهرت الوجوه واغبرت * وكثرت ذئاب الضراب

وأمرت * وتهارشت نمور الشر وراسبطرت * وتعانشت اسود الجنوب
وازبأرت * واكتست بريش النبال الجلود فاقشعرت * وهوت جباه
الجباه ورؤس الرؤس في محراب الحرب للسجود فخرت * وثار الغبر
وقام القتام * وخاض بحار الدماء كل خاض وعام * وصارت نجوم
السهام * في ظلام القتام * لشياطين الأساطين رجوما راشق *
ولوامع السيوف في سحاب التراب على الملوك والسلاطين بروقا وصواعق *
ولازالت سلاهب المنايا تجوب وتجول * وضراغم السرايا تصوب وتصول *
ونقع السنابك الى الجوزا قيا * ونجيع السوافي على الدوجاريا * حتى غدت
الارض سنا والسموات كالبحار ثمانيا * واستمر هذا اللدد والخصام *
نحوا من ثلثة ايام * ثم انجلى الغبار * عن انهزام جيش توقتاميش
وولى الادبار * وفرت عساكره وانذعرت * وانتشرت جنود تيمور في
ممالك الدشت واستعرت * واستولى على قبائلها * واتى على ضبطها واخرها
واوائلها * واحتوى على الناطق فمازه * وعلى الصامت فحازه * وجمع
الغنائم * وفرق المغانم * واباح النهب والاسر * واذاع القهر والقسر *
واطفأ فتائلهم * واكفأ مقاولهم * وغير الاوضاع * وحمل ما استطاع *

من الاموال والاسرى والمتاع * ووصلت طراشته الى ازاق *

وقدم سراى وسراى بحوق وحاجي ترخان وتلك الآفاق *

وعظمت منزلة ايل كوعنده * ثم انفتل قاصدا سمرقند *

وصحب ايل كوصعه * ورام منه ان يتبعه *

ذكر ايل كو وماصنعه * وكيف خلب تيمور وخدعه *

فارسل ايل كو قاصدا الى اقاربه وجيرانه * وقبائل الميسرة كلهم

من اصحابه واخدانه * من غير ان يكون لتيمور * بذلك شعور *

ان يرحلوا عن مكانهم * ويتشمروا عن اوطانهم * وان ينجزوا جهة عينها *

وما كن بينها * صعبة المسالك * كثيرة المهالك * وان امكنهم ان لا يقيموا

في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك * فانه ان ظفر بهم تيمور بدد شملهم *

واباد هم كلهم * فامتثلوا ما رسم به ايل كو * وارتحلوا ولم يلووا *

ولما علم ايل كو ان جماعته فوزوا * وحشمه لتيمور اعجزوا * قال له

يا مولانا الامير * ان لي من الاقارب والحشم الجم الغفير * وانهم غضبوا

وجناحي * وبصلاح معا يشهم صلاحي * ولا آمن عليهم ان يلقوا

بعلي ما * من توقنا ميش الجور والتعدي * بل لا اشك انه يقتلهم *

ويبيدهم عن بكرة ابيهم * وحيث يمتنع عليه بجاه جنابك جانبي *
ينتقم لسوء طويته من حشمي واقاربي * لان سد اهذه الملاحم انا
الحمته * وفي مضائق البلاء وماازق الا نكسار انا اقتحمته * وعلى كل حال
فلا يطيب على قلبي ان يساكنوه * وكيف يهنا لي العيش واصدقائي
مجاوروه * فان اقتضت الآراء المنيرة * ارسال قاصد الى تلك
الاماكن والقبائل الكثيرة * صحبة مرسوم شريف * وامر عالي منيف *
باستمالة خواطرهم * وتطييب قلوب قبائلهم وعشائرهم * والامر بترحالهم *
وترقيح حالهم * فنكون جميعا تحت الظل الشريف * في روض عيش
وريق وريف * ونتخلص من هذا الدشت * الخلق الدست *
ونقتضي ما مضى من الاعمار * ونقضي الباقي في جنات تجري من تحتها
الانهار * فالرأي الشريف اعلى * واتباع مايبديه بالمماليك اولى *
فقال له تيمور انت عن يقينها المرجع واجذ يلها المحكك * ومع وجودك انت
من يسلك هذا المسلك * فقال كل الانام عبيدك * وتابع مرادك
ومريدك * ومن تراه لشيء اهلا * كان كل حزن عليه سهلا * فقال بل
انت اولى بهذا الامر فكن ضمينه * اذ لا يفتى ومالك في المدينة *

فقال اضف الي واحد امن الامراء * ليكون لي عليهم وزرا * مع مراسيم
شرعه * بما تقتضيه الآراء المنبعه * فاجابه وقضى مراده * واضاف اليه
من اراده * فقضيا ما ربهما ونجزاه * ونحو مطلبهما تجهزا * ولما فصل ايلكو
عن تيمور * استدرك فارطه * وعلم ان ايلكو خلبه عقله وغالطه *
فانفذ اليه قاصدا * ان يكون اليه عائدا * لامر قد سنح * وراي قد جنح
فلما قدم القاصد عليه * وبلغ ما ارسل به اليه * قال له
وللامير الذي معه * وقد نهى كلا منهما ان يتبعه * ليقضيا ما ربكما *
والحقا صاحبكما * وقيلا يديه وابلغاه * ان امد اجتماعنا منتهاه *
واني برئ منه اني اخاف الله * ولم يمكنهما مخاشنته * ولا وسعهما في تلك
المضايقة الشديدة الا ملاينته * فودعاه وانصرفا * وانحزفا وما وقفا *
ولما بلغ تيمور ذلك تضرر وتضرم * وتبرح وتبرم * وحرق عليه الازم
وتندم * ولات حين مندم * وكاد يقتل نفسه حنقا عليه * وتجرع
كاسات ويوم بعض الظالم على يديه * ولم يمكنه التقيد به فلم
يتحرك له بحركه * وتوجه الى مما لكه ثم الى سمرقند وتركه * فكان
هذا اخر امره من دشت بركه * قيل انه لم يخل تيمور وبد منه *

وتخليه فولاه وبطغيه * سوط ايدكو الماذكره * اقول ويموت

قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي

الاتي حكايته وامره *

تتمة ما جرى في نواحي الشمال * بين توقتاميش وايدكو

من الجدال والقتال * الى ان تغير امر كل منهما وحال *

ولما انفصل تيمور بما حصل * واستقر في مملكته بعد ما وصل * اتصل

ايدكو بحاشيته * وابتهج بعصابته وغاشيته * فاخذ في التفتيش *

عن امور توقتاميش * وتحفظ منه وتحرز * ولما واته انتصب وتجهز *

اذ لم يمكنه رتق ما فتقه * ولا رقع ما خرقه * وايضا ما امكنه الاستقلال

بادعاء السلطنه * اذ لو امكن ذلك * لادعاه تيمور الذي ملك

الممالك * فنصب من جهته سلطانا * وشيد في دار الملك خانا * ودعا

رؤس الميسرة ووجوه قبائلها اليه * فلبوا دعوته واقبلوا عليه * اذ كانوا

اقوى من غيرهم * آمنين من ضرر الجغتاي وضيرهم * فقوى بذلك

سلطانه * وعمر بقفول الجنود خانه * وثبت في دار الملك اساسه

وعلت اركانه * واما توقتاميش فبعد ان تراجع وهله * واستقر

في دماغه عقله * ورحل عدوه * وحصل هدوه * جمع عساكره *
واستنجد قومه وناصره * فلا زالت ضروب الضراب لضراب الحروب
بينه وبين ايد كوقائمه * وعيون السكوت كحفون الزمان المتعامي
عن صلحها مانائمه * الى ان بلغ مصافهم خمس عشرة مره * يدال هذا
على ذاك تاره وذاك على هذا اكره * فاخذ امرقبائل الدشت
في التناقص والشتات * وبواسطة قلة المعاقل والحصون وقعوا في الانهتاك
والانبتات * لاسيما وقد تناوشها اسدان * واظل عليها نكدان *
وقد كان جلهم ذهب مع تيمور * وامسى وهو في امره محصور * وفي
حصره ماسور * فانقلبت منهم طائفة لا تحصى ولا تحصر * ولا يمكن
ضبطها بديوان ولا دفتر * وانحازت الى الروم والروس * وذلك
لعظيم المشؤم وجدهم المعكوس * فصاروا بين مشركين نصارى *
ومسلمين اسارى * كما فعله جيله بني غسان * واسم هذه الطائفة
قرايوغدان * فبواسطة هذه الاسباب * آل عامرالدشت الى الخلا والخراب *
والتفرق والتباب * والانقلاب والانقلاب * وصارت بحيث لو سلكها احد *
من غير دليل ورصد * فانه يهلك على الحقيقه * لاضاعته في المجاز طريقه *

أما ضيغا فلان الرياح للرمال تسفي * فتخفي الطريق على المارة وتعفي *
وأما شناءة فلأن الثلج النازل فيها * يتراكم عليها فيغطيها * اذ كل أرضها
مجاهل * ومنازلها منازل * ومراحلها مهامه ومناهل * فعلى
كل نقير * سلوكها مهلك عسير * فكانت الوقعة الخامس عشرة
طي ايدكو فتشتت وتشرد * وتبدد وتبدد * وغرق هو ونحو من خمس
مائة رجل من اخصائه في بحر الرمل فلم يشعر به احد * واستبد توقتاميش
بالمملكة * وصفا له دشت بركه * وكان مع هذا متشوفا لاخبار ايدكو
واحواله * متشوقا لمعرفة كيفية هلاكه في زماله * ومر على ذلك
نحو من نصف سنة * وانقطع اثره عن الاعين وخبره عن الالسنة *
وايدكو كان دعيميص تلك الاعقاص والاحقاف * وممن قطع بسير
أقدامه أديم تلك النعال والاخفاف * فصار يتربص ويتبصر * ويتفكر
معنى ما قلته ويتدبر * وهو * * شعر *
* ارقب الامر وانتظر فرجا * وانتهز وقتها اذا ما جا *
* وامزج الصبر بالحجى فيه * ورق التوت ضارب ديباجا *
* فلما تيقن ان توقتاميش ايسه * وتحقق ان ليث المنايا افترسه *

شرع يتجسس اخباره * ويتتبع * ويستشرف آثاره * ويتطلع * الى ان تحقق من الخبر * انه في متنزه منفرد من العسكر * فامتطى جناح الخيل * وارتدى جنوح الليل * ووصل السير بالسرى * واستبدل السهر بالكرى * فارعا الى الهضاب * فروع الحباب * مقرعا من الربى * اقراع الندى * حتى وصل اليه * تيمور وهو لا يعلم * وانقض عليه * كالقضاء المبرم * فلم يفق الا والبلايا احتوشته * والمنايا انتوشته * وتعابين الرماح وافاعي السهام نهشته * فحاولهم قتلا * وجاولهم طويلا * ثم انجدل قتيلا * وكانت هذه المرة من الواقعات السادسة عشر خاتمة التلاق * وحاكمة الفراق * فاستقر امر الدشت على متولي ايذكو * وصار القاصي والداني والكبير والصغير الى مراسيمه يصغو * وتفرقت اولاد توقتا ميش في الآفاق * جلال الدين وكربم بردي في الروس وكوبال وباقي اخوته في سغناق * واستمر امر الناس على مراسيم ايذكو يولي السلطنة لمن شاء * ويعزله منها اذا شاء * ويأمر فلا يخالفه احد * ويحد فلا يجاوز ذلك الحد * فممن ولاه قوبليغ تيمور خان واخوه رشادي بيك خان * ثم فولاد خان بن قوبليغ تيمور

ثم أخوه تيمورخان * وفي أيامه تخبطت الأمور * فلم يسلم لايلدكو زمامه * وقال لا عزله ولا كرامه * أنا الكبش المطاع فأنى أكون مطيعا * والثور المتبوع فكيف أصير تبيعا * فالتحم بينهما الشقاق * ونجم من ذوي الصغينة مخبو النفاق * وجرت شرور ومحن * وحروب وإحن * وبينا ظلمات الفتن احتبكت * ونجوم الشرور في دياجي الدشت بين الفريقين اشتبكت * اذا بدل رسل الدولة الجلاليه * من مشارق السلالة التوقتاميشيه * بزغ مهللا * وفرع من بلاد الروس مقبلا * وكانت هذه القضيه * في شهور سنة اربع عشرة وثمانمائه * فتعاظمت الأمور * وتفاقمت الشرور * وضعف حال ايلدكو وقتله تيمور * واستمر النفاق والشقاق * بين ملوك ممالك قفجاق * الى ان مات ايلدكو غريقا جريحا * واخرجوه من نهر سيحون بسرا بحوق والقوه طريحا * رحمه الله تعالى * وله حكايات عجيبه * واخبار ونوادر غريبه * وهمام ذو اه في اعدائه مصيبه * وافكار مكائد * وواقعات مصائد * وله في اصول فقه السياسة نقود وردود * البحث فيها يخرج عن محصول المقصود * وكان اسمر شديد السمرة ربعة * مستمسك

البدن شجاعا مهابا ذا رفعة * جوادا حسن الابتسامه * ذا رأي
مصيب وشهامه * محبا للعلماء والفضلاء * مقربا للصلحاء والفقراء *
يداعبهم بالطف عبارة * وأظرف اشارة * وكان صواما * وبالليل
قواما * متعلقا باذيال الشريعه * قد جعل الكتاب والسنة واقوال
العلماء بينه وبين الله تعالى ذريعه * له نحو من عشرين ولدا كل منهم
ملك مطاع * وله ولايات على حدة وجنود واتباع * وكان في جماعات
الشيخ اماما * نحوا من عشرين عاما * واياه في جبين الدهر غره *

وليالي دولته على وجه العصر طره *

رجعنا الى ما كنا فيه * من امور تيمور وداهيه *

ولما وصل تيمور الى اذربيجان * وانبث عسكره في ممالك سلطانية
وهمذان * واستولى الملك الظاهر سلطان مارديين واطلعه * وانعم عليه
كما ذكروا استوثقه * وولاه ما بين الشام والعراق * واحكم تلك
الممالك بما وسعه من المكر والنفاق * ولم يمكنه الاقامة بملك العجم *
لما منعه من الدشت من امم * وجه عيلان قصده * الى ممالك سمرقند *
فنفض فيها رطابه * وفرغ مما كان ملأ به من الدشت جرابه *

ثم خرج من غير توان * وقطع جيحون بالطوفان * ووصل الى خراسان * وواصل السير الى اذربيجان * وتوجه اليه ظهرتن حاكم اذربيجان * متلقيا طوق مراسيمه بجيد الاطاعة والاذعان * واهمل امر ما رذين وتناسا ها * ولم يتعرض الى ما يتعلق بها من مدنها وقراها *

ابتداء توران ذلك القتام * فيما يتعلق بممالك الشام *

ثم انه قصد الرها * ورام نهبها * فخرج اليه شخص من اعيانها * ورؤساء قطانها * يقال له الحاج عثمان بن الشكشك فصالحه واشتراها * بجمل من الاموال وحملها اليه وادّاها * فعند ذلك ارسل الى القاضي برهان الدين ابي العباس * احمد الحاكم بقيصرية وتوقان وسيواس * من الرسل عدة * ومن الكتب شدة * يبرق فيها ويرعد * ويرغي في تحريها ويزبد * ويقيم بغاويها ويقعد * ومن جملة فحواه * ومضمون ذلك وما حواه * ان تخطبوا باسم محمود خان * او سيورغاتمش خان وباسمه * ويضربوا السكة على طرز ذلك ورسمه * كما هو دأبه * ويتحمله رسوله وكتابه * فلم يؤمن له السلطان برسول ولا بكتاب *

ولا تقبل له بجواب عن خطاب * بل قطع رؤس الروس من قصاده *
وعلقها في اعناق الماقين واشهرهم في بلاده * ثم جعلهم شطرين *
وقسمهم نصفين * وارسلهم الى جهتين للسلطان الملك الظاهر ابي
سعيد برقوق منهم جزء مقسوم * والجزء الآخر الى السلطان ابي يزيد بن
مراد بن اورخان بن عثمان حاكم ممالك الروم * واخبرهما
بالقضيه * من جليه * وما ورد عليه من خطاب تيمورلنك * وانه
جعل في ذلك جوابه السكوت * وقتل قاصديه نكايه * ولم يزده
على هذه الحكايه * وانما فعل ذلك برسله وقصاده * استهوانا به واستعظاما
لما فعله بعباد الله تعالى وبلاده * ثم قال القاضي اعلموا اني جاركما *
وديناري ديناركما * وانا ذرة من غباركما * وقطرة من بحاركما *
وما فعلت معه من امع ضعف حالي * وقلة مالي ورجالي * وضيق دائرتي
وبلادي * وريقة حاشية طريفي وتلادي * الا اعتمادا على مظاهرتكما *
وانكا لا على مناصرتكما * واقامة لاعلام حرمة ولتكما * ونشرا لرايات
هيبة صولتكما * فاني جنة ثغركما * ووقاية نحركما * وشاوش جنودكما *
وجاليش بنودكما * وربيئة طلائعكما * وطليعة وقائعكما * والا فمن

أذن لي مقاومته * وأني تيسر لي مصادمته * وقد سمعتم أحواله *
وعرفتم مشاهدته وأفعاله * فكم من جيش كسر * وقيل أسر * وملك
ملك * ومالك أهلك * وستر هتك * ونفس سفك * وحصن فتح *
وفتح منح * ومال نهب * وعز سلب * وصعب أذل * وخطب أهل *
وعقل أزل * وفهم أخل * وخيل هزم * وأس هدم * وسور قطع *
وقصد منع * وطود قلع * وطفل فجع * ورأس شدخ * وظهر فضخ *
وعقد فسخ * ونار شب * وريح أهب * وماء أغار * ورمح أثار *
وقلب شوى * وكبد كوى * وجيد قصم * وطرف أعمى وسمع أصم *
وأني لي ملاطمة سيل العرم * ومصادمة الفيل المغتلم * فإن أنجد تمالي
وجد تماني * وإن خذلتماني بذلتماني * ويكفيكما هيبة وشهرة *
وناهيكما أبهة ونصرة * أن من خذلهما قل ناصرهما * من كفاكما
مادها كما * وإن أصابني والعياذ بالله منه ضرر * أو تطاير الى مملكتي
من جمرات هذه الشرر * ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة الحوادث *
الى مفعول به وثان وثالث * قلت * شعر *
* والشر كالنار يبدو حين تقدحه * شرارة فاذا درت حملت *

* وان توانيت من اطفائه كسلا * اورى فتائل تشوى القلب والكبدا *

* فلو تجمع اهل الارض كلهم * لما افادوك في اطفائها ابدا *

وانما اهملت خطابه * واهملت جوابه * لترسما فتقفي * وتأمرا

فتنتفي * وتؤسسا فابني عليه * وتجاوبا فيصل ذلك كله مني اليه *

ذكر ما اجاب به السلطان * ابو يزيد بن عثمان * للقاضي

برهان الدين ابي العباس * سلطان ممالك سيواس *

فاما السلطان ابو يزيد بن عثمان فان هذا الفعل اعجبه * ونغم هذا

القول اطربه * واستحسن هذا الحكم من القاضي واستصوبه * وارسل

اليه يقول ان ارتدع تيمور عنه وانتهى * والا فلنأتينه بجنود

لا قبل له بها * فليغنا بلده بعين قريرة * وليثبت له بحسن البصيرة *

واخلاص السريرة * ولا يجزع من جنود الغزيرة * فكم من فئة

قليلة غلبت فئة كثيرة * وان اقتضت آراؤه البديدة * واحكامه

السعيدة * توجه بنفسه اليه * وقدم بالغزاة والمجاهدين عليه *

ليرفع اعلامه * وينفذ احكامه * ويكون لسيفه يدا * ولجناحه

عضدا * ثم ارسل كتابه * وانتظر جوابه * واما الملك الظاهر

فما رأيت له كتابا * ولا حققت منه له جوابا * والظاهر أن
جواب الملك الظاهر ابي سعيد * كان شقيق جواب السلطان الغازي
ابي يزيد * اذ افعالهما واقوالهما في الباطن والظاهر * كانت من باب
توارد الخاطر * ثم اني رأيت كتابا * يتضمن خطابا وجوابا * وذكر
ان الخطاب من ذلك الغادر * والجواب من الملك الظاهر * وكلاهما
سوى آي الكتاب غير زاهر * اما صورة الخطاب * فهو قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون * اعلموا انا جند الله مخلوقون من سخطه *
مسلطون على من يحل عليه غضبه * لا نرق لشاك * ولا نرحم عبرة
باك * قد نزع الله الرحمة من قلوبنا * فالويل كل الويل لمن لم يمتثل
امورنا * فانا قد خربنا البلاد * واهلكنا العباد * واظهرنا في الارض
الفساد * قلوبنا كالجبال * وعددنا كالرمال * خيولنا سوابق *
ورماحنا خوارق * ملكنا لا يرام * وجارنا لا يضام * فان انتم قبلتم
شرطنا * واصلحتم امرنا * كان لكم مالنا * وعليكم ما علينا * وان انتم
خالفتم وابيتم * وعلى بغيكم تماديتم * فلا تلومن الا انفسكم *

فالحصون منا لا تمنع * والعساكر لدينا لا ترد ولا تدفع * ودعاؤكم
علينا لا يستجاب ولا يسمع * لانكم اكلتم الحرام وضيعتم الجمع *
فابشروا بالذلة والجزع * فاليوم تجزون عذاب الهون وقد زعمتم
انا كفرة * فقد ثبت عندنا انكم فجرة * قد سلطنا عليكم من بيده امور
مقدرة * واحكام مدبره * كثيركم عندنا قليل * وعزيزكم عندنا
ذليل * قد ملكنا الارض شرقا وغربا * واخذنا منها كل سفينة
غصبا * وارسلنا اليكم هذا الكتاب * فاسرعوا في رد الجواب * قبل
ان ينكشف الغطاء * ولم يبق لكم باقية فينادي عليكم منادي الفناء *
هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا * وقد انصفناكم اذ راسلناكم *
ونشرنا جواهر هذا الكلام عليكم * والسلام * وهذه صورة الجواب
وقيل هو انشاء القاضي علاء الدين بن فضل الله وما اظن ذلك صحة *
وهو بسم الله الرحمن الرحيم قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء *
وتنزع الملك ممن تشاء * وتعز من تشاء وتذل من تشاء * بيدك الخير
انك على كل شيء قدير * حصل الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة
الايلخانية * والسدة العظيمة الكبيرة السلطانية * قولكم انا مخلوقون

من سخطه * مسلطون على من نزل عليه غضبه * لا نرق لشاك * ولا نرحم
عبرة باك * قد نزع الله الرحمة من قلوبكم * فهذا من اكبر عيوبكم *
وهذا من اقبح ملوبكم به انفسكم * وبكفيكم بهذه الشهادة واعظا
اذا اتعظتم قل يا ايها الكافرون * لا اعبد ما تعبدون * ففي كل كتاب
ذكرتم * وبكل قبيح وصفتم * وزعمتم انكم كافرون * الا لعنة الله
على الكافرين * من تشبه بالاصول لا يبالي بالفروع نحن المؤمنون
حقا لا يصدنا عيب * ولا يدا خلنا ريب * القرآن علينا نزل * وهو
بحكمنا بالم نزل * وقد عممنا ببركة تاويله * وقد خصنا بفضل تحريمه وتحليله *
انما النار لكم خلقت * ولجلودكم اضرمت * اذا السماء انفطرت *
ومن العجب العجاب * تهديد الليوث بالليوث والسباع بالضباع *
والكماة بالكراع * نحن خيولنا عربية * وهممنا عليه * ولناقتنا شديدة
المضارب * ذكرها في المشارق والمغارب * ان قتلناكم فنعم البضاعة *
وان قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة * ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون * وقولكم قلوبنا كالجبال *
وعددنا كالرمال * فالجزار لا يبالي بكثرة الغنم * وكثير من الحطب

يَكْفِيهِ فَلِيلٌ مِنَ الضَّرَمِ * كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ
وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * الْفِرَارُ لَا مِنَ الْبَرَازَا * نَحْنُ مِنَ الْمَنِيَّةِ * فِي غَايَةِ
الْأُمْنِيَّةِ * إِنْ عِشْنَا عِشْنَا سُعَدَاءَ * وَإِنْ مِتْنَا مِتْنَا شُهَدَاءَ * أَلَا إِنَّ حِزْبَ
اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ * أَبْعَدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ * وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *
تَطْلُبُونَ مِنَّا طَاعَةً * لَا سَمْعَ لَكُمْ وَلَا طَاعَةً * وَطَلَبْتُمْ أَنْ نُوَضِّحَ لَكُمْ أَمْرَنَا
فِي هٰذَا الْكَلَامِ فِي نَظْمِهِ تَرْكِيبُكَ * وَفِي سِلْكِهِ تَفْكِيكُكَ * لَوْ أَشْفَيْتَ لِبَانَ * قَبْلَ
التِّبْيَانِ * أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ * أَمِ اتَّخَذْتُمْ رَبَّانِيِّينَ * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا *
تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * قُلْ لِكَاتِبِكَ
الَّذِي رَضَّعَ رِسَالَتَهُ * وَوَصْفَ مَقَالَتِهِ * حَصَلَ الْوُقُوفُ عَلَى كِتَابِكَ *
كَصَرِيرِ بَابٍ * أَوْ طَنِينِ ذُبَابٍ * وَسَنُكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنُمِدُّهُ مِنَ الْعَذَابِ
مَدًّا * وَمَا لَكُمْ عِنْدَنَا إِلَّا السَّيْفُ بِقُوَّةِ اللهِ تَعَالَى * ثُمَّ إِنِّي وَجَدْتُ
فِي نُسْخَةٍ مِمَّا أَمَرَّ اللهُ بِتَعْدَادِهِ مِدَادًا * لَوْ نَفِدَ كُلُّ الْعُصُورِ عَلَى وَجْهِ
الزَّمَانِ مِنْ شَيْبِهَا سَوَادًا * صُورَةُ هٰذَا الْكِتَابِ * رَهِيئَةُ هٰذَا الْخِطَابِ *
مِنْ إِنْشَاءِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ عَلَى لِسَانِ هُلَاكُو التَّتَرِيِّ مُرْسَلًا ذٰلِكَ

إِلَى سُلْطَانِ مِصْرَ *

ومورية الجواب بعينه انشاء من كان في ذلك العصر *

* فصل *

ولما بلغ تيمور ما فعله السلطان برهان الدين بقصاده حنق * ورنق فجن جماح الغضب وفار دم قلبه ورنق * وغص غضبا فكاد من الغيظ ان يختنق * ولكن علم ان في الزوايا خبايا * وللاسلام جنودا وسرايا * وفي عزين الدين من ليوث المسلمين بقايا * وان امامه اسودا هواصر * وجوارح كواسر * فنصبر للزمان ورجع القهقرى وتربص بهم الدوائر *

ذكر توجه العساكر الشامية * الى تلك الناحية *

بلغ ان ملك الامراء بالشام هو تمر * خرج بالعساكر الى ارزنجان ورجع وهو مغتنم * ولم يروا في ذلك ضيرا * ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا * وعاد من جيش الاسلام كل اسد هصور * وقد اصطاد من كراكي ماضاهى صورته وجاءه نور على نور *

ذكر رجوع ذلك الكنود * وقصده استخلاص بلاد الهنود *

ثم ان تيمور بلغه ان سلطان الهند فيروز شاه * انتقل من رحمة الدنيا

الى رحمة الله * ولم يكن له ولد يكون له خليفة * فسعى تيمور * لان
يتولى بحكم الوفاة والشعور * تلك الوظيفة * ولما فاض صاحب الهند
صارت الناس فوضى * ومرج بحر امور الهند وماج فجعل كل يخوض
خوضا * فعز بعض الناس وبعضهم ذلوا * ثم اتفقوا على تولية وزير اسمه
ملو * فراب من امر الناس ما انصدع * ورفع من استحق الرفع وخفض
من بغير استحقاق ارتفع * فعصى عليه احد شارنك خان * متولي
مدينة ملتان * ووقع بينهم التخالف * وافترق ملأ الهنود فرقا
وطوائف * فكان اختلافهم لتيمور احسن مساعد *

واقوى عضد وساعد * قلت * شعر *

وتشتت الاعداء في آرائهم * سبب لجمع حواطر الاحباب *

وحين وصل تيمور الى ملتان * عصى عليه شارنك خان * فاقام
يحاصرها * وقعد يضاجرها * وكانت عساكره اجمة * وليالي كتائبها
السود مدلهمة * حتى قيل ان من جملة عسكرها الثقيل * كان ثمانمائة
فيل * مع ان كل امير من اطراف الهند * ورئيس من اكناف السند *
كان قد لفلف اذياله * وملم رجاله ورجاله * وضبط جوائحه انقاله *

وربطوا نجده افياله * واستمر ذلك الدرا الخصام * نحوا من ثلثي

عام * الى ان استخلصها * ومن يده خلصها *

فصل

ولما استولى ملوا واستقرا الهند عليه * وبلغه توجه تيمور اليه * جد

واجتهد * واعد العدد والعديد * واستمد الامداد والمدد * وارضاك

مالا لبذل * وحاسب ان لن يقل رعاياه احد * وفرق الاموال * وجمع

الخيل والرجال * واحضر ما في مملكته من الافيال * ثم حصن مدائنه *

ومكن كمائنه * وشيد على الافيال للمقاتلة ابراجا * واحكم في تحريرها

المناضلة طريقة فقه فيها ذهب ومنها جا * وجد تيمور في السير *

حتى كاد يسبق الطير * اذ لم يكن له في ذلك الا رب من يحجبه * ولا

في عساكر سلطان الهند من يقربه * فلما بلغ الهنود بالجنود * برزت

اليه بالجنود الهنود * وقدموا الفيول * لتنفير الخيول * وقد بنوا

على كل فيل من الاتراس برجا * وعبوا في كل برج من المقاتلين من يخشى

في المضائق ويرجى * بعد ما جعلوها من اكبر بركستوانات في حصار *

وحملوا عليها من الفلاقل والاجراس الهائلة ما يدعو العفاريت

الى الفرار * وشد زافي خراطيمها سيوفا يصلح ان يقال انها سيوف
الهند * قد عوالج من شعلة لهيبها فتخيلها ساجدة فحق ان يقال لها
نار السند * وهذا خارج عما لتلك الافيلة من الانياب * التي هي
في الحرب كالحراب * اذ هي في اداء ما وجب عليها نصاب
كامل * وسيماها التي هي مصيبة في نحور من يقابلها تقصم
كل نابل وذابل * فكانت تلك الافيال * في وصف القتال * كأنها
خيل باسود هاطلة منه * او صياصٍ تجنود هاجارية * راطوا دبنورها
هادية * او بحار بها فواخ امواجها راسية جانية * او ظلل من الغمام
بصواعقها رامية * او ليالي الغزاق بنوائبها السود سارية * وخلفها
من الهنود * فوارس الحرب * وابطال الطعن والضرب * سود
الاسود * وطلس الذئاب ونمش الفهود * بالذوابل الخطي * والصارم
الهندي * والنبل الخلنجي * مع قلب ذكي وجنان جري * وعزم قوي
وصبر رضي *

ذكر ما فعله ذلك المحتال * من الخديعة في اجفال الافيال *

وحين اطلع تيمور على هذه الحال * وتحقق ان شقة عساكر الهند نسبت

على هذا المنوال * اعمل المكيدة * في قلع هذه المصيدة * ومزق لهم بمرقة
قد رطمتها الخثور من العصيدة * فهذا أولا في الاحتيال * بديع مكيدة
الا فيال * فاستعمل الفكر الجديد * في اصطناع شوكات من حديد *
مثلثة الاطراف * مستدعة الاوضاب * كأنها في شكلها الخبيث *
طرق القابلين بالتثليث * اوضع اصحاب الاوفاق * اعدادهم
المنسوبة الى الوفاق * فصنعوا له من ذلك الالوف * ثم عمد الى مجال
القيول في الصفوف * فنشر ذلك لها البلا * وجلب لاهلها حربا وويلا *
ورقم لذلك حدا * ورسم ان فعل ذلك الحد لا يعدا * ثم ركب اطلابه
وابطاله * ورتب اسوده واشباله * وهذب خيله وشذب رجاله *
وارصد شمالا ويمينا * من عسكره للعدو كمينا * وحين بث سلطان
السيارة في جوانب الافاق خيله * وضم بخيش الظلام رجاله انجيله
وشمر للهزيمة ذيله * مشى عسكره الى ذلك الحد زيدا حتى وصل اليه *
ولما ترا آى الجمعان نكص على عقبيه * ثم ركب بالخيول * على طريق
الفيول * فتصوروا ان خيوله اجفلت * وشمس نصرته انكسفت *
وكوكب جيشه افلت * فاقلعوا قلاع الفيول * فانهزمت انهزام

الفيول * وساقوها فحلف عساكره سوقا * على ذلك الشوك المقى * واتبع
الفيله * من الهنود الزجاله والخياله * فلما واصلت سيول الفيول
من مطارح الشوك الى المقاهم * واخذ ذلك الشوك في تقبيل ايب بها
وارجلها وتشبث بتلك المناسم * واحست قوائمها بشوكها * رجعت
القهقرى بل ولت الادبار لعدم عقلها * فنهنهوها ونهوها عن التولي
فلم يفدها النهي والمنهنهه * وصارت في التقدم الى جهة العدو
كفيل ابرهه * ثم لم ينفعها لما اضرها الشوك في تلك الحرار * الا التولي
من الزحف والفرار * فحطمت الفيول * الرجال والخيول * وصارت
القتلى كالجبال والدماء في اوديتها سيول * وخرج عليهم الكمين *
من ذات الشمال وذات اليمين * فابادوا سائرهم * والحقوا
باولهم آخرهم * وقيل ان بلاد الهند ليس فيها ابا عن * وان منظرها يثقل
الفيل فيصير بعد نافر * فامر تيمور ان يهيأ خمس مائة بعير حقول * وتعبأ
بزواحلها والحمول * قصبا محشوا بفتائل وقطن بالدهن مبلول *
وان تساق امام الركبان * الى ان يترا أى الجمعان * فلما تصافوا ولم
يبق الا القتال * امر ان تطلق النيران في تلك الخشابا والاحمال *

وتُساق الى جهة مواجهة الافيال * فلما احسّ البعران * بحرارة النيران * رغت ورقصت * ونحو الفيول شخصت * وصارت كما قيل

* شعر *

* كأنك من جمال بني اقيش * يقعقع بين رجليها بشنّ *

فلما رأت الفيلة النيران * وسمعت رغاء البعران * ونظرت الى الابل كيف خلقت * وشاهدتها وقد غنت ورقصت * وباخفافها صفقت * الوت على عقبها ناكصة * لساقيها واهصة * ولراكبها واقصة * فحطمت الخيالة * وهشمت الرجالة * وتلا الكافرون آية النصر على اصحاب الفيل * وارسلوا عليهم من السماء طيرا ابابيل * فلم ينتفعوا بالافيال * بل افنت الافيال غالب الخيل والرجال * ثم تراجعت عساكر الهنود * وابطال الخيالة من الجنود * وانتبوا الكتائب وبندوا البنود * ثم تراموا وتصافوا * وتضاموا وتحافوا * وهم ما بين مجوسي ومسلم * ومبارز منتسب ومنادٍ بالشعار معلم * وكل في سواد اللون من الحديد كقطع الليل المظلم * ثم تدانوا مع التناور وتزاحفوا * وبعد المراشقة بالسهام بالرماح تناقفوا * ثم بالسيوف تضاربوا * ثم تلاتبوا وتواثبوا * ثم تراموا

عن ظهور الخيل * واعتكر في ذلك القتام النهار بالليل * ولا زالت تختلف بينهم الضربات * وتتصول فيهم الحملات * وتتصل منهم الصولات * حتى تلاليان القضاء والقدر ان في اختلاف الليل والنهار لآيات * ثم تناهى الاقتحام * وانفرج الازدحام * واسفرت القضية عن أن برد حامي الهند فانهزم جيش حام * وحل بالهنود الويل * ومحا الله آية الليل * ولما تفرقت الهنود وفلوا * وانتهى عقل حملهم في المحاربة فحلوا * وقتلت سراتهم وهرب سلطانهم ملو * ثبت تيمور وحكمه في هند * الى الآن كما ثبت اوتاده في سمرقند * فجمع اقيالها * وربط افيالها * وضبط احوالها * وما غفل عن ضبطه ما عليها وما لها * وسلم فيالها فيالها * ثم توجه تيموتيتها وهي مدينة دهلي * مصر عظيم جمع فنون الفضل وارباب الفخر الجلي * معقل التجار * ومعدن الجواهر والبهار * فتبنعت عليه بالحصار * فاحاط بذلك السواد الاعظم * من عساكره السواد الاعظم * ومن معه من الخلائق والامم * فقيل ان هذه العساكر والخلائق مع عظمها وكثرتها * لم يقدروا ان يكتنفوها لسعة دائرتها * وانه اخفى ما من احد

جوانبها بالمحاصرة * وتم الجانب الآخر ثلاثة ايام في المجاذبة والمشاجرة * ولم يدر من في الجانب المحاصر * لبعد المدى وكثرة الامم ما فعل بالجانب الآخر *

ذكر وصول الخبر الى ذلك المعقوق * بوفاة الملكين ابي العباس احمد والملك الظاهر برقوق *

وبينما هو قد استولى على كرسي الهند وامصاره * واحتوى على ممالكه واقطاره * وبلغت مراسيمه اعماق انجاده واغواره * وانبثت جيشه في ولاياتها سهلا ووعرا * وظهر فسادهم في رعاياها برا وبحرا * اذ ورد عليه المبشر من جانب الشام * ان القاضي برهان الدين احمد السيواسي والملك الظاهر ابا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام * فسر بذلك صدره وانشرح * وكاد ان يطير الى جهة الشام من الفرح * فجهز بسرعة امور الهند * ونقل الى مملكته من فيها من العساكر والجند * بما اخذه من الاثقال * ونفائس الاموال * ووزع ذلك الجمهور * من ذلك الجند المأسور * على اطراف ما وراء النهر من الحدود والثغور * واقام في الهند نائبا من غير وجل * ثم حل

عن سمرقند قاصدًا الى الشام على عجل * ومعه من الهند رؤس اجناده
ووجوه اعيانها * وسلطان اقيالها واقيال سلطانها * ثم انه صار قرير
العين بتلك الطوائف الطافية * في اوائل سنة اثنين وثمانمائة *
وانصب بذلك الطوفان * من جيحون الى خراسان * وكان قد قرر
ولده لصلبه اميران شاه بمملكة تبريز وتلك الديار * والسلطان
احمد قد رجع الى بغداد وهو مستوفز للفرار * وسبب احركته الى بلاد
الشام * ما فعله القاضي برهان الدين حاكم سيواس بقصادة الاغنام *
لكنه اراد ان يغمه مقصده ويغطي عن الناس مصدره ومورده *

قلت بديها * شعر *

* واني يختفي للشمس ضوء * عن الابصار في ضحوا النهار *
* وكيف يسر ذر المسك يخشو * خياشيم الورى في يوم حار *
* واني يختفي للطبل صوت * عن الاسماع في وقت النفار *
فان قصده كان بعيد المدد * طويل الامد * محتاجا الى اعداد اهبة
السلوك * ويخشى ان تضاهي غزوة تبوك * واظهر سببا ابطن فيه *
ما رامه من مكرة ودواهيه * واشاع ذلك واذاع * فامتلأت منه القلوب *

والاسماع * ذكر معنى كتاب وقد وهو في الهند عليه * زعموا ان ولد ا
امير ان شاه ارسله اليه * وذلك ان ابنه امير ان شاه المذكور راسله *
وانهى اليه يقول على ما قيل في بعض ما قاله وحاوله * انك قد عجزت
لكبر سنك * وشمول الضعف بدنك وذهنك * عن اقامة شعائر
الرياسة * والقيام باعباء الايالة والسياسة * والاولى بحالك ان كنت
من المتقين * ان تقعد زاوية مسجد وتعبد ربك حتى يأتيك اليقين *
وقد تم في اولادك ونقادك * من يكفيك امر رعيتك واجنادك *
ويقوم بحفظ مملكتك بلادك * وانى لك بلاد وممالك * وانت
بعد قريب من مالك * فان كان لك عين باصرة * وبصيرة في نقد الاشياء
ماهرة * فاترك الدنيا واشتغل بعمل الاخرة * ولو ملكت ملك شداد *
ورجع اليك اقتدار العمالقة وعاد * وساعدك النصر والعون *
حتى تبلغ مقام مان وفرعون * ورفع اليك خراج الربع المسكون *
حتى تفوق في جمع المال قارون * وصرت في خراب البلاد كبختنصر *
الى ما طول الله له فقصر * وبالجملة فلو بلغ سلطانك الاقطار *
وقضيت من دنياك غاية الاوطار * وصار عمرك فيها اطول الاعمار *

وخُذ امْكَ فيها ملوكها الاعاظم * فقصر جندك قيصر * وكسر كسرى
فانكسر * وتبعك تبع والنجاشي * وبساط الملوك والاقيال عند والك خدما
وحواشي * وغفر لك غفور بالثناء * واحنيت على الخان وخاقان
فوجه كل في رقعة دستك شاه * واذعن الخوارزم مصر وسلطانها *
وجبي لك على يد خير الدين ايران الدر وتورانها * وآل امرك
الى ان كان لك سكان الاقاليم قطانها * اليس مارن تطاول قصورك
الى القصور * ونهاية كمالك النقص وحيوتك موت وسكناك القبور *

قلت * شعر *

* فعش ما شئت في الدنيا وادرك * بها ما رمت من صيت وصوت *
* فخيط العيش موصول بقطع * وحبل العمر موعود بموت *

وقيل * شعر *

* قميص من القطن من خلة * وشربة ماء قرا قوت *
* ينال به المرء ما يرتجي * وقد اكثر على مهموت *
فاين انت من نوح وطول عمره * ونياحته على قومه بسن خدوديته
وشكره * ولقمان وعظه ولده * وتوبيخه لطول الحيلة * وداود

في ملكه الفسيح * مع قيامه بأوامر الله تعالى وكثرة الذكر والتسبيح *
وسليمان بعده وحكمه على الانس والجن والطير والوحش والريح * وذي
القرنين الذي ملك المشرقين * وبلغ المغربين وبني السدين الصدفين *
وداخ البلاد * وملك العباد * وابن محلك من سيد الانبياء * وخاتم
الرسل وصفوة الاصفياء * المرسل رحمة للعالمين * الكائن نبيا وآدم
بين الماء والطين * محمد المصطفى * واحمد المجتبى * الذي زويت له مشارق
الارض ومغاربها * وتمثل بين يديه شاهد ها وغائبها * وفتحت له خزائنها *
وعرض عليه ظاهرها وكامنها * وكانت جنوده الملائكة الكرام * وآمن به الانس
والجن والطير والوحش والهوام * وايده الله الكريم المتعال * بان ارسل
لطاعته ملك الجبال * وكان حامل رايات نصره نسيم الصبا باليمين
والشمال * فملك الجبابرة بالهيبة والقهر * وكانت الاكاسرة والقياصرة
تهابه من مسيرة شهر * وايده بنصره وبالمؤمنين من المهاجرين
والانصار * وتولى نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما
في الغار * وان الله سبحانه به اسرى * في بعض ليله من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى * وكان مركوبه الشريف البراق * ثم عرج به

الى السبع الطباق * وقرن اسمه الكريم مع اسمه * وتعبد عباده
بما شرعه الى يوم القيامة من غير تغيير لحده ورسمه * وخلق لاجله
الكائنات * وانار بوجهه الموجودات * ولم يخلق فى الكون اشرف منه
ولا افخر * وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر * واظهر من معجزاته
ان اشبع الجم الغفير * من قرص الشعير * وسقى الكثير من الرعال *
منابع من بين اصابعه من الماء الزلال * وانشق له القمر * وسعى
اليه الشجر * وآمن به الضب وسلم عليه الحجر * وهل تحصى معجزاته *
وتحصر كراماته * زناهيك بمعجزته المؤيدة * وكرامته المؤبدة الخالدة *
على مر الزمان * الباقية ما دار الحدثان * الساكنة ما تحرك الملوان * وهو
القرآن المجيد * الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد * وهذه منازله فى الدنيا * غير ما ادخر له فى العقبى *
وبشره بقوله ولللآخرة خير لك من الاولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى *
مع ان الله تعالى اخذ ميثاق النبيين بالايمان به وبنصره فلو ادركوه
لم يسعهم الا اتباعه وامتثال امره * فهود عوة ابراهيم الخليل * ومتوسل
موسى وعلماء بنى اسرائيل * والمبشر بقدومه على لسان عيسى فى الانجيل *

وحامل لواء حمد ربه يوم لقائه * فآدم ومن دونه تحت لوائه *
وهو صاحب الحوض المورود * والمخاطب من ربه في موقف الشفاعة
والمقام المحمود * بمعنى ما قلت مفوفا مقتبسا * شعر *
* قل تسمع اشفع تشفع سل تنله تجب * تفويف خلعة عز واقتباس نعمي *
فانظر لي هؤلاء السادة * معادن الخير ومفاتيح السعادة * هل رغبوا في الدنيا
واعتمدوا عليها * او نظروا الا بعين الاحتقار والاعتبار اليها * او هل كان
نظرهم غيرا لتعظيم لامر الله * والشفقة على خلق الله * وناهيك بالخلفاء
الراشدين * واعظم بالعمرين * اللذين كانا في هذه الامة بمنزلة
القمرين * وهلم جرا بالخلفاء العادلين * والملوك الكاملين والسلاطين
الفاضلين * الذين تولوا فرعوا حقوق الله تعالى في عباده *
ورحموا عباد الله عن الظلم في بلاده * واسسوا قواعد الخير * وساروا
في تنهج العدل والانصاف احسن سير * فمضوا على ذلك وبقيت
آثارهم * واحييت بعد موتهم اياديهم اخبارهم * فمضى على ذلك
مثل الاولين * وبقي لهم لسان صدق في الاخرين *
اذ صنعوا * بموجب ما سمعوا

* شعر *

* فكن حديثا حسنا ذكره * فانما الناس احاديث *

وانت وان كنت تسلطت على الخلق * فقد عدلت ايضا ولكن عن

الحق * ورعيت ولكن اموالهم وزروعهم * رحمت ولكن بالنار قلوبهم

وضلوعهم * واسمعت ولكن قواعد الفتن * وسرت ولكن على سيرة امية السنن *

ومع هذا فلو عرجت الى السبع الشداد * ما بلغت منزلة فرعون وشداد *

ولو رفعت قصورك على شوامخ الاطواد * ما ضاهت ارم ذات العماد التي

لم يخلق مثلها في البلاد * فانظر لمن نهى وامر * ثم مضى وغبر * ولا تكن

ممن طغى وفجر * وتولى وكفر * واقنع بهذا الخطاب * عن الجواب *

واعط القوس باريها * واترك الدار لبانيها * وتولى الله ورسوله

والذين آمنوا والا فانت اذا ممن تولى في الارض ليفسد فيها * فاني

اذ ذاك امشي عليك * واضرب على يدك * وامنعك من السعي

في الفساد بان اسوق بين رجليك * مع قلة آداب جرائما كثيرة عبارتها

ذنوبها كبيرة * فلما وقف تيمور على هذا الكتاب * وجه الى تبريز عنان

الركاب * وكان عند امير ان شاه من المعتبرين * خياطة سعوا في الارض

مقيدين * منهم قطب الموصلي اعجوبة الزمان الدوار * واستاذ علم
الموسيقار الادوار * اذا استنطق اليراعه * اسكت اهل البراعه *
واذا وضع الثاني بفيه * سحق عودا سحق رأيه * وان اخذ في الاغاني *
اغنى عن الغواني * تقول النفس لنفسه الرخيم خفف عني انيني * فتشير
يراعته بالاصبع وتقول على عيني * ثم ينفخ فيها الروح * فيشفي كل قلب
مجروح * ويداوي كل فؤاد مقروح * فان اقامت قامتها الرشيقة
زاقية في سماعها * تجني الجنك ظهرة خاضعا لطيب استماعها *
وان فتحت فاها للتقرئ اسماع القلوب الحانه * يميل العود عنقه مصغيا
اليها هاركا يتأمل الادب آذانه * قبل انه كان يؤدي جميع الانغام
للفروج والمركبات والشعب والاصول * من كل نقب من انقب الماصول *
وله مصنفات في ادوار المقامات * وجرى بينه وبين الاستاذ عبد القادر
المراغي مباحثات * وكان اميران شاه به مغرما * يعد صحبته والعشرة
معه مغنما * وكان تيمور لا يعجبه العجب * ولا يستهويه اللهو
والطرب * فقال له القطب اقسمت عقل اميران شاه * كما اقسمت عبد
القادر احمد بن الشيخ اويس واطغاه * فوصل ذلك الطاغ * سابع عشر شهر

ربيع الاول سنة اثنين وثمانمائة الى قراباغ * فناخ بها ركابه * واراح بها دوابه * وضبط ممالك اذربيجان * وقتل اولئك المفسدين واهل العدوان * ولم يتعرض لامير ان شاه * لانه ولده وهو انشاه * وبينهما امور منشابهات لا يعلمها الا الله * ثم توجه بذلك الجيش * ثاني جمادى الاخرة يوم الخميس * واخذ مدينة تفليس * وقصد بلاد الكرج * وهدم ما استولى عليه من قلعه وبرج * وقلعهم الى الصياصي * والقلاع العواصي * وقتل من ظفر به من طائع وعاصي * وجزهم مابين رؤس وثواصي * ثم ثنى عنان الفساد * وحرش الجماعة على بغداد * فهرب السلطان احمد من ذلك الجيب * الى قرايوسف في ثامن عشرين شهر رجب * فسكن تيمور زعازعه * وطمن بذلك مرايبه ومنازعه * وتمهل في السير * واستعمل في نحوه مع مناظرايه مباحث سرعان وغير * وصار يتجاوز ويتجاول * وينشل وهو يتغافل

* شعر *

* * *

* * *

* *

انه لم يخرج من بلاد الكرج الشام * فلما تحققا منه الخروج *
وكانا تحققا انه اذا اعرج على شيء فما يعوج * طار طائرهما نحو الروم *
وتركا ديارهما ينعق فيها الغراب واليوم * فتوجه ذانك القشعمان *
الى مصيف التركمان * فاعمل السيف * وكف عن الحيف وصرم المصيف *

ذكر ما وقع * من الفتن والبدع * وما سل الشرور من
جسام * بعد موت سلطان سيواس والشام *

وكان اذ ذاك قد تخبط امور الناس * ووقع الاضطراب ببلاد مصر والشام
الى سيواس * اما مصر والشام فلموت سلطانهما * واما سيواس من
فلقتل برهانها * وكان موتهما متقاربا الزمان * كموت قراسنقر
والملك المؤيد الشيخ ابي الفتح غياث الدين محمد بن عثمان * فان ملك ما
بين موت هولاء الملوك العظام * كان نحوا من نصف عام * وكذا
كان ما بين موتي ذينك السلطانين *

ذكر نبذة من امور القاضي * وكيفية استيلائه على سيواس وتلك الاراضي *
وسبب قتل القاضي برهان الدين * مخالفة وقعت بينه وبين عثمان
قراطوك رأس المعتدين * وسيزداد بيانها * اذا اتى مكانها * وهذا

السلطان ابوه كان قاضيا عند السلطان ارتنا حاكم قيصرية وبعض ممالك قرمان * وكان بين الامراء والوزراء ذا مكانة واحترام * وكان ابنه برهان الدين احمد المذكور في عنفوان شبابه * من طلبة العلم الشريف واصحابه * المجتهدين في تحصيله واكتسابه * فتوجه الى مصر لاقتناء العلوم * وضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم * وكان ذا فطنة وقادة * وقريحة نقادة * ومقلة غير رقادة * فحصل من العلوم عدة * في اذنى مدة * فبينما هو في مصر يسير * اذ هو بفقير جالس على الطريق كسير * فناوله شيأ يسد به خلته * ويجبر به فقره وكسرته * فكاشفه ذلك الفقير بلفظ معلوم * وكشف له عن السر المكتوم * وقال لا تغفل عن الله تعالى يا برهان سلطان الروم * فصاغ ابن الكلام قلبه * فخلف في اهله والاهله * وقطع العلائق * ودخل الطرق صحبة الرفاق * ولما وصل الى شيراز * ابتهج به والده واعيان الناس * وشيد له بين الخلق اشد بنيان واشد اساس * وشرع في الغاغ الدروس * ومصاحبة الاعيان والرؤس * وكان ذا همة ابيه * وراحة سخية * ونفس زكية * وخصائل رضية * وشمائل مرضية *

وتحرير شاف * وتقرير وافٍ * يحقق كلام العلماء * ويدقق النظر
في مقالات الفضلاء * وله مصنفات في المعقول * ولطائف في المنقول *
ينظم الشعر الرقيق * ويعطي عليه العطاء الجليل * ويجيده اللفظ
الدقيق * ويثيب عليه الثواب الجزيل * وهو في ذلك يتزيا بزي الاجياد *
ويسلك طريقة الامراء من الركوب والاصطياد * ويلازم ابواب السلطان *
ويتخذ الخدم والايوان * فمات السلطان عن ولد صغير * فاجلسوه
على السرير * وكان عنده من اعيان الامراء * ورؤس الوزراء *
اناس منهم غضنفر بن المظفر وفريدون وابن المؤيد وحاجي كلدي
وحاجي ابراهيم وغيرهم ومن اكبرهم ابو القاضي برهان الدين فصار
هؤلاء الامراء * والرؤس من الوزراء والكبراء * يديرون مصالح
الرعية * ولا يفصلون الا بالاتفاق ما يقع من قضية * فمات ابو القاضي
برهان الدين وتولى ولده مكانه * وفاق بالعلم وحسن السياسة اياه
واقرانه * ففرق ولايات ذلك الاقليم * على ابن المؤيد وحاجي كلدي
وحاجي ابراهيم * فبقي حوالي السلطان محمد * فريدون وغضنفر
وبرهان الدين احمد * ثم توفي السلطان محمد * عن غير ولد * فبقيت

الولاية بين الثلاثة * على سبيل الاشتراك ورائه * وكلما اتفق ضرتان
على زوج واحد والتقتا * ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وهاهنا
فقير * يلتفتون في حضير * وملكان لا يسعهما اقليم كبير * فاراد برهان
الدين الاستبداد بالملك والاستقلال * فنصب لشريكيه اشراك الاحتيال *
اذا الملك عقيم * فرصد لذلك الطالع المستقيم * ونظر نظرة في النجوم
فقال انني سقيم * فرأى شريكاه ان العيادة عبادة * فظلا بعيادته
الحسنى وارام هو الزيادة * فعاداه وقد عاد اهما * وما راعاه ولكن
راعاهما وراعاهما * فلا خلا عليه وقد ارصد لهما ارصادا * واعد لهما
من الرجال المعدة عددا * وقتلهما وقد حصلا في قبضة الاشراك *
واخلص توحيد السلطنة الاحمدية عن الاشراك * فقوي بالتوحيد
سلطانه * واضاء به للدين حجته وبرهانه * ولكن ناواه اندادا *
وعصى عليه من الثواب اكفاءة واضدادا * واظهر كامن العداوة
ما اعد اوة وحساده * وقالوا اذه مرتبة لم ينلها آباؤه ولا اجداده * ونحن
كلنا سياسية اذ انتمينا * فاني يكون له الملك علينا * وحسن الرياسة
هو الغل القبيل * وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل * فمنهم شيخ نجيب

صاحب توقات القاسيه * ومنهم حاجي كلدي وكان نائب اماسيه *

فلما استقل بالملك تلقب بالسلطان * وكان قد استولى اذ ذاك

السلطان علاء الدين على ممالك قرمان * فقال السلطان برهان الدين

ان رواة التواريخ حدثتنا واسمعتنا * وكتب السير انبأتنا واخبرتنا *

ان ما جوالينا من الممالك متعلق بنا * من سلطاننا واردنا * ثم شرع

في استخلاص ما كان متعلقا بسلطانه * وجعل يشن الغارات على

من يتمادى في عصيانه * فقلع قلعة توقات من الشيخ نجيب قسرا *

واستصحبه معه طيبة وقهرا * وانحازت تتار الروم اليه وهم الجم الغفير *

وعثمان الملقب بقرا يلوك قال له انا تحت اوامرك امشي وفي قيد

طاعتك اسير * فكان قرا يلوك من جملة خدمه * وفي حساب تراكمته

وحشمه * فكان يرتحل هو ومن معه من الناس * شتاء وصيفا بضواحي سيواس *

ذكر محو قرا يلوك عثمان آثار برهان الدين

السلطان * بسبب ما اظهره من العدوان * واضمره حالة

العصيان * وقبض عليه لما غدر به الدهر وخان *

ثم انه وقع بين قرا يلوك وبين السلطان منافرة * ادت الى المشاجرة *

وانتهت الى المراسة والمناقرة * فنقض العهود والذمم * وامتنع من حمل
التقادم والخدم * وتمنع فى الاماكن العاصية بمن معه من المتراكمة
والحشم * فلم يكترث به السلطان * لانه كان اقل الاعوان * فجعل
يتوجه تارة الى اماسية واخرى الى ارزنجان * وكان بالمقرب من سيواس
مضيف * منظره ظريف * وترابه نظيف * وماؤه خفيف * وهواؤه
لطيف * كان الخلد خلع على اكنافه رياضه سندسه الاخضر * والفردوس
فجرى خلال اشجاره من نهره الكوثر * على حدائقه من زوضاته
الجنات تجرى * وفى ربوة جنته للابصار دهشات وللابصائر تزهة *

* قلت * شعر *

عليه شقيق قد زها فكأنه * صحون عقيق اترعت بالعنابر *

فقصده ترايلوك * ورام فى طريقه السلوك * فمر على سيواس * وبها
القاضى ابو العباس * فجاز بركابه * ولم يعبأ به * فالتهب تهوز
قيظه * وكاد يتميز من غيظه * وقال بلغ من امر العواء ان يلج برج
الاسد * ويقدم قدم اقدامه وانا حامل بعد البلد * ثم امر جماعته
بالركوب * وقصد عليه الوثوب * واستفزه الغضب والطيش * ان ركب

وسبق الجيش * فقال له بعض من معه من الحماة * لو يلبث مولانا

السلطان ساعة * حتى يتلاحق العسكر * كان احزم وارفق وأجدر *

وان كان حرمة مولانا السلطان فيها كفاية ولها أيد * لكن قرايلوك

تركماني ذو دهاء وكيد * فلم يلتفت السلطان الى هذا الكلام * ولم يزل

هاجما وراءه حتى هجم الظلام * فكر عليه قرايلوك بجماعته * فقبض

عليه بالبد من ساعته * ولم يدر ما حاله العسكر * وتفرق

امراؤه وجنده شذر مذر *

ذكر ما كان نواه قرايلوك من الرأي المصيب *

ورجوعه عنه لموعظة بليغة بشيخ نجيب *

ثم ان قرايلوك عزم ان يجدد معه العهد والميثاق * ويقلع عرامة

الخلاف ويؤسس بنيان الصداقة والوفاق * ويرده الى مكانه *

ويصير كما كان اولا من انصاره واعوانه * ويعلم بذلك السلطان انه

له ناصح * فلا يسمع فيه كلام واش وكاشح * واذا بشيخ نجيب الذي

كان متولي قلعة توقات * وحاضره السلطان وضيق عليه مسالك

الطرقات * ثم هزمه وغلبه * واخذ قلعته وبالكراهة استصحبه *

وجد فرصة فانتهزها * وكان في قلبه كامن ضغينة فابرزها * فجاء
الى قرايلوك * ووقف في خدمته كالمملوك * وقال اعيذ عالم عقلك
ان يزل * ودليل فهمك ان يضل * ومصيب رأيك ان يصاب * وجميل
فكرك ان يعاب * قد امكن الله من العدو * وانى لك مع
هذا سكون وهدو * قلعت * شعر *

* ما الدهر الا ساعة وتنقضي * والمرء فيها حازم او نادم *

فلئن ابقيت عليه لا يبقي عليك * ولئن نظرت اليه بعين الرحمة
فالله لا ينظر اليك * فانه رجل غبي * وبانواع المكر واصناف الخديعة عبي *
عسر القياد وابيك لا ينجع فيه الخير وابي * وهبك والعياذ بالله
مكانه منك * اكان يزق لك او يصفح عنك * هيهات هذا والله محال *
فقد وقع لك مجال * فما كل اوان * يسمح بالمراد الزمان * والدهر
فرص واكثره غصص * فاياك ان تفوت الفرصة * فتقع في الغصة
واي غصة * ولا ينفعك الندم * اذا زلت بك القدم * وتفكر فيما اقول *
واستنبط دليل هذه المسئلة من المعقول * واستبق شوطك الرفيع بازالة
دمه * وحسن استبراء حرمك بابتذال حرمه * وقد كبر يا امير * امور

قابوس رشمكير * ولازال ذلك الشيطان * يحسن له الرأى في قتل
السلطان * ويقول هذا الرأى انفع لك وعليك اعود * كما فعل بسطام
امير الكرد بقرا يوسف لما قبض على السلطان احمد * فرجع قرا يلوك
عن رأيه لما خلد عهوده * فقتل السلطان من غير امهال ولا توقيف
رحمه الله * وكان قتل قرا يوسف السلطان احمد بن الشيخ اويس
في عاشر شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثمانمائة والقصة مشهورة * وكان
السلطان رحمه الله كما ذكرنا اولا * عالما فاضلا كريما متفضلا * محققا
في التقرير * مدققا في التحرير * قريبا من الناس * مع كونه
شديد البأس * رقيق الحاشية اديبا * شاعرا ظريفا اريبا * جوادا
معطاء * قرفا هماما * منهاب الدنيا زاهدا * يهاب الاولياء ويرتجيهم *
يحب العلماء ويجالسهم * ويكرم الفقراء ويكاسرهم * قتل يوم
الاثنين والخميس والجمعة للعلماء وحفاظ القرآن خاصة * لا يدخل
عليه منهم غيرهم من تلك الايام الخاصة * وكان قد اقلع قبل وفاته
عن جميع ما كان عليه * وتاب الى الله تعالى ورجع اليه * وله مصنفات
منها الترجيح على التلويح * وكان محمد بن ايم للفضل خبيرا * بغداد

الأصل يدعى عبد العزيز * وكان أعجوبة الزمان * وفي لطائف
النثر والنظم فارسيا وعربيا أطروبة الدوران * سرقه من بغداد
من السلطان احمد بن الشيخ اويس * فكان عنده رأس نديمه
وعين أهل الفضل والكيس * والقاضي كان يربي الفضلاء * متطلبا
من كل جهة الأدباء والشعراء * وكان أهل الفضل والأدب يفدون
عليه من كل فج * حتى صار مقامه كعبة الحاج لا كعبة الحج *
وصورة سرقته له انه لما سمع بأوصافه أحبه فأراد قربه فالتمسه
من مخدومه * فلم تسمح نفس السلطان احمد بمفارقته نديمه *
ثم احتشى من القاضي ارعومه * وخاف لشدة دهيه هربه * فوصى به
وخرج عليه * وأقام له فعلات يحفظونه من خلفه ومن بين يديه *
فأرسل القاضي اليه رسولا ذكيا * فأراه نداء خفيا * وأجزل له
العطية * ووعده مواعيد سنية * وفرق ما بين السلطانين من الحسن
والقبح * كفرق ما بين البحرين العذب والملح * والمزين المساء والصبح *
فلبى دعوته بالقبول * ووعد للخروج بعض الفصول * ثم خرج
فلهيب الحر قد رقد * والسلطان احمد عند الحريم قد رقد * ووضع

فيا بؤ على ساحل دجلة * ورجع الى داخل النهر فى الطين رجله *
ثم غاص فى الماء وغطس * وخرج من مكان آخر * والتحق برفقائه * واختفى
بينهم اختفاء اليربوع فى نافقائه * فطلبه السلطان احمد * فتشوا
عليه فلم يوجد * فبالغوا فى طلبه * الى ان وقفوا على ثيابه *
ورأوا آثار رجليه فى الطين * فلم يشكوا ان الموج اختطفه فكان
من المغرقين * فكفوا قدم السعى عن طلبه * ولم يضبقوا على احد بسببه *
ثم بعد ايام يسيرة * اخرج غريق بعد ادراكه بسيواس عند القاضى
برهان الدين من تحت الصيرة * فغرقه فى البحر نوالله * واسبغ
عليه ذيل كرمه وافضاله * فصار عنده مقدما * ولديه مبجلا
معظما * الف له تاريخا بديعا * سلك فيه مهيعا رفيعا * وانتهج
منتهجا منيعا * ذكر فيه من بدو امره الى قرب وفاته * مع مواقفه
ووقائعه ومصاداته * ووشحه بظريف كناياته * ولطيف استعاراته *
وفصيح لغاته وبليغ كلماته * ورشيق اشاراته ودقيق عباراته *
مما فيه عنان اللسان * وهو موجود فى ممالك قرمان * فى اربع
مجلدات ذكر ذلك لى من غاص بحره * واستخرج درره * ووقف

من تاريخ العتبي في اليمين * السلطان محمود بن سبكتكين * وان هذا احسن من ذلك اسلوبا * واغزر يعبوبا * واعذب مشروبا * مع انه لم اقف عليهما * ولا وصلت لقصر الباع اليهما * ثم ان الشيخ عبد العزيز من ابعد لهيب هذه النائرة * انتقل الى القاهرة * ولم يبرح على الايراح * ومغاقرة راح الاتراح * حتى خامرته نشأة الوجد فضاح * وتردى من سطح عال فطاح * ومات منتسرا ميتة صاحب الصحاح * والله اعلم *

ذكر ما وقع من الفساد في الدنيا والدين بعد قتل قراسنقر السلطان برهان الدين *

ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن في اولاده من يصلح للرياسة * ويتقن احكام السلطنة والسياسة * فرجع قراسنقر الى وساوس * ودعا الى نفسه الناس * فلم يجيبوه * ولعنوه وسبوه * فاجتمع لحاصرهم ويتاكدهم * ويضيق عليهم ويعاندهم * فاستمد واعليه التتار فامدهم * واتت طائفة منهم فنجدهم * فكسرهم قراسنقر ففروا * واستنجد واطوائفهم وكروا * واقبلوا بالقبض والقضيض * وملأوا البقاع

والحضيض * فلم يكن لقرايلوك على جيتة قتالهم طوق * فدخل عليهم
من تحت وجاءهم من فوق * وتوجه الى تيمور * وكان بحر جيشه
فيما ذر بيجان تيمور * وقبل يديه * وانتمى اليه * وجعل ينادي
الى هذه البلاد وزيدعو * كما فعل معه الامير ايدكو * فحك له في الدبرة *
فاجابه اجابة برضيها بامره *

ذكر مشاورة الناس من اهل سيواس انى يسلكون ومن يملكون *
ثم ان اهل سيواس * والاعيان من رؤسائها والاكياس * تشاوروا
فيمن يملكون قيادهم * والى من يسلمون بلادهم * لسلطان مصر ام
لابن قرمان * ام للسلطان الغازي بايزيد بن عثمان * ثم اتفق رأيهم
السديد * على المرحوم يلدريم بايزيد * فارسلوا اليه قاصدا *
واستنهضوه اليهم واقدا * وانشدوه * وقد استنجدوه *

* شعر *

* وكم ابصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختياري *

فتوجه من ساعته اليهم * وقدم بالعساكر والجنود عليهم * ومهد القواعد
والاركان * وولى عليهم اكبر اولاده امير سليمان * واضاف اليه

خمسة انفار * من امرائه الكبار * يعقوبا بن اورا نبس وحمزة
بن بجار وقوج علي ومصطفى ودولادار * واستمال خواطر الاعيان *
وتوجه الى ارزنجان * فهرب منها طهرتن المذكور * وقصد في انهزامه
تيمور * فاستولى ابن عثمان * على مدينة ارزنجان * واخذ اموال
طهرتن وذخائره وحرمه * ومكن منهن سواسه وغلمانه وخدمه *
ورجع بالاموال والحمول * واشتغل بمحاصرة استنبول *

* فصـــــل *

فنبه قرايلوك وطهرتن * من تيمور نائم الغتن * وان كان المتحرك منه
في الفساد ما سكن * حتى توجه الى مدينة البلاد * وعم فساده البلاد
والعباد * فوصلوا الى ارزنجان واردبين * ثم ارتحلوا ونزلوا مغسل بن
ماردين * فعصى عليه الملك الظاهر * لما كان قاساه اولا من طاعة
ذلك الغادر * فندم على اطلاقه اول مره * كما سيندم يوم القيمة
ولم تنفعه الندامة والحسرة * وكان ذلك في سنة اثنين وثمانمائه *
والخلف قد وقع بين العساكر الشامية والمصرية وانحاز الى كل فئه *
وتفرقت آراؤهم ايادي سبا * ومال هواء كل منهم الى دبور وشمال

رضيا * واهملوا امور الرعايا * وغفلوا عن حلول البرزايا *

قلت * شعر *

* من يهمل الاعداء يا من كيدهم * مثل النوم وراءه مستيقظ *

قلت * شعر *

* والليث ليس له دليل سائر * نحو الذي يبغي كنوم الحازم *

ثم قتل هوتنم ملك الامراء بالشام المحروس * اعيان الامراء والاعلام الرؤس * في شهر رمضان من العام المذكور * وبيان هذه الامور في كتب التواريخ مسطور *

قلت * شعر *

* واذا العرين تصرعت آساده * صوت الثعالب فيه آمنة المرد *

ذكر قصد ذلك الغدار * سيواس وما يليها من هذه الديار *

ثم ان تيمور روجه عنان الباس * نحو مدينة سيواس * وبها كما ذكر امير سليمان * بن بايزيد بن مراد بن اورخان بن عثمان * فارسل يخبره بهذا الامر المهول * ويستنجده وهو اذ ذاك محاصر استنبول * فلم يطق ان يمد اليه يدا * لاحتياجه الى المدد ولبعد المدد * فاستحضر من جنده

اهل المنعة * وحصن المدينة والقلعة * واستعد للقتال واستعمل
للحصار * وفرق رؤس امرائه على ابدان الاسوار * وجهز تيمور
من جيشه العيون * ليتحقق ما هو عند ذي مظنون * ولما كشفت جيوشه
لامير سليمان زينها * فلما ان رأى عينها * فعزم على التوجه الى ابيه *
واشترط مع امرائه وذويه * انهم يحفظون له البلد * وبينما يجهزلهم
العدد والعدد * فلم يسعهم الا الموافقة * والتخلف وعدم المرافقة *
فرام لنفسه الخلاص * وافلت وله خصاص * فوصل اليها تيمور بتلك
السيول الهامية * سابع عشر ذي الحجة سنة اثنين وثمانمائة *
ولما احل بساوس رجله الشومى * قال انا فاتح هذه المدينة في ثمانية
عشر يوما * ثم اقام في محاصرتها علامات الحشر * وفتحها في اليوم الثامن
عشر * بعد ما عثى فيها وعاث * وذلك يوم الخميس خامس المحرم
سنة ثلاث * وبعد ان حلف للمقاتلة ان لا يريق دمهم * وانه يرعى
ذممهم ويحفظ حرمهم وحرمهم * ولما فرغت المقاتلة * واستمكن
من المقاتلة * ربطهم في الوثاق سربا * وحفر لهم في الارض سربا * والقاهم
احياء في تلك الاخاديد * كما القي في قليب بدر الصناديد * وعدد

نمن القي في تلك الحفر * كان ثلاثة آلاف نفر * ثم اطلق عنان النهاب *
واتبع النهب الهدم والخراب * وكانت هذه المدينة من اظرف الامصار *
في احسن الاقطار ذات عمائر مكينة * واماكن حصينة * ومآثر
مشهودة * ومشاهد معهودة * مياهها رائق * وهواؤها للامزجة
موافق * وسكانها من الخلائق يتعانون التوقير والاحتشام *
ويتعاطون اسباب التكلف لاحترام * وهي متاخمة ثلاث نجوم *
الشام واذربيجان والروم ما الآن فقد حلت بها الغير * وتفرق
اهلها شذر مذر * وانمحت معالمها * فهي خاوية على عروشها *

ذكر انعجام صواعق البلاء الظلام *

من غمام الغرام على ممالك الشام *

ولما استغنى سيواس لحما ونقيا * واما حضد اورعيا * فوق
سهام الانتقام الى نحو ممالك الشام نودان قيل كالجراد
المنتشر * فالجراد كان من اعوانها * او كالنهر * فسيل الى ماء
جار من نزلها وخرصانها * او كالفراش الى الفراش يحترق عند
تطايرهما * او كالقطر الهامي فالديم تضمن انعقاد قتامها *

رجال تُوران * وابطال ایران * ونمور ترکستان * وببور الخشان *
وصقور الدشت والخطا * ونسور المغول وکواسر الجت * وافاعي خجند
وثعابين ايدکان * وهوام خوارزم وجوارح جرجان * وعقبان
صغانيان * وضواري حصار شادمان * وفوارس فارس وابطال خراسان *
وضباع الجيل وليوث مازندران * وسباع الجبال وتماسيح رستمدار
وطالقان * وامثل قبائل خوز وکرمان * وطلس ارباب طيالسة
اصبهان * وذئاب الري وغزني وهمذان * وافيال الهند والسند
وملتان * وکباش ولايات البلور * ونيران شواهق الغور * وعقارب
شهرزور * وجرارات عسکر مکرم وجندي نيابور *

* شعر *

* قوم اذا الشرابذي ناجذيه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا *
مع ما اضيف اليهم من اعيار الخدم * وفراعل التراکمة والاوباش
والحشم * وکلاب النهابين من رعاع العرب وهمج العجم * وحفالة
عباد الاوثان وانجاس مجوس الامم * مالا يکتنفه ديوان * ولا يحيط
به دفتر حسبان * وبالجملة فانه الدجال ومعه ياجوج وماجوج *

والرياح العقيمة الهوج فتوجه والنصر قائد * والسعد رائد * والقضاء موافقه
والقدر مساعده * ومشيئة الله تعالى سابقته * وارادة الله عز وجل
في تدبير العباد والبلاد سابقته * فبلغ خبره البلاد الشامية * واتصل
ذلك بالملك الناصر صاحب الديار المصرية * فورد مرسوم شريف الى نائب الشام * وسائر
النواب والحكام * وغزاة الدين وحماة الاسلام * ان يتوجهوا الى
حلب * ويقيموا عليه الحلب * ويجتهدوا في دفعه * ويتعاونوا على
منعه * فتجهز نائب الشام سيدي سودون مع النواب والعسكر * ورحلوا
الى حلب سنة ثلث وثمانمائة في شهر صفر * ووصل تيمور الى بهسنا *
فنهب ضواحيها ولم يبق بها سنا * وحاصر قلعتها ثلاثة وعشرين ليلة *
فاخذها ولكن كف عنها للطيفة ربانية ثبورة ويلة * ثم وطأ مدينة
ملطية فاباد ها * ودك اطوادها * ثم حل كعبه المشوم * بقلعة الروم *
وكان نائبها الناصري * محمد بن موسى بن شهرى * رسنذكر ما جرى له معه
مشبعا * وكيف اجتهد في مجاهدته وسعى * فاقام بها يوما * فلم
ينتج له روما * ولم يحتفل لها بحصار وهياج * وقال هي اهون على من
تبالة على الحجاج * وذلك انه لما رآها من بعيد * قال فيها ما قاله

من لم يصل الى العنا قبل * والحق انه لما رآها * قال ان الله لما بناها *

اذ خبرها لنفسه واصطفاها * ثم انجاب ذلك السحاب * الى عين تاب *

وكان نائبها ان كماش * رجلا شديدا ليثا من * فحصنها واستعد *

وباشر القتال بنفسه واستبد * ثم خرج فهرب الى حلب *

فلم يرسل وراءه الطلب *

ذكر ما ارسل من كتاب وشيخ خطاب * الى النواب

بحلب وهو في عين تاب *

ثم ارسل الى النواب * قاصدا وهو في عين تاب * وصحبته مرسوم *

بانواع التفخيم موسوم * وباصناف التهويل مرقوم * ومن جملته

ان يطيعوا امره * ويكفوا عن القتال والمشاجرة * ويخطبوا باسم

محمود خان * وباسم الامير الكبير تيمور كوركان * ويرسلوا اليه

اطلامش الذي كان عنده فخان * واقتضه التركمان * وارساله الى مصر

لحضرة السلطان * واطلامش هذا زوج بنت اخت تيمور * وكان جاء

الى الشام قبل وقوع هذه الشرور * وفيما بين ذلك امور * كان لها بطون

فصار لها ظهور * وكان اولا في مصر محبوسا * وقال ضرا وبوسا *

ثم صار معزز امكرما * معظما مقدما * وكان تيمور عليه مغضبا *
وجعل ذلك حجة للمعاداة وسببا * ثم شرع يقول * وهو يجول *
في ميدان هذه الرسالة ويصول * انه هو الولي بسياسة الانام * وان
من نصبه هو الخليفة والامام * وانه ينبغي ان يكون هو المتبوع
والمطاع * وما سواه من ملوك الارض له خدام واتباع * وانى لغيره
دربة الرياسه * وكيف تعرف الجراكسة طرق السياسه * مع كثير
من التهويل * والحشو والتطويل * وكان يعلم ان اجابتهم سوء المحال *
وانه طلب منهم ما لا ينال * ولكن قصد بذلك قرع باب الجدال *
وتركيب الحجة عليهم في فتح حجرات القتال * فلم يجيبوه بالمقال *
ولكنهم قضوا مراده بالفعال * ولم يلتفتوا سيد يسودون لما يقول * وضرب
على رؤس الاشهاد عنق الرسول * واستعدوا للمبارزة * واستمدوا للمناجزة

ذكر ما تشاوروا عليه النواب * وهم في حلب وتيمور في عين تاب *

ثم ان النواب والامراء * ورؤس الاجناد والكبراء * تشاوروا كيف
يكافحونه * وفي اي ميدان يناطحونه * فقال بعضهم عند الراي
الاسد * ان نحصن البلد * ونكون على اسوارها بالرصد * نحرس بروج

أفلاكها * حراسة السماء بأملاكها * فإن رأينا حواليها من شياطين
العدو واحدا * أرسلنا عليه من رجوم السهام ونجوم المكاحل شهابا
رصدا * وقال آخرهذا عين الحصر * وعلامة العجز والكسر * بل نحلق
حواليها * ونمنع العدو أن يصل إليها * ويكون ذلك أفسح للمجال *
وأشرح للجدال * ثم ذكر كل من أولئك * ما عن له في ذلك *
وخلطوا غث القول بسمينه * وساقوا إعجان الرأي مع عجينه * فقال
الملك المؤيد * شيخ الخاصكي وكان ذا رأي مسدد * وهو إذ ذاك
نائب طرابلس يا معشر الأصحاب * وأسود الحرب وفوارس الضراب *
اعلموا أن أمركم خطر * وعدوكم داهر عسر * داهية دهياء *
معضلة عضلاء * جند ثقيل * وفكرة وبيل * ومصابه عريض طويل *
فخذوا حذركم * واعملوا في دفعه بحسن الحيلة فكركم * فإن صائب
الأفكار * يفعل ما لا يفعله الصارم البتار * ومشاورة الأذكياء *
مفتحة الفكر * ومباحثة العلماء * مقدمة النظر * إن هذا البحر
ما تحمله بر * وجيشه عدد كالقطر والذر * وهو وإن كان كالوابل الصيب *
لكنه أعمى لا نه في بلادنا غريب * فعندي الرأي الصائب * أن نحصن

المدينة من كل جانب * ونكون خارجها مجتمعين في جانب واحد *
وكلنا له مراقب مراصد * ثم نحفر حولنا خنادق * ونجعل أسوارها
البياذق والموارق * ونطير الى الآفاق اجنحة البطائق * الى الاعراب
والاكراد * والتراكمة ومعاشر البلاد * فيتسلطون عليه
من الجوانب * ويغير عليه كل راجل وراكب * ويصير ما بين
قاتل وناهب * وخاطف وسالب * فان اقام واتى له ذلك ففي
شر مقام * وان تقدم الينا صاح فيه بسواعد الاسنة واكف الدرق
وانامل السهام * وان رجع وهو المرام رجع بخيبه * واقيمت لنا عند
سلطاننا الحرمة والهيبه * وان كان يسلطانه علينا عرج * فلنا بحمد
الله سلطان ولي سلطانا فرج * واقل الاشياء ان نمانعه ونتحرز من جنده *
فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده * وهذا الرأي الاسد * بعينه
كان رأي شاه منصور الاسد * فقال تمرداش وهو نائب المدينه * ما هذه
الآراء مكينة ولا هذه الافكار رصينه * بل المناضلة خير من المطاولة *
والمناجزة * في هذه المواطن قبل المحاجزة * ومقام المنازله * لا تجدي
فيه المغازله * ولكل مقام مقال * ولكل مجال مجال * وهذا طير

في قبض * وصيد مقتنص * فاغتنموا فيه الفرص * وبادروه بالحرب *
وسابقوه بالطعن والضرب * لئلا يتوهم فينا الخور * ويستنشق من ركود
ريحنا عرف الظفر * فاجمعوا امركم واعجلوا * ولا تنازعوا فتفشلوا *
وانهضوا وثابروا * واصبروا وصابروا * فانتم بحمد الله اهل النجدة *
واولوا الباس والشدة * وكل منكم في فقه المناضلة مغن ومحتال * وعلمه
في افاضة دماء الاعداء منار * وله في ذلك كفاية * وهذه اية ونهاية *
وغيره له بداية * وهو لجمع الاسلام كنز واب وجامع كاف ووقاية *
تحثوا السنة سيوفكم الى تكليم الرؤس فهي في لفظها كافية شافية *
وتصرف اسنان اسنتكم في مضاعفة كل ذي فعل معتل فهي في تصريف
علها شافية كافية * فان كسرنا فزنا بالمنال * وكفى الله المؤمنين
القتال * وتلك من الله معونة * وقد كفينا عساكر المصريين المؤنة *
وكان ذلك على لحرمتنا * وقوى في ورود النصر شوكتنا * واذكى
لريح نصرنا واركى * وابكى لعينه السخينة وانكى * وان كانت والعياذ
بالله الاخرى * فلا علينا اذا بذلنا مجهودا واقمنا عذرا * ومحمد ومنا
يدرك ثارنا * ويحيي اثارنا * فتوكلوا على الله العزيز الجبار *

واستعد والملاقاة هؤلاء الاشرار * واذا لقيتموهم زحفا فلا تولوهم
الادبار * ولا زال تمرداش * يحسن لهم هذا الرأى اللاش * حتى اجمعوا
عليه * واتفقوا على الخروج اليه * لانه كان صاحب البلد * وعلى كلاهما
المعول والمعتمد * وكان تمرداش قد خالف الجمهور * ووافق فى الباطن
تيمور * وهذه كانت عادته * وعلى المراوغة جبلت طينته * فانه كان
كالشاة العائرة * والمرأة العاهرة الغائرة * اذا التقى عسكران فلا يكاد
يثبت فى احد هما جبنا منه ومكرا * بل يغير الى هذا مرة والى هذا اخرى *
مع انه كان صورة بلا معنى * ولفظا بلا فحوى * فاعتمد تيمور عليه *
وفوض الامور اليه * وكذلك عشاكر الشام * وجنود الاسلام *
ثم حصنوا المدينة وضبطوا ابوابها * وضيقوا شوارعها وبرحابها *
ووكلوا بكل حارة ومحلة اصحابها * وفتحوا الابواب التى تقابل
ملتقاه * وهى باب النصر وباب الفرج وباب القناه *

ذكر ما صبه من صواعق البيض والبلب * على العساكر الشامية عند
وصوله الى حلب *

ثم ان تيمور نقل الركاب * فوصل فى سبعة ايام الى حلب من عين تاب *

فحل بذلك اليوم * تاسع شهر الربيع الاول يوم الخميس * وبرز من ذلك
العسكر * طائفة نحو ١ من الفي نفر * فتقدم لهم من الاسود الشامية *
نحو من ثلثمائة * فقلوهم بالصفاح * وشلوهم بالرماح * فبددوهم
وطردوهم * وجدروهم وشردوهم * ثم اصبحوا يوم الجمعة فبرز
من عسكره نحو من خمسة آلاف * الى مصاف القتال * فتقدم اليهم
طائفة اخرى * ارسالا وتترى * فالتحم بينهم النطاح * واشتبك
بين الطائفتين انامل الرماح * فازدحموا واقتحموا * واشتد واد التحموا *
ولا زالت اقلام الخط * في الواح الصدور تخط * والقضبان الصوارم لروس
تلك الاقلام والاعلام تقط * ومشاريط النبال لذ ما ميل اليها لا تريط *
والارض من اثقال اجبال القتال تئط * حتى سجى ليلا الظلام والقتام
واغطشا * فتراجعوا وقد اعطى الله النصر لمن يشا * وجرى من دماء العدو
مع فرق نهران * وتقدم من العساكر الاسلامية نفران * ثم اصبحوا يوم
السبت حادي عشره وقد تعبت الجنود الشامية * والعساكر الاسلامية
السلطانية * بالعدة البالغة * والاهبة السابغة * والخيول المسومة *
والرماح المقومة * والاعلام المعلمة * ولم يعوزوا تلك الصنادل *

لهوى شمة من النصر والتأييد * فنحوا قصده * وقصد واردة وصدره *
واقبلت عساكره والسعد الميمون طائره * والقضاء موازره والقدر
مظاهره * بالجنود المذكورة * والجيوش المعهودة المنصورة *
تؤمهم الاقبال * وأقبال القتال * واذا به قد اضمر لهم الويل *
وعبى عساكره تحت جنح الليل * وبثهم فيهم وارسل عليهم وقابلهم بمقدميهم
وشغلهم باوائلهم * واحاط الباقون بهم فاتوهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم * فمشى عليهم مشي الموسى
على الشعر * وسعى سعي الدبا على الزرع الاخضر * وكان مثل الجولان *
على قرية حيلان * ولما اهتمش امر الناس وهاش * وجاشت الهوشة
والامتحاش * وتهارشت الاسود وانتطحت الكباش * فرت الميمنة
وكان رأسها تمرداش * فانكسر العسكر وطاش * واخذ الابطال من الدهشة
الارتعاش * وغلبتهم الحيرة والانبهار * فلم يلبثوا ولا ساعة من نهار *
فمم ولوا الدبر * وصارت لاقلام رماحه ظهورهم الزبر * واستمروا امامهم
يتواثبون * وعسكره وراءهم يتخاطبون *

بمعنى ما قلت * شعر *

* جعلنا ظهور القوم فى التراب ارجها * ورقينا بها ثغرا وعينا وحاجبا *
فقصدوا المدينة من الباب المفتوح * وهم مابين مهشوم ومجروح *
والسيوف تشقهم * والرماح تدقهم * وقد سالت بدمائهم الاباطح *
وتتر من ساير لحمهم كل كاسر وجارح * فوصلوا الى باب المدينة وانكسروا *
وصيحوا فيه نيلا واحدا فتكسروا * ولا زال يدوس بعضهم بعضا *
حتى صارت العتبة العليا من الباب ارضا * فانسدت الابواب بالقتلى *
ولم يمكن الدخول منها اصلا * فتشتتوا فى البلاد * وتفرقوا فى المهامه
والاطواد * وكسر باب انطاكية الممالك الاغتام * وخرجوا منه
قاصدين بلاد الشام * فوصل فلهم الى دمشق فى اسبع صورة * وحكموا
فى كيفية من الموقعة اشنع سيرة * وصعد النواب الى قلعة حلب وتحصنوا *
فضاقت عليهم الارض بما رحبت فاستأمنوا * ونزلوا بواسطة تمرداش
اليه * وقد غسل كل منهم من الحيوة يديه * ثم انه مشى على هينته *
مع وقاره ورزانته وسكينته * ودخل حلب * ونال منها ما طلب *
وفاز بالروح والسلب * ولما نزل النواب اليه * قبض على سيدى
سودون زيخ على الخاصكى واما تمرداش فخلع عليه * وقبض

على التوتبغا العثماني نائب صفد * وعلى عمر بن الطحان نائب غزة جعل
الكل في صفد * وشرع في استخلاص الاموال * وضبط الاثقال
والانفال * وقد ملأت القلوب هواجس هيبته * وانتشرت الآفاق
شرارة صولته * ثم انه لم يكتف بما ازهقه من النفوس * حتى بنى الميادين
من الرؤس * وسبب ذلك ان ذا قرابة البريد الذي ارسله الى
حلب * وضرب نائب الشام عنقه وسلبه السلب * ذكر تيمور بقصته *
فاراد القود من اهل حلب لذي قرابته * فاجاب سؤاله فمكنه * فمن
يختار منهم ان يفعل فيه ما استحسنه * فقتل طائفة منهم وبنى
من رؤسهم كذا وكذا ميذنة *

زيادة ايضاح لهذه المحنة * مما نقلته من تاريخ ابن الشحنة *

قال اخبرني الحافظ الجوارزمي ان من كتب في الديوان من عساكر
تيمور ثمانمائة الف نفس ومنه ان تيمور قصد قلعة المسلمين وكان
نائبها الناصري محمد بن موسى بن شهري وانه عصى عليه وكان يخرج
للغارات ثم قال ما نصه بحروفه وكان قد ابدع بجمائع تمرلنك وطواشته
مدة اقامته على بهسنا وقتل منهم جماعة وارسل رؤسهم الى حلب

وكسرتوما ناكان جهزه اليه اقبح كسرة حتى رمى غالب جماعته بانفسهم
في الفراة وجهز تمرلنك كتابه الى المشار اليه ونصه يقول فيه اني خرجت
من اقصى بلاد سمرقند ولم يقف احد امامي وسائر ملوك البلاد حضروا
الي وانت سلطت على جماعتي من يشوش عليهم ويقتل من ظفر به
منهم والآن فقد مشينا عليك بعساكرنا فان اشفقت على نفسك ورعيتك
فاحضر الينا لترى من الرحمة والشفقة ما لامزيد عليه والا نزلنا عليك
وخربنا بلدك وقد قال الله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون فاستعد لما يحيط بك
ان ابيت الحضور * فامسك المشار اليه الرسول وحبسه ولم يلتفت
الى كلام تمرلنك فمشى اليه اوائل عسكره فبرز اليهم المشار اليه وقاتلهم
وكسرهم وفي اليوم الثاني حضر تمرلنك على قلعة المسلمين وبرز اليه
المشار اليه وقاتله قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة رأى فيها منه
تمرلنك شدة حزم ورجع عن محاربته واخذ في مخادعته وملاطفته
وطلب منه الصلح وان يرسل اليه خيلا ومالا لاجل حرمته فلم ينخدع منه
وتنازل معه الى ان طلب منه جانبا فلم يعطه وعاد خائبا واخذ

المشار اليه في اواخره قتلا ونهبا واسرا كل ذلك وباب قلعته مفتوح لم يغلقه يوما واحدا وانشد فيه لسان الحال *

* شعر *

* من الامير الذي صحت مناقبه * ليث الوغى عمت الدنيا مفاخره *
* ولى تمرلنك مكسورا اوائله * منه مرارا ومن عورا اواخره *

وكان حصول تلك السعادة للمشار اليه دون غيره من الملوك واصحاب الحصون لما كان فيه من العلم والديانة والاخلاص والصيانة ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية رضي الله عنها * ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع الاول نازل تمرلنك حلب وكان نائبها المقر السيفي تمرداش وقد حضرت اليه عساكر البلاد الشامية وعسكر دمشق مع نائبها سيدي سودون وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفي شيخ الخاصكي وعسكر حماة مع نائبها المقر السيفي دقماق وعسكر صفد وغيرها فاختلفت آراؤهم فمن قائل ادخلوا المدينة وقاتلوا من الاسوار ومن قائل اخرجوا ظاهر البلد تلقاء العدو بالخيام فلما رأى المقر السيفي اختلافهم اذن لاهل حلب في اخلائها والتوجه حيث شاؤا وكان نعم الرأي

فلم يوافقوا على ذلك وضربوا خيامهم ظاهر البلد تلقاء العدو
وحضر قاصد تمرلنك فقتله نائب دمشق قبل ان يسمع كلامه ويوم
الجمعة حصل بين الاطراف تناوش يسير فلما كان يوم السبت حادي
عشر شهر الربيع الاول زحف تمرلنك بجيوشه وقبيلته فولى المسلمون
نحو المدينة وازدحموا في الابواب ومات منهم خلق عظيم والعدو
وراءهم يقتل ويأسر وادخل تمرلنك حلب عنوة بالسيف وصعد نواب
المملكة وخواص الناس الى القلعة وكان اهل حلب قد جعلوا غالب
اموالهم فيها وفي يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الاول دخل القلعة
بالامان والايمان التي ليس معها ايمان وفي ثاني يوم صعد اليها
وآخر النهار طلب علماء هذا وقضاتها فحضرنا اليه ثم اوقفنا ساعة
ثم امر بجلوسنا وطلب من معه من اهل العلم فقال لامير هم عندنا
وهو المولى عبد الجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفي والد من العلماء
المشهورين بسمرقند قل لهم اني سائلهم عن مسئلة سألت عنها علماء
سمرقند وبخارا وهراة وسائر البلاد التي افتتحتها فلم يفصحوا عن جواب
فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبني الا اعلمكم وافضلكم وليعرف ما يتكلم فاني

خالطت العلماء ولي بهم اختصاص والفقه ولي في العلم طلب قديم
وكان بلغنا عنه انه يتعنت العلماء في الاسئلة ويجعل ذلك سببا لقتلهم
او تعذيبهم فقال القاضي شرف الدين موسى الانصاري الشافعي عني هذا
شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها سلوه والله المستعان فقال لي عبد الجبار
سلطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا ام قتيلكم
فوجم الجميع وقلنا في انفسنا هذا الذي بلغنا عنه من التعنت وسكت
القوم ففتح الله علي بجواب سريع بديع وقلت هذا سؤال سئل عنه سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا مجيب بما اجاب به سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي صاحبي القاضي شرف الدين
موسى الانصاري بعد ان انفضت الحادثة والله العظيم لما قلت هذا
سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا محدث زماني
قلت هذا عالمنا قد اختل عقله وهو معذور وان هذا سؤال لا يمكن الجواب
عنه في هذا المقام ووقع في نفس عبد الجبار مثل ذلك والقى تمر لنك
الى سمعه وبصره وقال لعبد الجبار يسخر من كلامي كيف سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذا وكيف اجاب قلت جاء اعرابي

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل
حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فاينا في سبيل الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
فهو الشهيد ثم قال تمر لنك خوب خوب وقال عبد الجبار ما احسن
ما قلت وانفتح باب المؤانسة وقال اني رجل نصف آدمي وقد
اخذت بلادكذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق
والهند وسائر بلاد التتار فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك
عن هذه الامة ولا تقتل احدا فقال والله اني لا اقتل احدا قصدا
وانما انتم تقتلتم انفسكم في الابواب والله لا اقتل احدا منكم وانتم اصنون
على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة مني فطمع كل
من الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة
والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب
هذا الرجل فانه يعرف ما يقول وكان آخر ما سأل عنه ما تقولون في علي
ومعاوية ويزيد فاسر الي القاضي شرف الدين وكان الى جانبي ان اعرف
كيف تجاوبه فانه شيعي فلما فرغ من سماع كلامه الاول قال القاضي

علم الدين القضي المالكي كلاما معناه ان الكل مجتهدون فغضب
لذلك غضبا شديدا وقال علي على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وانتم
حلميون تبيعون لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فاخذت في
ملاطفته والاعتذار عن المالكي بانه اجاب بشيء وجده في كتاب لا يعرف
معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط واخذ عبد الجبار يسأل عني
ومن القاضي شرف الدين فقال عني هذا عالم مليح وعن شرف الدين
وهذا رجل فصيح فسألني تمر لنك عن عمري فقلت مولدي سنة تسع
واربعين وسبع مائة وقد بلغت الآن اربعا وخمسين سنة فقال للقاضي
شرف الدين وانت كم عمرك فقال انا اكبر منه بسنة فقال تمر لنك
انتم في عمرا ولادي انا عمري اليوم بلغ خمسا وسبعين سنة وحضرت
صلوة المغرب واقيمت الصلوة وامنا عبد الجبار وصلى تمر لنك الى جانبي
قائما يركع ويسجد * ثم تفرقنا وفي اليوم الثاني عد ركل من في القلعة
واخذ جميع ما كان فيها من الاموال والاقمشة والامتعة مالا يحصى *
اخبرني بعض كتابه انه لم يكن اخذ من مدينة قط ما اخذ من هذه
القلعة وعوقب غالب المسلمين بانواع من العقوبة وحبسوا بالقلعة

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل
حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فأينا في سبيل الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
فهو الشهيد ثم قال تمرلتك خوب خوب وقال عبد الجبار ما احسن
ما قلت وانفتح باب المواعظة وقال اني رجل نصف آدمي وقد
أخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق
والهند وسائر بلاد التتار فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك
عن هذه الامة ولا تقتل أحدا فقال والله اني لا اقتل احدا قصدا
وانما انتم قتلتم انفسكم في الابواب والله لا اقتل احدا منكم وانتم آمنون
على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة مني فطمع كل
من الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة
والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب
هذا الرجل فانه يعرف ما يقول وكان آخر ما سأل عنه ما تقولون في علي
ومعاوية ويزيد فاسر الي القاضي شرف الدين وكان الى جانبي ان اعرف
كيف تجاوبه فانه شيعي فلما فرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضي

القلعة ففعلوا ما اوصاهم به الا انهم لم ينزلونا من القلعة وقال لنا الذي
ولي الحكم منهم بحلب وكان يدعى الامير موسى بن حاجي طغاي
اني اخاف عليكما والذي فهمته من سياق كلام تمرلنك انه اذا امر بسوء
فعل بسرعة ولا يعيد عنه واذا امر بخير فالامر فيه لمن وليه *
وفي اول يوم من الربيع الآخر برز الى ظاهر البلد متوجها نحو دمشق
وثاني يوم ارسل يطلب علماء البلد فرحنا اليه والمسلمون في امر مريب
وقطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل ان تمرلنك ارسل يطلب من عسكره رؤسا
من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد التي اخذها فلما
وصلنا اليه جاءنا شخص من علمائه يقال له المولى عمر فسألنا عن طلبنا
فقال يريد يستفتيكم في قتل نائب دمشق الذي قتل رسوله فقلت
هذه رؤس المسلمين تقطع وتحضر اليه بغير استفتاء وهو حلف ان لا يقتل
منا احدا قصدا فعاد اليه ونحن ننظره وبين يديه لحم سليق في طبق
ياكل منه فتكلم معه يسيرا ثم جاء الينا شخص بشيء من ذلك اللحم فلم
نفرغ من اكله الا وزعجة قائمة وتمرلنك صوته عال وساق شخص هكذا
وآخر هكذا وجاءنا امير يعتذر ويقول ان سلطاننا لم يأمر باحضار

ما بين مقيد ومزنجر ومسجون ومرسم عليه ونزل تمر لنك من القلعة
واقام بدار النيابة وصنع وليمة على زي المغل ووقف سائر الملوك والنواب
في خدمته وادار عليهم كؤوس الخمر والمسلمون في عقاب وعذاب
وسبي وقتل واسر وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في هدم وحرق
وتخريب ونبش الى آخر شهر الربيع الاول * ثم طلبني ورفيقي القاضي
شرف الدين واعاد السؤال عن علي ومعاوية فقلت له لاشك ان الحق
كان مع علي وليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد تمت بعلي
فقال تمر لنك قل علي على الحق ومعاوية ظالم قلت قال صاحب الهداية
يجوز تقليد القضاء من ولاة الجور فان كثيرا من الصحابة والتابعين
تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع علي في نوبته فانسر لذلك
وطلب الامراء الذين عينهم للاقامة بحلب وقال ان هذين الرجلين
نزول عندكم بحلب فاحسنوا اليهما والى الزامهما واصحابهما ومن
ينضم اليهما ولا تمكنوا احدا من اذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما
في القلعة بل اجعلوا اقامتهما في المدرسة يعني السلطانية التي تجاه

عزالدين وكان من أكبر امرآئه وقال ان الامير رسم باطلاقك واطلاق
من معك فاطلب من شئت وكثر لا روح معكم الى مشهد الحسين واقيم
عندكم حتى لا يبقى من عسكرنا احد وكان القاضي شرف الدين
لا يفارقني فطلبنا باقي القضاة واجتمع معنا نحو من الفي مسلم وتوجهنا
الى مشهد الحسين صحبة المشار اليه واقمنا ننظر الى النار وهي تضرم
في ارجائها وبعد ثلاثة ايام لم يبق بها احد فنزلنا اليها فلم نر بها احدا
فاستوحشنا وما قدرنا على الاقامة بها من النتن والوحشة
ولم نقدر على السلوك في الطرقات من ذلك *

* شعر *

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر *
وكانت تواب بلاد الشام معه مأسورين وانفلتوا اولا بأول ومات
يسودون بالبطن معه في قبة يلبغا واستقر في نيابة دمشق تنكري وردي
والله اعلم * هذا ما نقلته من كلام ابن الشحنة *
كما وجدته *

ذكر ورود خبر الخبر الذي اقلق * ووصول استنبوغا الى ديار *

رؤس المسلمين وانما امر بقطع رؤس القتلى وان يجعل منها قبة اقامة
لحرمته على جاري عادته ففهموا منه غير ما اراد وانه قال اطلقكم
فامضوا حيث شئتم * وركب تمرلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق
فعدنا الى القلعة ورأينا المصلحة في الاقامة بها واخذ الامير موسى
احسن الله اليه في الاحسان الينا وقبول شفاعتنا وتفقد احوالنا مدة
اقامته بحلب وقلعتها وتجهيزنا الاخبار ان سلطان المسلمين الملك الناصر
فرج قد نزل الى دمشق وانه كسر تمرلنك وهزمه فجئ بالعكس الى ان
انجلت القضية عن توجه السلطان الى مصر بعد ان قاتل مع تمرلنك
قتالا عظيما اشرف تمرلنك منه على الكسر والهزيمة وانما حصل من بعض
امرائه خيانة كان ذلك سبب توجهه اخذ بالحزم ودخل تمرلنك الى
دمشق ونهبها واحرقها وفعل فيها فوق ما فعل بحلب ولم يدخل طرابلس
بل احضر له منها مال ولا جاز فلسطين وعاد نحو حلب راجعا طالبا
بلاده * ولما كان سابع عشر شعبان من السنة المذكورة وصل تمرلنك
هائدا من الشام الى الجبول شرقي حلب ولم يدخلها بل امر المقيمين
بها من جهته بتخريبها واحراق المدينة ففعلوا وطلبني الامير

واما عساكر مصر فانهم كاملوا العدة * وسابغوا العدة * وفيهم للمسلمين فرج بعد الشدة * فما لا نحن بعد البليا والتي من شرة سلمنا * وما شهدنا الا بما علمنا * وكل منا انصح عما ادى اليه اجتهاده وابان * ووالله انه في نصيحته المسلمين النذير العريان * وقد نصحنا كم ان كنتم مفلحين * ولكن لا تحبون الناصحين * واستمروا الناس في التردد والتشاعب * والتفرق والتبدد والتشاغب * فبعضهم توجه نحو الاماكن البعيدة * وتوجه بعض الى الديار المصرية * وبعض تشبث باذيال البروج العالية * وتحصن آخرون بالاماكن الغامضة القاصية *

ذكر خروج السلطان الملك الناصر * من القاهرة بجنود الاسلام والعساكر *

ثم ان السلطان * خرج من غير توان * وتوجه بالعساكر والاستعداد التام * الى جهة بلاد الشام * فلما بلغ الناس ذلك سكن جاشهم * وزال استيحاشهم * وردّ غالبهم من كان برح منهم * وانفرج الكرب والضيق عنهم * واما اولوا العزم * وذوو الرأي السديد والحزم * فلم يلتفتوا الى قدوم السلطان * بل طلبوا لنفسهم الامان * وانتظروا

وعبد القصار الى حلب *

فورد من حلب استنبوغا الدوادار * والفتح الامير المدعو بعبد القصار * رقا لامعاش المسلمين * الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين * من يقتدي رطي حذا * فليطلب لنفسه طريق النجا * ومن اطاق ان يشتري ذيله فلا بيتن في دمشق ليله * ولا يغالط نفسه بالمداهنه * فليس الخبر كالمعاينه * فتفرقت الآراء * واختلفت الاهواء * وماج امر الناس موجا * وتفرقوا كما هو داء بهم فوجا فوجا * فبعض الناس انتصح * وجهز امره وانتزح * وبعضهم كابر واصر * وكشر انيابه لاستنبوغا وعبد القصار وامر * وارادوا رجم هذين الناصحين * وان يسقوهما كاس حنين * وقالوا انما اردتما بذلك تمدد يد الناس وتشريدهم * واجلاءهم عن اوطانهم وتجريدهم * وتفريق كلمتهم وتمزيق جلدتهم * والا فالامن حاصل * والسلطان بحمد الله واصل * والنواب في حلب كانوا شرذمة قليله * ولم يتم لهم معه الفكر والحيله * مع انه حصل من بعضهم مخامره * ولم يوجد من الباقين مناصحة ومظاهره * ولم يكن لهم راس * فلاتاخذ وافي هذه المسئلة بالقياس *

تسع وثلاثين وثمانمائة عند وصولنا الى حماه بالجامع النوري بها

من الجانب الشرقي على حائطه القبلي نقشا على رخامة بالفارسي

ما ترجمته * وسبب تصوير هذا التبسط * هو ان الله تعالى يسر لنا

فتح البلاد * حتى انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق وبغداد *

فجاورنا سلطان مصر ثم راسلناه وبعثنا اليه قصادنا بانواع التحف

والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا بذلك

ان تنعقد المودة بين الجانبين * وتتأكد الصداقة من الطرفين *

ثم بعد ذلك بمدة قبض بعض التراكمة على اناس من جهتنا وارسلهم

الى سلطان مصر فوق فسجنهم وضيق عليهم فلزم من هذا انا توجهنا

لاستخلاص متعلقينا من ايدي مخالفينا واتفق لذلك نزولنا بحماه

في العشرين من شهر الربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة *

* فصل *

ثم وصل الى حمص فلم يتعرض بها للتشتيت وتبديل * ووهبها السيد

خالد بن الوليد *

قلت بل بها * شعر *

بما يتولد من حادثات الزمان * وكأن انامل الدهر اثر * كتبت

لهم على مرآة الخاطر ما انشده الشاعر * شعر *

* الا انما الايام آباء واحد * وهذي الليالي كلها اخوات *

* فلا تطلبن من عند يوم وليلة * خلاف الذي مرت به السنوات *

وقلت * شعر *

ان اهتفي ما في الزمان الآتي * نفس على الماضي من الاوقات

* فصل *

ولما تجز تيمورا مرحلب * ضبط اثقالها وما اخذ منها من مال وسلب *

ووضعه في القلعة * ووكل به بعض امرائه من ذوي الشجاعة والمنعة *

وهو الامير موسى بن حاجي طغاي * وكان ذا عزم شديد ورأى *

وتوجه بذلك الجيش اللهام * غرة شهر الربيع الآخر الى جهة الشام *

فوصل الى حماة * ونهب ما حوت يداه * ولم يحتفل بامر نهب واسر *

ولا باسراع في مسير * بل سار رويدا * وهو يكيد كيدا وهم يكيدون كيدا *

* حكاية *

رأيت حين توجهت الى بلاد الروم في اوائل شهر الربيع الاول سنة

الصلح بين يديه * فلم يلتفت الى هذا المقال * وارسل فيهم جوارح
النهب والاستيصال * ثم ارتحل مجريا ذلك البحر الزخار * والسيل
التيار والطوفان الثرثار * حتى اشرف على دمشق من قبة سيار *
ووصلت العساكر المصرية * والجنود الاسلامية * وقد ملأوا الفضاء *
واشرق الكون منهم واضاء * فيا لق سهامها لحب قلب من نوى
الخلاف فالقه * وصواعق سيوفها في عقاص كل غض صاعقه *
واسنة رماحها لرتق سماء الارواح عن ارض الاشباح فاتقه *
وقد طلبوا الاطلاب * وحزبوا الاحزاب * وعبوا الميمنة والميسرة *
ورتبوا المقدمة والمؤخرة * وسووا القلب والجناح * وملأوا البطاح
والبراح * وساروا بالمقانب المكتبة * والكتائب المقنبة * والكواكب
المكوكبة * والمراكب الموكبة * والمراتب المقربة * والمقربات
المرتبة * والسلاهب المجنبة * والنجائب التي هي على اكل اللجم
مستلهبة * وفي كل كتيبة من الاسود الضراغم * ومن النسور
القشاعم *

* قلت * شعر *

* الا لا تجاوز سوء الخبر * ين حيا وكن جارهم في القبور *
* الم ترحمن وسكانها * نجوا من بحار بلا يا تمور *
* لانهم جاوروا خالدا * ومن جاور الاتقيا لا يبور *
وخرج اليه شخص من آحاد الناس * يدعى عمر بن الرواس *
فاستجلب خاطره * وكأنه قدم اليه تقدمة فاخرة * فولاه امور
البلد * وركن اليه واعتمد * وولى قضاء تلك البلاد * رئيسا يسمى
شمس الدين بن الحداد * ونادى بالامان * للقاصي والدان *
وتبايعوا بها وتشاروا * وفي استفادة ربح الامن لم يتماروا * ثم ان نائب
الشام ضعف معه ومات على قوة بلبغا * ونائب طرابلس هرب منه
والخلاص ابتغى * فوصل الى مدينته * واستقر في ولايته * فاضطرم
غضبا * واستشاط لهبا * واشتعل قيظ غيظه * وقتل كل من وكله بحفظه *
واسعر بهم سقر * وكانوا ستة عشر * واما تمرداش فانه داراه ومارى *
وهرب منه في قارا * واستمر علاء الدين التونبغا العثماني نائب صفد *
وزين الدين نائب غزة وغيرهما معه في صفد * ثم سار وما ارتبك *
حتى نزل على بعلبك * فخرج اهلها ودخلوا عليه * وترامى طائفتان

الصلح بين يديه * فلم يلتفت الى هذا المقال * وارسل فيهم جوارح النهب والاستيصال * ثم ارتحل مجريا ذلك البحر الزخار * والسيل التيار والطوفان الثرثار * حتى اشرف على دمشق من قبة سيار * ووصلت العساكر المصرية * والجنود الاسلامية * وقد ملأوا الفضاء * واشرق الكون منهم واضاء * فيا لقى سهامها لحب قلب من نوى الخلاف فالقه * وصواعق سيوفها في عقاص كل عقص صاعقه * واسنة رماحها لرتق سماء الارواح عن ارض الاشباح فاتقه * وقد طلبوا الاطلاب * وحزبوا الاحزاب * وعبوا الميمنة والميسرة * ورتبوا المقدمة والمؤخرة * وسووا القلب والجناح * وملأوا البطاح والبراح * وساروا بالمقانب المكتبة * والكتائب المقنبة * والكواكب الموكبة * والمراكب الموكبة * والمراتب المقربة * والمقربات المرتبة * والسلاهب المجنبة * والنجائب التي هي على اكل اللجم مستلهبة * وفي كل كتيبة من الاسود الضراغم * ومن النسور القشاعم *

* قلت * شعر *

* ورب ذي لجب كالطود ذي حنق * كأنه البحر في أثنائه غابات *
* بحران في كل موج منهما أسد * يلاعب الموت في كفيه حيات *
* كل يرى العين معناه وصورته * عند النزال وان ينزل فشظفات *
* ان يسر تلق السما في الارض دائرة * او سار تعقد ارضا منه غبرات *
وقد تنكبوا حنايا المنايا وتقلدوا سيوف الحتوف واعتقلوا الذوابل النواهل * واثبتوا حيث نبتوا وكأنهم خلقوا من كواهل الصواهل *

* قلت * شعر *

* كأن الجوشوب لازوردي * يزركش نسجه قصب الرماح *
فان عقد القتام عليه ليلا * أرتك صفاحه لمع الصباح *
* كأن نجومه النشاب ترمي * شياطين الكفاح لدى النطاح *
ولازالت افواج هذه الامواج * على هذا المنهاج متلاطمة * واثباج هذا البحر العجاج * تحت العجاج متصادمة * وكل ينادي بطريق المفهوم * وما منا الا له مقام معلوم * فوصلت غبلان الوغى * الى قبة يلبغا * يوم الاحد العاشر * من شهر الربيع الآخر * عام ثلاثة وثمانمائة من الهجرة * فنزل كل من العساكر بمنة ويسرة * واستقرت العساكر

والأمراء الاسلامية * في البيوت والمساكن * ونزلت الجنود التتارية * غربي دمشق من داريا والغوطة وما يلي تلك الاماكن * ودخل بعض اثقال السلطان الى البلد * وتحصنت القلعة والمدينة بالسلاح والعدد * ثم اخذ كل من الجيشين حذره * وتجهز للمقابلة والمقاتلة امره * وحفروا الخنادق * وسد كل على الآخر افواه المضائق * وشرعوا في المهارشة والمناوشة * والمهارشة والمعانشة * ثم امر السلطان العساكر * بالبروز من المدينة الى الظاهر * وجعل يخرج من المدينة رؤساء اعيانها * وتتحاز في المقاتلة الى سلطانها * والاطفال الصغار والرجال * يجأرون الى الجبال * وينادون بحرقة * كل ليلة في الازقة * يا الله يا رحمن * انصر مولانا السلطان * والناس في اضطراب وحركات * يستنزلون النصر والبركات * ويستغيثون الليل والنهار * يا مجاهدون الاسوار * واستشهد من رؤساء البلد في تلك الايام * قاضي القضاة برهان الدين الشاذلي المالكي الحاكم بالشام * وشلت يد قاضي القضاة شرف الدين عيسى المالكي بضربة حسام * وجعلوا يأتون بمن يظفرون به من العدو فيقتلونه * وبما غنموا منهم من ناطق

وصامت فيشهرونه *

ذكر واقعة وقعت * ومعركة صدعت * لو انها نفعت *

ثم في بعض الأيام * تقدم من اولئك الاعتام * نحو من عشرة آلاف *
وزحفوا الى ميدان المصاف * فنهض لهم من العساكر الشامية *
نحو من خمس مائة * ثم اتبعهم الامير استنبا في نحو من ثلاث مائة *

* شعر *

* اسود اذا لاقوا ظباء اذا اعطوا * جبال اذا ارسوا بحار اذا اسروا *
* شموس اذا الاهوايد وراذا انجلوا * رياح اذا هبوا غمام اذا هموا *
* صقور اذا القضوا نمور اذا شموا * رعود اذا صاحوا صواعق ان رموا *

مع كل منهم خطار تغمجد قدود الملاح لخطراته * وبتار يتعلم سنك
البرق من لحظاته * وحنية تضاهي حاجبه * وسهام في تشبهها
باجفانه صائبه * وترس لين اللمس * اذا تغطى به رأيت البدر على
شمس * وعليه خوذة * كأنها من لمعان وجنته ماخوذة * او من بوارق
طلعته مفلوذة * اذا نظر الطرف اليها يأخذه الانبهار * يكاد سنا برقها
يذهب بالابصار * ولبوس اشبه لابسه * وصار ملابسه * ظاهره حرير

فاعم كبشرته * وباطنه حديد كقلبه في قسوته * وقد امتطوا الفحول *
من نجائب الخيول * فكأن بدورتلك الجموع * مع الرماح المتهية
الاسنة عروس تجلى تحت الشموع * وتوجهوا الى حومة
الوغى * وتلاقوا في وادي خلف قنة يلبغا *

* فصـــــل *

ولما رأت هذه الاسود تلك الذئاب والكلاب * كانوا كالمؤمنين وقد رأوا
الاحزاب * فبان منهم صحيح الضرب وعليله * وقالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله * فاحاطوا تلك بهؤلاء لكثرة الغلبه * واداروا لقرضهم
على هذه البجور الدائرة المجتلبه * وحين صاروا في خبن هذه الدائرة
كالعروض * اشتغلوا بالضرب وتقطيع الدائرة بالحرب العضوض *
فاولا ما اضمروا لهم في ذلك الزحف * قطف الرأس وخبل العقل وقطع
الكف * فصلموا بالرمح الطويل عقلهم * وثلموا بالرشق المديد
شكلهم * وبتروا بالعضب البسيط واقرهم * وشتروا بالسهم السريع
كاملهم * فخذوهم وقصموهم * وخزموهم وشعثوهم وترموهم *
وهتموهم ووقصوهم وعصموهم * وعقصوهم وخزلوهم ونقصوهم *

وصامت فيشهرونه *

ذكر واقعة وقعت * ومعركة صدعت * لو انها نفعت *

ثم في بعض الايام * تقدم من اولئك الاعتام * نحو من عشرة آلاف *
وزحفوا الى ميدان المصاف * فنهض لهم من العساكر الشامية *
نحو من خمس مائة * ثم اتبعهم الامير استنباي في نحو من ثلاث مائة *

* شعر *

* اسود اذا لاقوا ظباء اذا عطوا * جبال اذا ارسوا بحار اذا سروا *
* شموس اذا الاهوال ولوا انجلوا * زياج اذا همّوا غمام اذا هموا *
* صقور اذا انقضوا نمور اذا شموا * رعود اذا صاحوا صواعق ان رموا *

مع كل منهم خطار تشهد قدود الملاح لخطراته * وبتار يتعلم سفك
الدماء من لحظاته * وحنية تضاهي حاجبه * وسهام في تشبهها
باجفانه صائبه * وترس لين اللمس * اذا تغطى به رأيت البدر على
شمس * وعليه خوذة * كأنها من لمعان وجنته مأخوذة * او من بوارق
طلعته مفلوذة * اذا نظر الطرف اليها يأخذه الانبهار * يكاد سنا برقها
يذهب بالابصار * ولبوس اشبه لابسه * وصار ملابسه * ظاهره حرير

وتكمكم * كل ذلك من مكائد * ودبائل مصائده * وبيان ذلك انه
بلغه ان الخلاف واقع بين العساكر المصرية وانهم سيغورون * فيفوتونه
اذ ذاك فاظهر الخون * وشيع انه راجل ليثبتهم * وعن الفرار
يثبطهم * فلما عزموا على الفرار * لم يبن لهم ثبات ولا قرار *
ذكر ما نجم من النفاق * بين العساكر الاسلامية وعدم الاتفاق *
وكان اتابك العساكر * وكافل الملك الناصر * الامير الكبير باش بياش
وتحت يده الاكابر والاصاغر * والجند وان كان مدده كثيرا * والجيش
وان تراآى عدده غزيرا * لكن كان كل منهم اميرا * ولم يكن شئ
منهم سوى الرأس صغيرا * فتشتت آراؤهم * وتصارمت اهواؤهم *
وانتقلت اشعارهم من الدائرة المؤتلفة * الى الدائرة المختلفة *
ونقل كل منهم من وزن بيته الى اعاريض * واخذ في عرض صاحبه
بالتقاريض * وظهرت تلك الساعة آيات الرحمن * في اختلاف
الالسنة والالوان * وصاروا في رعاية الرعية كالذئب والضبع *
وسلطوا على مرعى هزيلها النمر الغضوب والسبع * ولحق في سند هذا
الحديث الاصاغر بالاكابر * والاسافل بالاعالي

قردوا صدورهم على الاعجاز * وسل وعلى حقيقة الخلاص منهم
المجاز * فانكشفوا عنهم وهم ما بين مشطور ومقطوع ومذيل *
ومجزوء ومنهوك وموقوف * ورجع استنباط المشار اليه وقد اقتضب
بحريه المتدارك حسيفهم * واجتث بضربه المتقارب المتماسك تقيلهم
وخفيفهم * وتسبيغ سرابيلهم بالنصر المرفل * وبالتمكين التام المذيل *
وبيت دائرتهم المتفقة آمن من الخلل * وعروضه وضربه
سالم من الزحاف والعلل *

ذكر ما افتعله سلطان حسين * ابن اخت تيمور من المكر والمين *

ثم ان سلطان حسين وهو ابن اخت تيمور * اظهر انه خالف على خاله
وجاء الى السلطان وفي باطنه امور * وكان شابا ذا شجاعه * وعنده
طيش ورقاعه * واظهروا يقدومه الفرح واستشعروا النصر والمرح *
وكان في رأسه جمة شعر فازالوه * وخلعوا عليه
وفي زيهم اظهروه *

* فصـــل *

ثم ان تيمور راشاع انه خار وتتعتع * فرحل قليلا ورجع القهقرى

وتكعكع * كل ذلك من مكائد * وحبائل مصائد * وبيان ذلك انه
بلغه ان الخلاف واقع بين العساكر المصرية وانهم سيغورون * فيغوتونه
اذ ذاك فاظهر الخون * وشيع انه راجل ليثبتهم * وعن الفرار
يثبطهم * فلما عزموا على الفرار * لم يبن لهم ثبات ولا قرار *

ذكر ما نجم من النفاق * بين العساكر الاسلامية وعدم الاتفاق *

وكان اتابك العساكر * وكافل الملك الناصر * الامير الكبير باش بيك
وتحت يده الاكابر والاصاغر * والجند وان كان مدده كثيرا * والجيش
وان تراءى عدده غزيرا * لكن كان كل منهم اميرا * ولم يكن شيء
منهم سوى الرأس صغيرا * فتشتت آراؤهم * وتصارمت اهواؤهم *
وانتقلت اشعارهم من الدائرة المؤتلفة * الى الدائرة المختلفة *
وتنقل كل منهم عن وزن بيته الى اعاريض * واخذ في عرض صاحبه
بالتقاريض * وظهرت تلك الساعة آيات الرحمن * في اختلاف
الالسنة والالوان * وصاروا في رعاية الرعية كالذئب والضبع *
وسلطوا على مرعى هزيلها النمر الغضوب والسبع * ولحق في سند هذا
الحديث الاصاغر بالاكابر * والاسافل بالاعالي

والاوائل بالاواخر * وصاروا كما قال الشاعر *

* شعر *

* تفرقت غنمي يوما فقلت لها * يا رب سلط عليها الذئب والضبعا *
وتوجه منهم رئس الى القامرة * تاركا كل منهم قرته وناصرة * وصاروا
تيمور في نفيه عنهم معرفة السياسة * والدربة في سلوك طرائق الرياسة *

* فصل *

ولما علم الغابرون * ما فعله السابرون * لم يسعهم غير تشمير الذيل *
واتباعهم تحت جنح الليل * ومن تخلف عن قوم * او اخذته سنة
او نوم * وقع في الشرك * وهوى الى اسفل الدرك * وكان الناس
في الليل والنهار * ملء زمين الا قامة على الاسوار * وكل قد فرح
وابتهج * وتيقن انه حصل له من سلطانه فرج * نفي بعض الليالي *
صعد الناس الى مكان عالي * واذا بماكن مخيم السلطان * قد ملئت
من النيران * ولم يعرف احد ما الخبر * غير ان الدنيا ملئت بالشر
والشرر * واصبحوا وقد خلت الديار * ولم يبق في قبة يلمغانا فخ نار *
فتشعبت اصواتهم وسكنت حركاتهم * فجعلوا بيتها فتون وفيما بينهم

تتنا فتون * وماج الشر واضطرب * وقال الناس السلطان هرب *
فانقصم ظهر الناس * وايقنوا حلول البأس * وتفاقمت الهموم *
وتعاظمت الغموم * وتقطعت بهم الاسباب * وشمل الخلائق انواع
العذاب * وضاقت الحيل كالصدور * وتخبطوا لا يدرون الامور *

* فصل *

ثم ان تيمور رحل ربه * ورحل من مكانه ونزل القبه * والقى عصاه *
ونام مستريحا على قفاه * ونادى بمعنى ما قلت * * شعر *

* الحمد لله نلنا ما نؤمله * والضد ادبر والمأمول قد حصلا *
وحفر الخنادق حوله * وبث في الاطراف رجله وخيله * وارسل
الطلب * وراء من هرب * وصار كلما اتي باحد من اجناد الرجال *
امر بالقائه بين يدي تلك الافيال * فتفعل معه الافيال في تلك
الفلاه * ما تفعله المواشي يوم القيامة في مانع الزكوه *

* فصل *

واما السلطان فانه لم يصبه من احد ضيم * لانه نشز نشوز الغيم *
واخذ يسيب انسياب الايم * وتوجه على وادي التيم * فانتشرت شياطين

تيمور في الارض * وملأت الطول والعرض * ووصلت طراشتهم
الى اطراف البلاد وضواحيها * وعامة القرى ونواحيها * وجعلوا
من كل حدب ينسلون في مشارق الارض ومغاربها التي بارك الله فيها *
وتقدموا الى المدينة * وكانت كما ذكر بالاهبة حصينة * وبانواع
الاسلحة ادمكينة * مسدولة الحجاب * مغلقة الابواب * فتمنع اهلها
عليهم * ولم يسلموها اليهم * رجاء ان يشموا من النجدة الارج *
او يمن الله عليهم بعد الشدة بالفرج * فاستمروا على ذلك نحوا من يومين *
ثم استيقنوا من رجائهم الخيبة ومن ظنهم المين * فكان قدوم السلطان
وذهابه بالعساكر * كما قال الشاعر *

كما ابرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها اقشعت وتجلت *

ذكر خروج الاعيان * بعد ذهاب السلطان * وطلبهم من تيمور الامان *
ولما خانتهم الظنون * وعلموا انه حل بهم ريب المنون * اجتمع
من المدينة الكبراء * والموجود من الاعيان والرؤساء * وهم قاضي القضاة
محيي الدين محمود بن العز الحنفي وولده قاضي القضاة شهاب الدين
وقاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي وقاضي القضاة

شمس الدين محمد الحنبلي النابلسي والقاضي ناصر الدين محمد بن
أبي الطيب كاتب السر والقاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير
وكان منصب الوزارة اذ ذاك له ابهة ما في الجملة والقاضي شهاب الدين
الخياتي الشافعي والقاضي شهاب الدين ابراهيم بن القوشة الحنفي
نائب الحكم رحمهم الله فاما القاضي الشافعي وهو علاء الدين ابن
ابي البقاء فانه هرب مع السلطان وقاضي القضاة المالكي وهو برهان
الدين الشاذلي فانه استشهد كما ذكر فخرج هؤلاء الاعيان *
وطلبوا منه الامان * بعد ما وقع المشاورة منهم والاتفاق * ونظمت
كلمتهم في تلك الوفاق *

* فصل *

ولما اقلع السلطان بفلك عساكره المنصورة * وقع في بدر العساكر التيمورية
قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون * وكان من اعلام الاعيان *
وممن قدم مع السلطان * فلما قتل السلطان وانفرك * كأنه كان غافلا
فوقع في المشرك * وكان نازلا في المدرسة الظاهرية * فتوجه هؤلاء
الاعيان اليه في تدبير هذه القضية * فوافق فكره فكرهم * فملكوه

في ذلك امرهم * وما وسعهم * الا امتثاله بعلمهم * وكان مالكي
المذهب والمنظر * اصغى الرواية والمخبر * فتوجه منهم بعمامة
خفيفة * وهيئة ظريفة * وبرنس كهو رقيق الحاشية * يشبه
من دامس الليل الناشية * فقد موه بين يديهم * وزعموا بما قوله
وافعاله لهم وعليهم * وحين دخلوا عليه * وقفوا بين يديه *
واستمروا واقفين * وحالين خائفين * حتى سمح بجلوسهم * وتسكين
نفوسهم * ثم مشى اليهم * ومرضاحكا عليهم * وجعل يراقب احوالهم *
ويسبر بمسبار عقله اقوالهم وافعالهم * ولما رأى شكل ابن خلدون
لشكلهم مباينا * قال هذا الرجل ليس من هاهنا * فانفتح للمقال مجال *
فبسط لسانه وسنذكر ما قال * ثم طووا بساط الكلام * ونشروا بساط
الطعام * فكموا تلا لامن اللحم السليق * ووضعوا امام كل ما يليق *
وبعض تعفف عن ذلك تنزها * وبعض تشاغل عن الاكل بالحديث
ولهاه * وبعض مد يده واكل * وما جبن في مصاف الالتهام ولا نكل *
والى الاكل ارشدهم * وناداهم وانشدهم *

* شعر *

* كلوا الكل من ان عاش اخلف اهله * وابن هاشم يلق الله وهو بطين *

وكان من جملة الاكلين القاضي ولي الدين * وكل ذلك وتيمور

بمرقهم * وعينه الخزراء تسرقهم * وكان ابن خلدون ايضا

يصوب نحوهم ويرمقهم * فاذا نظروا اليه اطرق * واذا رآه ولى

هرب * ثم نادى وقال * بصوت عال * يا مولانا الامير * الحمد لله العلي

الكبير * لقد شرفت بحضور ملوك الانام * وما سمعت بتوارد

مثلهم لم تات لهم من الايام * ورأيت من ملوك العرب قلانا وفلانا *

وحضرت كل واحد اسلطانا * وشهدت مشارق الارض ومغاربها *

وحاطت في كل بقعة منبرها وانبها * ولكن لله المنة اذا منتني زلماتي

ومن الله علي بان احييني * حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة *

ولو المسلك شريعة السلطنة على الطريقة * فان كان طغام الملوك يوكل

الدفع النلف * فطعام مولانا الامير يوكل لذلك وليل الفخر والشرف *

فاهتز تيمور وعجبا * وكاد يرقص طربا * واقبل بوجهه الخطاب اليه *

وعول في ذلك دون الكل عليه * وسأله الفضل على ملوك العرب واخبارها *

وايام دولتها وآثارها * فقص عليه من ذلك ما خلع عقله وعليه *

وجلب له وسلبه * وكان تيمور في سير الملوك والأمم امه * وبالتاريخ
اشرقا وغربا واممه * وستذكر له هذه المعاني بديع بيان *

* فصل *

وبينما هم يوما قاعدون في حضرة ذلك الأمير * اذا بالقاضي صدر
الدين المناوي في ايديهم اسير * وكان قد تبع السلطان في الهرب *
فادركه في ميسلون الطلب * فقبضوا عليه * واحضروه بين يديه *
واذا هو بعمامة كالبرج * وارداف كالخرج * فتخطى الرقاب *
وجلس من غير اذن فوق الاصحاب * فاستشاط تيمور غضبا * وملأ
المجلس لهبا * والتفخ سحرة * وسجر غيظا نهره * وشخر ونخر ومخر بحنقه
وزخر * واعرض عنه من المعتدين * بالتنكيل بالقاضي صدر الدين *
فسحبوه سحب الكلاب * ومزقوا ما عليه من ثياب * واوسعوه سبا
وشتما * واشبعوه ركلا ولكما * ثم امرهم بتشليه اسرة * وتبديل
كسرة * وتزاد في الاساءة اليه * وتضاعف الكسرات على رغم التبصريين
عليه * فاخرج اخراج الظالم * يوم يولي مدبرا ما له من دون الله
من عاصم * ثم تراجع تيمور الى ماكان فيه * من تتبع وسائله ودراهيه *

فألبسه كلًّا من هؤلاء الأعيان خلعه * وأقامه عنده في عزة ورفعه *
ثم ردهم منشرحي الصدور * في دعة وسرور * وفي خاطره
شرور * وأمور تدور * فساروا * وقد حاروا *

* قلت * شعر *

* كالهند ما زينة المهند وعظمه * وعن قريب لضيف الموت اطعمه *
وشرط لهم ولد يهم الأمان * على أن يدفعوا إليه أموال السلطان *
ومماليكه وللامراء من أثقال * وتعلقات وأموال * ودواب ومواش * ومماليك
وحواش * ففعلوا ما به أمر * ورفعوا اليه ما بطن من ذلك
وما ظهر * فأما القلعة فإنها استعدت للحصار * وكان نائبها يدعى
ازدار * فحصنها * وبالأهبة الكاملة مكنها * وانتظر من السلطان
المدد * أو مانعا ربانيا يفرج عنه الشدة * فلم يلتفت تيمور في أول
الأمر اليها * ولا اشتغل بها ولا عرج عليها * بل صرف همه الى تحصيل
الأموال * وتوسيق الأحمال بالأثقال * فلما حصل الثقل * والى
خزائنه انتقل * طرح على المدينة أموال الأمان * واستعان على
استخلاصها بهؤلاء الأعيان * وأقام عليهم دواوينه وكتبته * وأهل

الضبط والحرص من مباشريه وحسبته * وفوض ذلك الى كفاية الله ذاد *
احمد ان كان ذو فقه ومن عليه الاعتماد * وهو اخو سيف الدين المذكور
في اول الكتاب لامه * واقام معهم كل جبار عنيد ومن نشأ في حجر الفظاظة
ورضع لئي ظلمه * ونادى بالامان والاطمئنان * وان لا يبغي
انسان على انسان * فمد بعض الجفاة يده الى غارة * بعد ما سمعوا
فتن النداء واشتهاره * فبلغ ذلك تيمور * فامر بصلبهم في مكان
مشهور * فصلبوهم في الحرير بين * برامس سوق البزوزيين *
ففرح الناس بهذه الفعله * واملوا خيره وعدله * وفتحوا من ابواب
المدينة الباب الصغير * وشرعوا يحررون امر المدينة على النقير
والقطمير * فوزعوا مدة الاموال على الحارات * وتناذى اهل
الظلم والعدوان من القريب والغريب بالثارات * وجعلوا دار الذهبية
مكان المستخلص * وطفقوا يلقون الناس في ذلك المقنص * وتسلط بعض
الناس على البعض * واصطادا رانب الارض بكلاب الارض *
وكان فصل الخريف كجيش مصر قد قفل * وفصل الشتاء بزمهريره
كجند تيمور بغيرانه على العالم قد نزل * فانتقل الى القصر الابلق *

ثم الى بيت الامير بخاص وامر بالقصر ان يهدم ويحرق * ودخل الى المدينة من الباب الصغير * في جمع كثير * وصلى الجمعة في جامع بني اميه * وقدم الحنفية على الشافعية * وخطب به قاضي القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفي المذكور * وجرى ما يطول شرحه من امور وشرور * ووقع بين عبد الجبار بن النعمان الخوارزمي المعتزلي * وبين علماء الشام لا سيما قاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي * مناظرات ومناقشات * ومباحثات ومراجعات * وهو في ذلك كترجمانه * يخاطبهم في جميع ذلك بلسانه * فمنها وقائع علي ومعاويه * وما مضى بينهم في تلك القرون الخاليه * ومنها امور يزيد وما يزيد * وقتله الحسين السعيد الشهيد * وان ذلك ظلم وفسق بلا نكر * ومن استحله فهو واقع في الكفر * ولا شك ان ذلك الفعل الحرام * كان بمظاهرة اهل الشام * فان كانوا مستحليه فهم كفار * وان كانوا غير مستحليه فهم عصاة وبغاة واشرار * وان الحاضرين * على مذهب الغابرين * فحصل منهم في ذلك انواع الاجوبه * فمنها ما ردة ومنها ما اعجبه * الى ان اجاب كاتب السير

وأجاد * وأصاب فيما قال وأفاد * أطال الله الكبير * بقاء مولانا الأمير *
أما أنا فنسبي متصل بعمر وعثمان * وإن جدي الأعلى كان من أعيان
ذلك الزمان * وحضر تلك الوقائع * وخاض هاتيك المعامع * وكان
من رجال الحق * وأبطال الصدق * ومما تواتر من فعله * ووضع
الشيء في محله * أنه توصل الى رأس سيدنا الحسين * ونزعه
عما حصل له من الابتذال وشين * ثم نظفه وغسله * وعطره وقبله
وطيبه وبجله * وواراه في تربه * وعد ذلك عند الله تعالى
من أفضل قربه * فلذلك أيها الغمام الصيب * كنوه بأبي الطيب *
وعلى كل تقدير * أيها الأمير * فتلك أمة قد خلت * وعموم غير منا انجلت *
وبما جرعت انقضت * وبما أذاقت مرت وحلت * وفتن أراحنا الله
إذ أزاحنا عنها * ودماء طهر الله سيوفنا منها * وأما الساعة *
فاعتقادنا اعتقاد أهل السنة والجماعة * فلما سمع هذا الكلام قال يا لله
العجب * وما سميتم بأولاد أبي الطيب إلا لهذا السبب * قال نعم
ويشهد لي بذلك القاصي والداني * وأنا محمد بن عمر محمد بن أبي
القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن أبي الطيب العمري العثماني * فقال

لك المعذرة * ياطيب الاسلاف * لولا اني ظاهر العذر لحمايتك على عاتقي
والاكتاف * ولكن سترى ما افعله معك ومع اصحابك من التكريم
والالطاف * ثم انه رد عنهم * وبالتعظيم والاحترام شيعهم * ومنها انه
سألهم كناية * سؤال اضرار ونكاية * فقال ما اعلى الرتب * درجة
العلم او درجة النسب * فادركوا قصده وفهموا * لكن عن رد الجواب
وجموا * وعلم كل منهم انه قد ابتلي * فابتدر بالجواب القاضي
شمس الدين النابلسي الحنبلي * وقال درجة العلم اعلى من درجة
النسب * ومرتبتها عند الخالق والمخلوق اسنى الرتب * والهجين
الفاضل * يقدم على العجان الجاهل * والمقرف المنيف * اولى
للامامة من السيد الشريف * والدليل في هذا جلي * وهو اجماع
الصحابة على تقديم ابي بكر على علي * وقد اجمعوا على ان ابا بكر
اعلمهم * واثبتهم قدما في الاسلام واقدمهم * واثبات هذه الدلالة *
من قول صاحب الرسالة * لاتجتمع امتي على ضلالة * ثم اخذ في نزع
ثيابه * مصيخا لتيمور وما يصدر من جوابه * فقلك ازرارة * وقال لنفسه
انما انت عارة * وكاس الموت لابد من شربها * فسواء ما بين بعدها

وقربها * والموت على الشهادة * من افضل العبادة * واحسن اقوال
من اعتقد انه الى الله صائر * كلمة حق عند سلطان جائر * فسأل
ما يفعل * هذا المهمل * فقال يا مولانا الجليل * ان فرق عساكرك
كلهم بني اسرائيل * وفيهم من ابتدعوا بدعا * وتقطعوا في دينهم
قطعا * وفرقوا دينهم وكانوا شيعا * ولا شك ان مجالس حضرتك تنقل
وقائل مباحثها تحل الصدور وتعقل * واذا ثبت هذا الكلام عني *
ووعاه احد غيري * خصوصا من ادعى موالاة علي * ويسمى
في رفضه ابا بكر بالرافضي * وتحقق مني يقيني * وانه لانا صرلي يقيني *
فانه يقتلني جهارا * ويريق دمي نهارا * واذا كان كذلك فانا
استعد لهذه السعادة * احتم احكام القضاء بالشهادة * فقال لله هذا
ما افصحه * واجرأه في الكلام واوقحه * ثم نظر الى القوم * وقال

لا يدخلن هذا محلي بعد اليوم

* فصـــل *

وهذا الرجل اعني عبد الجبار كان عالما تبحر وامامه * وممن يخوض
في دماء المسلمين امامه * وكان عالما فاضلا * فقيها كاملا * بحاثا محققا *

أصولياً جدلياً متقناً * وأبو حنيفة النعمان * في عصره كان * وهو في الفروع من أعلم أهل الزمان * حتى كان يقال له النعمان الثاني * وكان من القائلين بعدم الرؤية في الآخرة * فأعمى الله تعالى بصره كبصيرته في الدنيا * وأكثر علماء عصره بما وراء النهر قرأ عليه الفروع ونقل عنه مسائل المشروع * ولا خلاف في الفروع بين أهل السنة وأهل الاعتزال * وإنما اختلافهم في أصول الدين في مسائل معدودة سلكوا فيها سبيل الضلال *

* فصل *

وتصدى لاستخلاص الأموال من أهل الشام * كل غشوم ظلام وكفور غشام * وكان في قلة وفاقه * كصدقة بن الحاربي وابن المحدث وعبد الملك بن التكريتي المنبوز بسماقه * وغيرهم من نظرائهم * من عواقب الظلم وابنائهم * مع حضور أكابر المدينة وأعيانها * المذكورهم ورؤساء قطانها * فإنه لم يمكنهم في ذلك أن يتخلفوا * ولا يتقاعسوا لحظة ولا يتوقفوا * وحضور داود بنيه وحسابه * وضابطي أمور خزائنه وكتابه * ومنهم خواجه مسعود السمناني *

ومولانا عمر وتاج الدين السلماني * كل ذلك في دار الذهب وهو مكان
مشهور * ونزل الله داد داخل الباب الصغير في دار ابن مشكور * وجعل
كل من في قلبه من أحد ضغينه * او سخيمة دفينه * او غل او حسد *
او خفق او قلق * يغمز على اخوته او تلك الظلمة الفظاظ * والزبانية
الشداد الغلاظ *

* شعر *

لا يسألون اخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا *
بل بادني اشارة * واقل عبارة * يمنون على ارض وجود ذلك المسكين
من جبال النكال قصورا شواهق * وينشئون على حذائق ذاته
من سماء العذاب سحاب عقاب ترعد عليه صواعق * وتبرق له
من الدمار والبوار بوارق *

* فصـــــل *

ثم انه صار في مدة المدة * يحاصر القلعة ويعد لها ما استطاع من عدة *
وامر ان يبنى مقابلتها بناء يعلوها * ليصعدوا عليه فيهدموها *
فجمعوا الاخشاب والاحطاب وعموها * وصبوا فوقها الاحجار والتراب

وذكوها * وذالك من جهة الشام والغرب * ثم علوا عليه وناوشوها
الطعن والضرب * وفوض امرا لحصار * لامير من امرائه الكبار *
يدعى جهان شاه * فتكفل بذلك وعاناه * ونصب عليها المجانيق *
ونقب تحتها وعلقها بالتعالبق * وكان فيها من المقاتلة * قوة
غير عاطلة * امنلهم شهاب الدين الزردكاش المشقي *
وشهاب الدين احمد الزردكاش الحلبي * فابليا في عسكره بلاء
حسنا * وكان طى جيشه كلما فاء الى فنائهم وباء مصيبة وفنا * فاهلك
من جيشه بالاحراق * وارعاد المدافع والابراق * ما فات العد *
وتبدد من دائرة الحد * ولكنه لما احاط بها من بحار تخوم سيل
عرم سائلها * وامطر عليها من سهام غمام رماته وصواعق بوارق
كماته صيب وابلها * اتاها العذاب من فوقها ومن تحتها وعن ايمانها
وعن شمائلها * وكلت عن المجاذبة والمنابذة ايدي مقاتلها * فطلبوا
الامان * ونزلوا اليه من غير توان * وكل هذا الامر المهول والقضاء
العجب * في اواخر شهر الربيع الآخر وجمادين وشهر رجب * ولكن
ما نال من القلعة رومها * الا بعد محاصرتها ثلاثة واربعين يوما *

نوصار في هذه المدة يتطلب الافاضل * واصحاب الحرف والصنائع وارباب
الفضائل * ونسج الحريريون له قباء بالحرير والذهب * ليس له
ثمن وزنا هو شئ عجب * وبنى في مقابر الباب الصغير قبتين
متلاصقتين على تربة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم * وامر بجمع
العبيد الزنج واعتنى بجمعهم اكثر من غيرهم وقدم *
ذكر ما صنعه بعض الاكياس من الناس * خوفا من ان يحل به الباس * ووقى
وقيا بنفائسه النفوس والانفاس *
وكان في صفد * تاجر من اهل البلد * اجل الرؤساء والتجار * يدعى
علاء الدين وينسب الى ذوادار * كانه تقدمت له خدمة على
السلطان * فولاه حجابة ذلك المكان * فلما توجه النواب الى حلب *
والعادة ان ينوب عن نائب البلدة في غيبته من حجب * ناب عن نائبها
التونبغا العثماني * حاجبها علاء الدين الدوادار * فغرق في بحر
ذلك الطوفان * كل النواب من جملتهم العثماني وابن الطحان * ومات
منهم من مات وفر من فر * واستمر في قيد الاسر التونبغا وعمر * فلما قدم
تيمور الشام * وحل بها منه ما يحل من قضاة السوء بأموال الايتام *

شرع كل متول في بلاد * يفعل ما أدى اليه الاجتهاد * فبعض حصن
اماكنه * وبعض مكن كمائنه * وطائفة استنجزت للنفار * وفرقة استوفزت
للفرار * وقوم سالموا وساكنوا * وهادروا وهادنوا * ففكر علاء الدين
المذكور وقدر * وتأمل في خلاص صاحبيه وبلده وتبصر * وكان
من انباء الناس * وعنده ذوق الاكياس * واستشار مصيب عقله في ذلك
واستنطقه * فقال داره بما معك من مال واترك سرب الفرار ونفقه *
وما كنى به اذ قال له كل مدار اقعن العرض ستره وصدقه * وكان ذا مال
ممدود * فقال ما ادخرت الا نير الصفر والدراهم البيض الا للايام
السود * فطلب من تيمور الرياضه * واراد ان يجس اولا بمجاملته
مخاضه * فعالج هذا الامر علاج النطس المريض * وبادر بالمهادنة
وحال الجريض دون القريض * وارسل الى تيمور اجناسا من ماله
الطويل العريض * واستمال خاطره * واستدعى اوامره * ثم اردفها
باضعافها * واضعف خواصرها بواردافها * فشكر تيمور له صنعه *
وزاده ذلك عنده منزلة ورفعه * وارسل اليه مرسوم امان * وان
يعامل مورا هل بلده بالمجاملة والاحسان * فليوم من روعهم * وليسكن

جنسهم ونوعهم * ولتؤنس وحشتهم * ولتذهب دهشتهم * بحيث
انهم يتبايعون ويتشارون * والى معاملتهم من عساكره يتجارون *
وان استطال احد من اجناده * ولو انه من اخوته واولاده *
فليقابله بالمنع والانكار * والضرب والاشهار * وصار يطلب منه ما اراده *
فيرسله اليه بزياده * وكلما زاد فيما يقترحه عليه من نقد وجنس
طلبا * زاد علاء الدين لك نشاطا وطربا * ومن جملة ما اقترح
عليه في ذلك المقبض * حمل بصل ابيض * بناء على ان ذلك لا يوجد *
في الشام باسرها فضلا عن صفد * فلما الحال وجد من ذلك ثلاثة
احمال فارسلها اليه كما هي * وكان ذلك من الفضل الالهي * حتى احبه *
وتمنى قربه * وقال فيه فعنى *

ما قلت * شعر *

* داريت وقتك واحتميت * ببذل لي ما لك يا بشر *
* لو كان مثلك آخر * في الشام ما سيمت بشر *

وتوجه طوائف من العسكر اليهم * واشتروا منهم وباعوا عليهم * واستمرت
عقود المصادقة لم تحل * الى ان قوض خيامه عن دمشق ورحل *

فلمّا اقشعّ عن الشّام ضبابُ ضَيْرِه * وامتدّ في ميْدانِ الرّحيلِ
حبلُ سيْرِه * اعقبَ علاءَ الدّينِ الدّوادارِ * قاصدًا الى ذلك الاسدِ
الضّاري * ومعه تحفُ سنيّه * وتُتَفُ ملوكيّه * ومطالعةٌ قحاويها رائقه *
ومعانيها فائقه * وألفاظها بالخضوعِ والخشوعِ ناطقه * فيها
من الترقيات ما تقشعرّ منه الجلود * ويلين له الحديدُ والصّخرُ
الجلمودُ * ويجري في طبائع الابدانِ اليابسةِ جريَ الماءِ في العودِ * وطلبَ
في اثنائها مرحمةً في امرِ العثمانيّ وابنِ الطحّان * وجزناصيةِ عبوديّتهما
بمقراضِ الاعتاقِ والامتنانِ * وان يجعلَ العفوَ عنهما شكرَ القدرةِ *
ويفيضَ عليهما من بحارِ مراحمِه قطرةً * وانهما اقلّ من ان ينسبا
الى اسرةِ * اذ ملوكُ الارضِ تودّ لو كانت اطفالًا تحتَ حجرِه * ورأيهِ
الشّريفِ اطى * وامتثالُ ما يبديه من المراسيمِ اولى * فلمّا اطّلعَ تيمورُ
على فحواه * وفهمَ ما ابداه وما انهاه * وشاهدَ تحفَه وهداياه *
وتفكّرَ في اوّلِ امرِه ما الحمه معه من الخدمِ وما اسداه * والخيرُ له
تأثيرٌ * والبادئُ اكرمُ * والشرُّ بكلّه تقصيرٌ * والبادئُ اظلمُ *

قلت * شعر *

ترقب جزا الحسنى اذا كنت محسنا * ولا تخش من سوء اذا انت لا تسي *

وقيل * شعر *

* من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس *

لان قائله وان كان حدثا * وان صنعه الذي لم يزل شديدا *

فدعاهما * واكرم مثواهما * واحسن اليهما * وذكر لهما شفاعة علاء

الذين فيهما * ثم امنهما الباس * واعطاهما ثلاثة افراس * للعثمانية

اثنان * وواحدة لعمر بن الطحان * ثم اضاف اليهما من * بلغهما

المأمن * فوصل كل منهما الى دار عزته * وحل ذاك في صفده

وهذا في غزته *

* فصـــــل *

ولما تنجز لتيمور اخذ القلعة * جهز امره ورام الرجعة * وقد استخرج

منها ما اراد من نفائس واموال * بانواع العقاب واصناف

العذاب والنكال *

ذكر معنى كتاب ارسل اليه * طي بيت بيسق بعد ما فروا من بين يديه *

وقيل ان السلطان لما هرب * ارسل اليه كتابا اثار منه الغضب *

فمن معناه * وفحوى ما عناه * لا تحسب اننا جزعنا منك * وفررنا عنك *
وانما بعض بما لبكنا قوى انفاسه * واخرج عن ربقة الطاعة راسه *
وتصورا ان كل من خرج عرج * ولم يعتبر بمن رام للارتقاء سلما فدرج *
واراد بذلك مثلك القاء الفساد * وهلاك العباد والبلاد * وهيهات فان
دون مرامه خرط القتاد * والكريم اذا بدا بجسمه مرضا ن داوى
الاخطر * ورأيناك انت اهون الخطبين واحقر * فثنى عزمتنا
الشريف عنانه * ليعرك من ذلك القليل الادب آذانه * ويقيم
في نظم طاعته ميزانه * وايم الله لنكرن عليك كرة الاسد الغضبان *
ولنوردن منك ومن عسكرك نواهل القنا موارد الاغفان * ولنحصدنكم
حصد الهشيم * ولندوسنكم دوس الحطيم * فلتلفظنكم رحى الحرب
في كل طريق * لما تعانون من غليظ الطعن وجليل الضرب لفظ الدقيق *
ولنضيقن عليكم سبل الخلاص * فلتنادن ولات حين مناص *
ونحو هذه النرهات * ومثل هذه الخرافات * التي هي كالملح
على الجروح * وكالريح عند خروج الروح * ولو كان بدل هذا
الكلام الذي لا طائل فيه * والخطاب الهذيان الذي تمجه الآذان

وتُرْمِيه * ما يستميلُ خاطِرَه * ويُطْفِئُ من لهيبِ غضبِه نائرَه * مع شيءٍ
من الهدايا والتقادِم * وابرازِ قضايا هُم في صورةِ المُعتذِرِ النادِم *
ربّما كان كَسَرَ من غيظِه * او هَمَلَ من حَنَقِه وبَرَدَ من قيظِه *
وانّما فعلوا تلك المعذِرَه * بعد حَريقِ دِمَشْقَ وخَرابِ البَصْرَه * وارسلوا
الخَدَمَ والهدايا ايّامَ هَبَّةِ النَّعامِ والزّرافات * وقد اعجزَ التدارُكُ
وفات * وصابَروا كما قيل *

* شعر *

ذُو الجَهْلِ يفعلُ ما ذُو العَقْلِ يفعلُه * في الثّابِتاتِ ولكنْ بعدَ ما افتَضَحا *
وكما قيل * مصراع * وجادَتْ بوَصْلٍ حينَ لا يَنفَعُ الوَصْلُ *

* فصـــــل *

ذَكَرَ بيسَقُ هذا قالَ لمّا مَثُلتُ بينَ يَدَيه * وادّيتُ الرِّسالةَ اليه *
وقُرِئَ الكِتابُ عليه * قالَ لي قُلِ الحَقَّ * ما اسمُكَ قُلتُ بيسَق * قالَ
ما مَعْنى لولُ هذا اللّفظُ المزري * قُلتُ له مَوْلانا لا أدري * فقالَ أنتَ
لا تَعرِفُ مَعْنى لولُ اسمِكَ يا ثُعالَه * فكيفَ تَصلُحُ لِحَمْلِ الرِّسالَه * ولولا انّ
عادةَ المُلوكِ انْ لا يَهيجُوا الرُّسُلَ * وقد مَهَّدَ واطّرَدَ ذلكَ القَواعِدَ وسَلَكُوا

السُّبُل * وانا اولى من يتبع آثار السلاطين * ويحيي سنن الملوك الماضين * لفعلت معك ما يجب فعله * ولا وصلتك ما انت اهله * وبعد هذا فلا عتب عليك * وانما اللوم على من تقدم بهذا الامر اليك * ولا حرج عليه ايضا لان ذلك مبلغ علمه * ومدرك عقله وفهمه * وقد ظهر بفعله الوبيل * نتيجة

ما قيل *

تخير اذا ما كنت في الامر مرسلا * فمبلغ آراء الرجال رسولها *

ثم قال لي توجه الى قلعتكم * ومكان عزكم ومنعتكم * فذهبت فوجدتها قد دكت دكا * وهدم حرمها وحريمها خمسا وهتكا * ثم اتيته * وذكرت له ما رأيته * فقال ان مرسلك اقل من ان اجامله * واذل من ان ارسله * ولكن قل له اني واصل اليه على عقبك * وها انا منشب مخالبي اسودي بذنبك * فليشمر للقرار والفرار والذيل * وليعد لاحدهما اختار ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل * ثم امر بي فاخرجت وما صدقت * ان تصوبت الى جهة مصر وخرجت *

* فصـــل *

وبجهن ملأ جراب طمعه من نفائس الاموال وردنه * واستدر
خلفها شيأ فشيأ ضافيا ورنقا حتى صفاها بقطنه * امر بتعذيبه
هؤلاء الامراء الكبار * فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكلس
وكووهم بالنار * واستخرجوا خبايا الاموال منهم استخراج الزيمة
بالعصار * ثم اطلق عنان الاذن لعساكره بالنهب العام * والسبي
التام * والفتك والقتل والاحراق * والتقييد بالاسر على الاطلاق *
فهجمت اولئك الكفرة الفجرة على ذلك اشد الهجوم * وانقضوا على
الناس بالتعذيب * والتغريب والتخريب * انقضاض النجوم *
واستأسروا وربوا * وقتلوا وسبوا * وصالوا على المسلمين واهل الذمم *
صولة الذئاب الضواري على ضواني الغنم * وفعلوا مالا يليق فعله *
ولا يجمل ذكره ونقله * واسروا الخدرات * وكشفوا غطاء المستورات *
واستنزلوا شموس الخدور * من افلاك القصور * وبدور الجمال *
من سماء الدلال * وعذبوا الكبار والاصاغر بانواع العذاب *
وبدا للخلق مالم يكن في الحساب * واستخلصوا باصلاء النار جواهر
الناس منهم خلاصات الذهب * وصنفوا في استخراج النفائس

من النفوس باصناف العذاب مسائل يقضى منها العجب * وفرقوا بين الوالدة وولدها * والروح وجسدها * وذهلت كل مرضعة عما ارضعت * وجازوا كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت * وفر المرء من اخيه وامه وابيه * وصاحبته وبنيه * وصار لكل منهم يومئذ شأن يغنيه * وذل العزيز والكريم * وهان الخطير والجسيم * وعم البلاء وعم القضاء وطاشت الحلوم * وتبلدت الفهوم وتراكمت غيوم الغموم * فاقسم بالله لقد كانت تلك الايام * علامة من علامات يوم القيام * اسفرت تلك الساعة * عن اشراط الساعة * واستمر هذا النهب العام * نحوا من ثلاثة ايام *

ذكر القائهم النار * في البلد لمحو الآثار *

ثم انهم لما انتهوا العيث والعبث * رقضوا في حج فسادهم التفث * واتموه بالفسق والجدال والرفث * وطافوا وسعوا في المنكرات * ورموا في البيوت النار وفي القلوب الجمرات * واضراموا ما اراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الاحصار * ورملوا في اشواط الاحراق فارسلوا في حرم المدينة شواظا من نار * وكان فيهم من روافض الخراسانية * فاطلقوا النار في جامع

بني امية * فتشبثت النار بلهبها * وساعدت الريح بهبوبها * فتساوقا
في محو الآثار ريحا ونارا * واستمرا على ذلك باذن الله تعالى ليلا
ونهارا * فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس * وانمحى بلسان
النار ما سطر على لوح وجود المدينة من الدروس * وامست تلك
المغاني لا تسمع فيها الا غبة ولا الهمس * واصبحت حصيدا كان لم تغن
بالامس * وذلك بعد ان اظهروا ما اخذوا من اموال * واوسقوا منه

الاحمال *

ذكر اقلاع هاتيك الوزايا * واقشاع غمام تلك الدواهي
والبلايا * عن بلاد الشام بما تحمله من اوزار وخطايا *

ثم ارتحل ذلك الفتان * واقلع صيب بلائه الهتان * يوم السبت
ثالث شعبان * وقد اخذوا من نفائس الاموال فوق طاقتهم * وتحملوا
من ذلك ما عجزت عنه قوى استطاعتهم * فجعلوا يطرحون ذلك
في الدروب والمنازل * ويلقونه شيأ فشيأ في اوعار المراحل * وذلك لكثرة
الجمل وقلة الحوامل * واضحت القفار والبراري * والجبال
والصحاري * من الامتعة والاقمشة * كأنها اسواق الدهشة * وكأن

الارض فتحت خزائنها * واظهرت من المعادن والفلزات كامنها *

قلت بل يها * شعر *

* وصار لسان شرهم ينادي * على قنن الشواهق والبوادي *
الا ذي شنشنة عرفناها * وعادة فساد الفيناها * ومن ملكنا ودينه
اقترفناها * نهبنا اموال المسلمين وحفظناها * وما في وجهها
صرفناها * ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها *
ومع ذلك فلو احد من نفائس دمشق اضعاف ما اخذ * وفلذ من اكبادها
ذخائرها آلاف ما فلذ * ما غاض ذلك ما في عينها * ولا نقص
من بحار معينها * ولكن النار كانت هي البلاء الداهي * والمصاب
المتناهي * لانها احرقت غالب من كان داخل البلد لعدم الغوات *
فما ظنك بما يكون من العمائر والاقمشة والاثاث * وضربت الكلاب
باكل لحوم من مات داخل البلد * فما صار يجسر على العبور الى جامع
بني امية احد *

ذكر ما جرى في مصر وسائر الاقطار * عند سماعهم هذه الاخبار * واستيقانهم
هذه الاهوال والاخطار *

فاما مصر فما دونها من البلاد فانها تخبطت * وانحلت قواها وايديها
تربطت * وعدمت القرار * واستعذبت للفرار * فلو رأيت الناس
وهم حيارى * سكارى وما هم بسكارى * ابدانهم راجفه * وقلوبهم
واجفه * واصواتهم خافته * وابصارهم باهته * وشفاههم يابسه *
وصورهم بائسه * ووجوههم باسره * تظن ان يفعل بها فاقره * وقد
استوفز كل من اهل الامصار * وسكان الانجاد والاغوار * وقد اصاخ
لما يرد عليه من جلي الاخبار * فيبني على ذلك ما يكون * من متعلقات
الحركه والسكون * فاخذ تيمور على طريقته العوجا * ورجع على
سبيل بغيه التي اتخذها شرعه ومنهاجا * وقد عدت عساكره
الآفاق والاكناف * وعمت هيبته الارجاء والاطراف *

ذكر من اصيب من سهام القضاء بالرشق *

ووقع في مخاليب اسره من اعيان دمشق *

واخذ من اعيان الشام * ومشاهيرها الاعلام * قاضي القضاة
محيي الدين بن العز الحنفي بعد ان عاقبوه بانواع العقاب وكووه *
وسقوه الماء والملح وبالكلس والنار شووه * وولده قاضي القضاة

شهاب الدين ابو العباس * فوصلا الى تبريز ومكثا بها مدة في شدة وباس * ثم رجعا الى الشام * واخذ امرهما في الانتظام * وقاضي القضاة شمس الدين البناء البسي الحنبلي * وقاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي * فتوفي الى رحمة الله الوهاب * غريقا في نهر التراب * وشهاب الدين احمد بن الشهيد المعتبر * وكان متحملا اوزار الوزر * بعد ان راموا عذابه * وطلبوا عقابه * وكان قد جهز متعلقيه الى الاماكن البعيدة * واقام هو في دمشق جريدة * فذكر لهم حكايته * وبذل لهم في دفع موجوده طاقته * فاخذوا ما اخفاه جفيه ولم يعتدوه * ولكنهم بالاهبة والقلة استصحبوه * فوصل الى سمرقند وقاسى بها من صروف الزمن * انواعا من غربة وفقر ومحن * ثم رجع الى دمشق وتوفي بها رحمه الله تعالى * ومن الامراء الخاص * الامير الكبير بتخاص * وكان مقيدا امعه ومات * عند وصوله الى الفرات * فاما القاضي ناصر الدين ابن ابي الطيب فانهم عاقبوه بكل بلية * وكان رقيق البدن لطيف المزاج سوداويه * فما كان عنده لذلك ثبات * فاعجزهم عما يرومون منه بالموت وفات * فمات واستراح * وشرب

من الشهادة كاس مدام جاءه وراح * فدفنوه عشيه بالمدرسة
الكرسية * ولما شرع في النهب العام المبرح * استشهد غلطا قاضي
القضاة تقي الدين بن مفلح * وبرهان الدين بن القوشة ضعف
سبعة عشر يوما * وانقطع في حارة تل الجبن ولحق بالاموات قوما *
وكانوا قد خرجوا على الاحياء والاموات * وخافوا ان لا يكون لاحد
منهم من ايديهم بحية الوفاة فوات * فضبطوا بيوت المدينة بيتا بيتا *
وحرجوا ان لا يخرج الاحياء ولا تجهز الموتى * فلما مات المذكور *
تعسرت الامور * فتحيروا في تجهيزه * وتعلموا في امره وتنجيزه *
ثم بعد جهد بليغ وسعي كثير * دفنوه في الصالحية بعد اخراجه من
الباب الصغير * وخرج مع تيمور بالاختيار من الشام * عبد الملك بن
التكريتي فولاه نيابة سيرام * فمكث فيها القليل من الايام *
وهي وراء سيحون * وشخص آخر يدعى يلمغا المجنون * وكان مقربا
عنده * وسبب ذلك انه بذل في مناصحته جهده * واخبره على ما قيل
بعدوي * فخلصه بذلك من المهالك والمهاوي * وحصل له بذلك
قربه * وزيادة ملازمة وصحبه * فولاه ذلك الجاسوس * نيابة مدينة

تلّ عنى يبكي بلاس * وراء نهر خجند * نحو خمسة عشر يوماً عن
سمرقند * بينها وبين سيرام * نحو من اربعة ايام * وكان اسم ذلك
الحصن * احمد فتلقت بيلمغا المجنون * واخذ من دمشق ارباب
الفضل واهل الصنائع * وكل ماهر في فن من الفنون بارع * من النساجين
والخياطين * والحجارين والنجارين * والاقباعية والبياطرة
والمخيمية * والنقاشين والقواسين والبازداريه * وفي الجملة اهل اي
فن كان * وجمع كما ذكر السودان * وفرق هؤلاء الطوائف على
رؤس الجند * وامرهم ان يوصلوهم الى سمرقند * واخذ جمال الدين
رئيس الطب وشهاب الدين احمد الزرد كاش وكان في القلعة كما ذكر
وابا به من عسكره خلقا لا يحصون * ولا يحصرون كثرة ولا يستقصون *
وكان في حدود التسعين وقد احدودب * فلما رآه قابله بالسخط
والغضب * وقال له انك افنيت صاغيتي * وحصيت غاشيتي *
وقصيت حاشيتي * فان قتلتك مرة واحدة لا يشفي عليلي * ولا يهدأ
غليلي * ولكن اعذبك كبير سنك * وازيدك كسرا على كسرك
وورما على ورمك * فقيده بقيد من فوق ركبتيه * زنته سبعة

ارطالٍ ونصفُ رطلٍ بالدِّ مشقيٍّ وقصدَ بذلك التشديدَ عليه * فلم
يزلْ مقيَّدًا * مكتوبٌ على قيدِه مخلَّدًا ابدًا * حتى ماتَ تيمورُ *
وارتفعتِ الشرورُ * وخلصَ من القيدِ ذلك المأسورُ * ثم توفيَ الى
رحمةِ اللهِ تعالى وربَّما يكونُ اخذَ اناسًا من الفضلاءِ * والاعيانِ
والسادةِ والنبلاءِ * مَن لا اعرفُه * فكيفَ اصفُه * وكذلك كلُّ
اميرٍ من امرائِه * وزعيمٍ من زعمائِه * اخذَ من الفقهاءِ والعلماءِ *
وحفاظِ القرآنِ والفضلاءِ * واهلِ الحرفِ والصناعاتِ * والعبيدِ
والنساءِ والصبيانِ والبناتِ * ما لا يسعُ الضبطُ * ولا يحلُّ الربطُ *
وكذلك كلُّ من عسكرِه * اخذَ كبيرًا وصغيرًا واسرَّه في اسرِه * لانه
ما ثم حرجَ على من نهبَ شيئًا وعزلَه * وكلُّ من سبقتْ يدُه الى شيءٍ نهولَه *
وهذا اذا اطلقَ عنانَ الاذنِ بالنهبِ العامِ * تساوى فيه الخواصُّ
من عسكرِه والعوامُّ * ولو كانَ الناهبُ اميرًا فيهم * او دخيلًا عليهم *
والسالبُ من غيرِ طينتِهم * ولكن ابيحَ له ذلك لما صارَ بسيرتِهم *
وتخلَّقَ بشيمتِهم * واطلقَ عليه حكمُهم * واجريَ عليه شكمُهم *
فاما قبلَ الاذنِ فلو تعدَّى احدٌ على احدٍ * وكانَ عندَ تيمورَ بمنزلةِ الوالدِ

او الولد * او استطال بمقدار رحمه * او تلفظ بغارة او نهبه * فانه يهدر
ماله ودمه * ويهتك حرمته وحرمه * ولا ينجيه استغفاره وندمه *
ولا يجديه اهله وخدمه * ولا يقال لعالم من زلت به قدمه * وكانت
هذه قاعدة لا تخرم * وبنية لا تهدم *

ذكر ما ابادته الجراد

ولما فرغ من مستغلات اموال دمشق الحصاد * وقارب الرحيل عنها
اعقبه لقاط الجراد * وصار يسير معه حتى بلغ ماردين وبغداد *
فاعرى كل شجراء ومردا * وجرد ما على وجه الارض جردا * فوصل
الى حمص وما نهبها * ولخالد كما ذكر وهبها * ولكن نهبوا قراها *
وهدموا قواها * ثم الى حماة فنهبوا نفائسها * واستخرجوا مكامنها *
واسروا عرائسها * واستملكوا كنائنها * وفي سابع عشر شعبان *
انصب الى الجبول ذلك الطوفان * وارسل الى حلب واخذ من قلعتها
ما استودعها * ثم الى الغزالة وعبرها بالمراكب وغيرها فقطعها * ثم
الى الرها * فنهبها واستحلب درها * ثم ارسل ذلك الغادر * رسوله
الى ماردين يستدعي الملك الظاهر * ويباجة كتابه الدقل * على

مانقل * شعر *

* سلام عليكم والعهود بحالها * لقد بلغ الاشواق منا كمالها *

فابى ان ينزل اليه * ولا استمع كلامه ولا التفت اليه * فانه كان آذاه اما

ذكر اول مرة * فما احتاج الى تجربته آخر كرة * فسلك معه برا لسلامه *

وقال شطر بيت (ع) من جرب المجرب حلت به الندامه *

ولكن ارسل اليه قاصدا من بعض الخدم * يدعى الحاج محمد بن خاصبك

ومعه التقادم والخدم * واعتذر عن الحضور * بعدة امور *

وعنوان جوابه * موافق لخطابه * وهو *

* شعر *

* فشوقي اليكم زائد الحد وصفه * ولكن تخاف النفس مما جرى لها *

فلم يلتفت تيمور الى هذا الكلام * واخذ يعنف نفسه بانواع الملام *

كيف خلص من مخاليبه اول مرة بسلام *

ذكر ورودة ماردين بالهيبة * وصدوره عنها بعد المحاصرة بالخيبة *

فوصلوا يوم الاثنين عاشر شهر رمضان واردين ماء ماردين * فنزلوا

دنيسر وغدوا للحصار قاصدين * واذا باهلها وقد اخلوا المدينه *

وانتقلوا الى قلعتهم الحصينة *

* صفة هذه القلعة *

وهذه القلعة عنقاء قلتها تكبران تصاد * وعرنين عانيها يأبى ان يذل لناطب تحت مقود انقياد * لانها في قلة من القلل * على ظهر جبل * لم يكن فرق بينه وبين قمة الافلاك * الا ان تلك لا نبات لها وهذا ثابت ليس به حراك * بظهره واد بطنه اوسع من صدر الاحرار * فيه جنات تجري من تحتها الانهار * وبه مطارح الزروع * ومسارح المواشي والضروع * وحدوده حروف لا تصل همم ذوي الكرم الى ارجائها * وخروف يعجز قارع التفكر عن تعديد هجائها * وطريقه من القلعة الى القلعة * والقلعة في غاية المناعة والرفعة * والمدينة مبنية حواليها * متشبثة بذيلها * تأكل من فضلات نعمها * وتشرب من فائض سيلها * فهم بين نعيمهم ونقمهم يترددون * وفي السماء رزقهم وما يوعدون * فاقام لمحاصرتها على مضايقها * يستريش الى طرق المضايقة وطرائقها * ولم يكن حواليها مكان للقتال * ولا لنصب المجانيق مجال * فعول على نقبها بالمعاول والفؤس * واستعان على ذلك بالمقاول

والرؤس * وحاشا درزذيل حشمتها وعصمتها أن يسام فتقا * لأنها

وان كانت عذراء قد اعجزت الفحول لكونها رتقا * فلازلت المعاول تفل *

والقطا يمس تكل * ومناقير الفوس تتعقف * وخصور المرازب كهيفا

القدود تتقصف *

قلت * شعر *

* كأن معولهم في نقب تربتها * منقار طير على صلد من الصخر *

* او عذل ذي حسد صابه صمم * او غمز عين معنى فاقد البصر *

واستمر على الدد والخصام * الى العشرين من شهر رمضان ولم تحصل

على طائل ولم يظفر بمرام *

ذكر تركه في المحاصرة * العناد والمكابرة * وتوجهه

بما رويه ذوي الفساد * عن مارقين الى بغداد *

ولما علم انه رمي منها بالداهية الدهيا * وطلاب مالا يستطاع عيا *

والمكابرة مع الحق خروج عن المنهج * والملاغة في غير مقامها عي

لجلج * ستر عيبه * وابقى بعض الحرمة والهيبة * وخرب المدينة

والسوارها * ومحا آثارها * وهدم مبانيها وجوامعها ومنارها *

وفك اساسها واحجارها * ثم انحدر الى بغداد * بعساكر كالقدر
والفراش والجراد * وجهز بعض النقل الى سمرقند مع الله داد *
فوصلوا الى مدينة صور وليس بها بيت مشاد * ثم الى خلاط وعبر
الجوز وهي بلاد الاكراد * آهلة عامرة البنيان * واول ما هو جار
تحت حكمه من ولايات تبريز واذربيجان * فعيد الثقل بعد الجوز
عيد رمضان * ثم دخلوا الى ولايات تبريز ثم الى سلطانية ثم الى ممالك
خراسان * وكان اذذاك قد خرج فصل الشتا * وفصل الربيع تزين راتبي *
وصفحات الرياض بانامل صباغ القدرة تلونت * وعروس الروض
قد اخذت من صواغ الحكمة زخرفها وازينت * والاطيار في الازهار *
ما بين مائة بلبل وألف هزار * قد شنفت الاسماع * واقامت السماع *
واستمالت الطباع برخيم صوتها * واحيت آثار رحمة الله الارض
بعد موتها * ولا زال الثقل بين تأويب وادلاج * وسير ولا سير
الحاج * كل يوم في مرحلة وكل ليلة في مقام * فوصلوا الى نيسابور
ثم الى جام * ثم قطعوا مفاوز با ورد وماخان * ثم الى الدخوه وانتهوا
الى نهر جيحان * فعبروه بالمراكب * وسار وا سير النجم الثاقب *

ولم يزالوا متبعين على ذلك انبعاثا * فوصلوا الى سمرقند ثالث عشر المحرم يوم الثلثا * سنة اربع وثمانمائة * وفيهم من اهل الشام فئة * امثلهم القاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * وباقيهم بياطرة وصباغون ونساجة الحرير * هذا اول ما تحمله من الشام من احمال الاثقال * وباكورة ما وصل الى سمرقند مما جناه من ثمر الاسار والاموال * ثم ارسل الاثقال تترى * بالانقال واحمال الاموال والاسرى *

* فصل *

ثم ان تيمور ولى آمل قرايلوك عثمان * وولى على ماردين يوم الخميس العشرين من شهر رمضان * وكان خامس ايار * وجعل يعبث في تلك الديار * وخرب نصيبين ورعى مستغلاتها * ثم محا من صحف الوجود صور سورها وآياتها * وكانت خالية من سكانها * خاوية من عامر عمرانها * ثم وجه الى الموصل همه * واخفى عليها بكتائبه الملهمه * فبعد ان احلها الحين * وسبها الحسين بيك بن حسين * ثم جهز بزمجره * الى ناحية القنطره * واشاع انه كف فساده * وقصد بلاده * ولكن السلطان احمد كان قد تحقق انه قاصد بغداده *

وقتل اكثرهم وورث كماله بقتلك دأبه وعادته *

ذكر ما فعله السلطان احمد بن الشيخ اويس * لما بلغه انه توجه اليه

ذلك النجيس *

فلما بلغ السلطان احمد * ان تيمور بعد ان تلك مشق تمرد * ثم عزم على ان يتبغداد * وقال الغور احمد * استعد ولكن للفرار * واستقر رأيه على ان لا قرار * ثم استناب نائبا يدعى فرج * واوصى اليه والى ابن البليقي بامور وصحبه قرا يوسف الى الروم وخرج * وكان من جملة ما وصى به انه لا يغلق في وجه تيمور باب * ولا يسدل دون ما يرومه حجاب * ولا يشهر في وجهه سيف * ولا يقاتل فيما يأمر به بلم وكيف * فبلغ تيمور * هذه الامور * فجهز ذلك المخاتل * الى بغداد عشرين الف مقاتل * وامر عليهم من امرائه ورؤساء وزرائه والظالمة المعتدين * امير زاده رستم وجلال الاسلامي وشيخ نور الدين * وامر ان يكون المقدم * من الثلاثة الامير رستم * فاذا تسلموا بغداد * يكون هو حاكم البلاد * وحين غربت عين سماء بغداد شمس السلطان احمد في غرب الغربة * ومد ظلام

الظلم جناح العساكر التيمورية على آفاقها وارسل عليها شهبه * ابى
فرج المذكور ان يسلم المدينة طوعا * واستعد للمقاتلة فجمع ما عنده
من اهبة المحاصرة واوعى * فاطلعوا تيمور على هذا الامر * وانتظروا
ما يكون منه من نهي وامر * فثنى نحوها عنان العنق * واضمر ما تصل
اليه يده من غرق وحرق * واظل عليهم بغمام غم بعد مارعد وبرق *
فوصل بتلك الفرق * واحل بهم البوس والقلق * واذاقهم لباس
الجوع والفرق * فرجهم اي رج * وحاصرهم في اشهر الحج * فثبتت
مقاتلتهم واكثروا من عساكره القتلى والجرحى فضاق * اشد الضيق *
وزحف عليها برجله وخيله فاخذ ها عنوة يوم الاضحى * فتقرب
الى زعمه بان جعل المسلمين قرابين وعليهم ضحى * ثم امر كل من هو
في دفتر ديوانه محسوب * والى يزك عساكره من الجند والجيش
منسوب * ان ياتيه من رؤس اهل بغداد برؤسين * فسقوا كل واحد
من خمرة سلب الروح والمال كاسين * ثم اتوا بهم فرادى وجمله *
وجاروا بسيل دمائهم نهر الدجله * وطرحوا بان انهم في تلك الميادين *
وجمعوا ان رؤسهم فبنى بها مياذين * فقتلوا من اهل بغداد نحوا

من تسعين الف نفس ضيرا * وبعضهم عجز عن تحصيل المبغداديين
فقطع رؤس من معه من اهل الشام وغيرها اسرى * وعجز بعض
عن رؤس الرجال * فقطع رؤس ربات الحجال * وبعض لم يكن معه
رفيق * فاصطاد من وجده في طريق * واغتال من معه من رفيق *
وذل نفسه بعد توصيد * ولم يلتفت الى شقيق وشفيق * اذ لم يمكنهم
الخروج عن ربقة الطاعه * ولا يقبل منهم عدل ولا تنفعهم شفاعه *
وهذا العدد المذكور * سوى من قتل وهو محصور * او قتل في مضيق *
او مات في الدجلة وهو غريق * فقد ذكر ان خلقا * القوا انفسهم في الماء
وماتوا غرقى * ومن جملتهم فرج فانه ركب سفينة وابق * فاحتوشوه
من الجانبين بالسهام فجرحوه وانقلبت السفينة فادركه الغرق *
وبقى من الماذين * نحوا من مائة وعشرين * كذا اخبرني القاضي
تاج الدين احمد النعمان * الحنفي الحاكم ببغداد ذكان * وتوفي
في غرة المحرم سنة اربع وثلاثين وثمانمائة بدمشق رحمه الله تعالى *
ثم ان تيمور خرب المدينه * بعد ان اخذ ما بها من اموال خزينه *
وافقر اهلها وقفر منازلها * وجعل عاليها سافلها * وصارت بعد

أن كانت مدينة السلام * دار السلام * واسيرا من بقي من ضعفة اهلها فتمزق * ومزقتهم ايدي الزمان كل ممزق * بعد ان كانوا في ظلال ود لال * ومن مساكنهم في جنتين عن يمين وشمال * فاليوم عشش البوم والغراب اماكنهم * واصبحوا لا ترى الا مساكنهم * وهذه المدينة هي اشهر من ان توصف * وعرف عارفتها وعرفانها اذكى من ان يعرف * وناهيك انها كاسمها مدينة السلام * وانه على ما قيل لم يمت بها امام *

ذكر رجوع ذلك الطاغ * واقامته في قراباغ *

ثم الوى بتلك الاتراك التي يصح ان يقال لكل منها انه في التركية طاغية طاغ * وعزم ان يشتي في مكان يصلح ان يكون في التركي والعربي كصفاته وذاته قراباغ * وامسى كالبازي المطل بل كاليوم المشوم * مراقبا اطراف الآفاق وخصوصا ممالك الروم *

ذكر مراسلة ذلك المريد * سلطان الروم ايلدزيم بايزيد *

فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغاز * وصرح بما يروم من بلاد الروم من غير كناية والغاز * وجعل السلطان احمد وقرا يوسف

سَبَبًا * وذكّرانهما من سَطَوات سَيُّوفه هَرَبًا * وانهما مادّة الفساد *
وبوار البلاد * وذمار العباد * وشؤم الحمول والادبار * وكفرعون
وهامان في العلوّ والاستكبار * وان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين * وقل صارا بمن معهما في حمى ذراكم لاطئين * وانما حلوا
حلّت التعاسة والشوم * وحاشا ان يكون مثلهما من المملوكين تحت
جناح صاحب الروم * فاياكم ان تأووهم بل اخرجوهم * وخذوهم
واحضروهم * واقتلوهم حيث وجدتموهم * واياكم ومخالفة امرنا *
فتحل عليكم دائرة قهرنا * فقد سمعتم قضايا مخالفينا واضرابهم *
وما نزل بهم منا في حرابهم وضرابهم * وتبين لكم كيف فعلنا بهم *
فلا تكثروا بيننا وبينكم القيل والقال * فضلا عن جدال وقتال * فقد
بيّنا لكم البراهين وضربنا لكم الامثال * وفي اثناء ذلك انواع التهديد
والتخويف * واصناف التهويل والاراجيف * وكان ابن عثمان عنده
رقاعة وشجاعة * ولم يكن عنده صبر ساعة * مع انه كان من الملوك
العادلين * وعنده تفوق وصلابة في الدين * وكان اذا تكلم وهو في
صدر مكان * فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان *

وكان بواسطة عند له ساعدة الزمان * وقويت شوكته في المكان *
فاستصفى ممالك قرمان * وقتل ملكها السلطان علاء الدين واسر
له منه ولدان * واستولى على ممالك منشا وصاروخان * وهرب منه
الى تيمور الامير يعقوب بن علي شاه حاكم ولايات كرمان * وصفا له
من حدود جبل بالقان * من ممالك النصارى الى ممالك ارزنجان *
فلما وقف على كتابه * وفهم فحوى خطابه * نهض وربض *
وامتعض وارتمض * ورفع صوته وخفض * وكانه يتجرع نقوع
الحنظل * ثم قال اويخوفني بهذه الترهات * ويستفزني بهذه الخزعبلات *
او يحسب انني مثل ملوك الاعجام * اوتتاراللدشت الاغتام * اوني
جمع الجنود * كجيش الهنود * اوجندي في الشقاق * كجمع العراق *
اوما عندي من غزاة الاسلام * كعساكر الشام * اوان قفله
المجمع كجندي * اوما يعلم ان اخباره عندي * وكيف ختل الملوك
وختر * وكيف تولى وكفر * وما صدر عنه وعنهم * وكيف كان
كل وقت يستضعف طائفة منهم * وانا افصل جمل هذه الامور * واكشف
ما خزنه في التامور * واما اول امره فحرامي سفاك الدم * هتاك

الحرم نقاض العهود والذمم * طرف منحرف عن الصواب في الخطا *
فصال وجال وسطا * ثم ظال واعتال * واتسع له المجال * وغفل
عنه الرجال * ومن حين نبغ * استصبى حتى شاب الشيب بالعيب
فادرك ما ادرك وما بلغ * فانتهبت نتيلته بعد ان كانت شرارة *
وانتثرت فروع حبته فصارت غرارة * اما ملوك العجم فانه
استنزلهم بدخله وخبله * ثم استفزهم بخيله ورجله * وبادر الى قتلهم
بعد ان امكنتهم فرصة قتله * واما توقتاميش خان * فان غالب
عسكره خان * ومن اين للتتار الطغام * الضرب بالبتار الحسام * ومالهم
هوى رشق السهام * بخلاف ضراغم الآرام * واما جنود الهند
فانه ختلهم في امرهم * ورد كيدهم في نحرهم * فوهت اركانهم * لاسيما
وقد مات سلطانهم * واما عساكر الشام * فامرهم مشهور * وما جرى
عليهم ظاهر غير مستور * ولما مات سلطانهم * وتضعضعت اركانهم *
وانفض امرهم وانقض * وبغى بعضهم على بعض * قطعت منهم الرؤس
الكبار * ولم يبق فيهم الا رؤس صغار * فنثر الزمان نظامهم *
وسام التبدد ملكهم وشامهم * مع انهم في الصور ربيع وفي المعاني

جهادنا * يرمون بواحدة وهي انهم يبيتون جميعا ويقومون مثنى
وفرادى * لا جرم تخرق قنا يا ذي صبا احزاب تلك الزمر * فاشتغل
جيشه فيها بالحرام فباض الخلل له الجحر وفقر * ولو كان بينهم اتفاق
لقووه فتا * ويلذ دراشمله وبتوه بتا * ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم
شتى * ومع اتساق نظامهم * وتسديد مهم * وقوة نظامهم *
وشدة كفاحهم * وشدة زماحهم * وكونهم ظهر الحاج * واسود
الهياج * انى لهم نظام عساكرنا * وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا *
وكم فرق بين من تكفل بامر الحفاة العزاة * وبين من تحمل امر
الكماة العزاة * فان الحرب داؤنا * والضرب طلابنا * والجهاد صنعتنا *
وشرعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا * ان قاتل احد تكالبا
على الدنيا * فنحن المقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا * رجالنا باعوا
انفسهم واموالهم من الله بان لهم الجنة * وكم لضرباتهم في آذان
الكفار من طنة * وليثوفيهم في قلانس الفوانس من رنة * ولنون قسيهم
في خياشيم بني الصليب من غنة * لو سمنا هم خوض البحار خاضوها *
او كلفنا هم افاضة دماء الكفار افاضوها * قل اطلوا من ضياضيهم

طي قلع تلاع الكفار واختفوا عليها * ورامسكوا بعنان افراسهم كلما سمعوا
هيعة طاروا اليها * لا يقولون لملكهم اذا غمرهم في البلاء والابتلاء *
انا ها هنا قاعدون فاذهب انت وربك فقاتلا * ومعنا من الغزاة مشاة *
افرس من فوارس الكماة * اطهارهم باتره * واظفارهم ظافره *
كالاسود الكاسره * والنمور الجاسره * والذئاب الهاصره * قلوبهم
بود ادنا عامره * لا تخامر بوا طنهم علينا مخامره * بل وجودهم
في الحرب ناضره * الى ربها ناظره * وحاصل الامر ان كل اشغالنا *
وجل احوالنا وانفعالنا * حم الكفار ولم الاسرى وضم الغنائم * فنحن
المجاهدون في سبيل الله الذين لا يخافون لومة لائم * وانا اعلم ان
هذا الكلام يبعثك الى بلادنا انبعاثا * فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق
ثلاثا * وان قصدت بلادي وفررت عنك ولم اقاتلك البته * فزوجاتي
اذن اكب طوالق ثلاثا البته * ثم انهى خطابه * ورد على هذا الطريق
جوابه * فلما وقف تيمور على جوابه القلق * قال اين عثمان مجنون حمق *
لانه اطال واساء * وختم ما قرأه من كتابه بذكر النساء * لان ذكر
النساء عندهم من العيوب * واكبر الذنوب * حتى انهم لا يلفظون

بلفظ امرأة ولا بانثى * وانما يعبرون من كل انثى بلفظ آخر ويتشون
على الاحتراز عنه حشا * ولو ولد لاحدهم بنت يقولون ولد له مخدرة *
او من ربات الحجال او مستترة * او نحو ذلك *

ذكر طيران ذلك البوم * وقصده خراب ممالك الروم *

فوجد تيمور الى التوجه على ابن عثمان السبيل * وطلب الرفيق والطريق
ورام الدليل * وعرض جنده فاذا الوحوش حشرت * وانبثوا على وجه
الارض فاذا الكواكب انتثرت * وماج فاذا الجبال سيرت * وماج
فاذا القبور بعثرت * وسار فزلزلت الارض زلزالها * واخرجت
القيامة اثقالها * وارسل الى ولي عهده ووصيه من بعده * حفيده
محمد سلطان بن جهانكير * ان يتوجه اليه من سمرقند صحبة سيف
الدين الامير * وركب الى الروم الطريق * وساعده الاتفاق
والتوفيق * وجرى بذلك المجرا المطرخم * والليل البهيم * فدار
وداخ * وعلى قلعة كماخ اناخ * فاذا هي في الوثاقة كيقين موحد *
وفي الرصانة والمناعة كاعتقاد متعبد * لا يقطع خندق مناعتها سهم
وهم * ولا يهتدي الى طريق التوصل اليها صائب فهم * موسس اركان

بعضابها معمار القدرة * ومهندس بنيان قبابها نجار الفطرة * ليست
بالعالية الشامقة * ولا بالقصيرة اللاصقة * غير أنها في مناعتها
وحصانتها فائقة * من احدى جهاتها نهر الفرات يقبل اقدامها *
ومن الجهة الاخرى وادٍ متسع يحفظ اعلامها * لا يمكن للاقدام فيه
الثبات * وهو مسيل ماء يصب في نهر الفرات * ومن الجهتين الاخريتين
هضاب * ينزلو لسان البصيرة عند وقوع البصر عليها ان هذا لشيء
عجاب * فاخذها من غير كلفة * ولج حرمها من غير طواف بها
ووقفة * وذلك بعد ان قدم محمد سلطان عليه * ووكل امر حصارها
وقتالها اليه * وسبب ذلك ان الوادي الذي وراءها * كان يرد
بالخيبة لوعورته من جاءها * لكونه مزلة الاقدام * واسع الاغنام
بعيد مهوى المرام * لا ينزلب لسان السهم له عرض عرض * ولا ينبت
له تحت قدم غواص البصر قرار ارض * فبمجرد ما وقع نظره عليها *
نظر بعين الفراسة اليها * ثم امر بقطع الاخشاب * ونقل الاحطاب *
فلم يكن الا كلمح البصر * حتى هدموا البيوت وقطعوا الشجر * ونقلوا
جميع ذلك الخشب والاعواد * وطرحوها في قعر ذلك الواد * فساووا

به الارض * وملأوا طوله والعرض * وحين شعروا اهل القلعة بهذه
الفعال * القوا النار والبارود على تلك الاخشاب فاخذت فى الاشتعال *
واما اساس القلعة فلا ينال * لانه راكب على قلل الجبال *
فلم يبد ذلك من امره * ولم يشرد من فكره * بل امر فى الحال * كل
واحد من الرجال * ان يأتي من تلك القفار * بعدل من الاحجار *
فانبثوا كالنمل والجراد * في تلك المهامه والاطواد * والبرارى والبلاد *
وجابوا الصخر بالواد * فغى الحال ملأوا تلك الدارة * من الحصباء
والحجارة * ثم امر ان يفعل بتلك الحجارة في ذلك الهوى البعيد *
ما يفعل بهم في جهنم يوم يقال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد *
فالقوا في ذلك الوادى بعض ما لوه * من اكداس تلك الحجارة
فطموه * وبقي في بيادر ذلك الحجر * اضعاف ما رمي من البصر * ولما امتلأ
الوادي من الاحجار * مشوا عليها وقربوا من الاسوار * ونصبوا السلالم
وتسلقوا * وبناصية مراميها تعلقوا * فاقلع اهل القلعة عن الكلام *
وطلبوا الامان وقالوا ادخلوها بسلام * وكان ذلك الحصار والتلجئة *
في شوال سنة اربع وثمانمائة * ولما استقر فيها * امر بتلك الاحجار ان تنقل

من راذيها * ففي الحال سغوها * وفي مكان اخذ وها منه رموها *
ثم ولى بها شخصا يدعى الشمس * وولى عنها كما ولى امس * وهذه
القلعة نحو من نصف يوم من ارزنجان * ومن القلاع المشهورة
في الدنيا بالمناعة والعصيان * فلا جرم حين استولى عليها * وافضى
بصازمه الدكر اليها * وفتحها قهرا * ومنحها جبرا * ابرد بهذا المغنم
البارد * الى كل صادر في مهالكه وارد * بكتب ترجم فيها من الاخبار
كل سانح وشارد * وعنوان هذه الترجمة * بلفظها من غير ترجمة *

* شعر *

* بجد سيوف دامیات لدى الوغى * فتحنا بحمد الله حصن كماخ *
وذكر فيها ابن عثمان وخطابه اليه * وكيف رد جوابه الحمق عليه *
ومن جملته * وبعض ترجمته * انا ما جفونا ه ولا تعدينا عليه *
ولكن رققناله القول وتلطفنا اليه * وقلنا له نخرج من قروح مملكته
مادة الفساد * وهي احمد الجلابري وقرا يوسف التركماني اللذان
اخربا البلاد واهلكا العباد * والرضا بالمعصية * معصية * والاقرار
على الكفر * كفر * والفاسق المحروم اليائس * شر من الفاجر الظلوم

الملابس * فصار في الفساد وزيره وهو الامير * وفي العناد صغيره وهو الكبير * وعاشراه على ذلك ووالياه فلبس الموتى ولبس العشير * فافسداه وما انصلحا * وخسراه وما ربحا * فكأنه عنى شأنهم * من اظهر قولهم وشانهم * بقوله

* شعر *

* ولا ينفع الجرباء قرب صحيحة * اليها ولكن الصحيحة تجرب *

ولم يزل على طريقته العوجاء * فاشبه لما اجارهما مجيرام عامر العرجاء * فنهيناه فما انتهى * ونبهناه فما ارعوى * واريناه العبر * في غيره فما اعتبر * ونادانا لسان انتقامنا من المخالفين الحذر الحذر * وكنا وضعنا اسمه مع اسمنا * على عادة حشمتنا والد بنا في المراسلات ورسمنا * فتعدى طوره * وابدى جوره * وكان في بعض مراسلاته * وما وضعه في مكاتباته * كتب اسمه تحت اسم طهرتن * وهذا هو الواجب عليه والحسن * ولا شك ان طهرتن بالنسبة الينا * كبعض خدمنا واتباع حشمنا * ثم انه اعني بايزيد لما طالع كتابنا * ورد جوابنا * وضع اسمه فوق اسمنا بالذهب * وهذا لما فيه من كثرة الحماقة وقلة

الأدب * ثم ذكر انه توجه ليروم * استخلاص ممالك الروم * وتشدق في هذا الكتاب * وتفيهق في هذا الخطاب * فهو احد دساتير الكتاب * والاساطير المستعان بها في الخطاب والجواب *

ذكر ما عزم ابن عثمان عليه * عند انصباب ذلك الطوفان اليه *

فلما بلغ ابن عثمان ما قصده * وانه جعل طالعه في سماء الحرب رصده * توجه لقتاله * واستعد لاستقباله * وكان على مدينة استنبول محاصرا آثمها وكفارها * وقد قارب ان يفتحها وتضع الحرب عنها اوزارها * وان جنده كان عنده * ولكن امر بطارقة الغزاة * والشواهين من كواسر جيشه والبزاة * وسراة السرايا وكرام كرمان * واحلاس خيل السواحل وقروم قرمان * واجناد ولايات منشا واساورة صاروخان * وجميع امراء التومانات والصناجق * واصحاب الرايات ورؤس الفيالق * ونواب جميع الثغور والاماكن * مما هو جار تحت تختي بروسا وادرنة * وكل من دبج البحرا لاحضر * من بني الاصفر * عن رايته البيضاء بالدم الاحمر * وفلق سويداء كل عدو ازرق * فيها مه السود على جواده الابلق * ان يعملوا مصلحتهم * وياخذوا

يحذرهم وسلحتهم * واستعان في ذلك بكل طريق وعلج ما رجي *
داخل في امان المسلمين على قتال كل باغ وخارجي * واستلصى
التتار * وهم قوم ذو يمين ويسار * ناس سواذج * لهم مواش
نواتج * ملأوا الاقطار بمواشيهم * وعلوا الشواهق والبوادي ببروعهم
وحواشيهم * ربما يكون لواحد منهم عشرة آلاف جمل * ما منها
واحد حمل * ومثل ذلك افراس * ما اسرع جلها ظهرا ولا الجم راس *
واما الغنم والبقر * فلا يحصى عددها ولا يحصر * وما يعلم جنود ربك
الا هو وما هي الا ذكرى للبشر * لهم في ممالك الروم وقرمان
الى ضواحي سيواس مشتات ومصائف * وللملوك والسلاطين عليهم
اعتماد كمالهم في انواع المبرات وظائف * لو قصدهم فقير او غريب *
او طالب علم او اديب * جمعوا له من الغنم والبقر * والصوف والشعر
والسمن والاقط والوبر * ما يكفيه وذويه الى آخر العمر * وكانوا
يسمون لكثرتهم وما معهم من الامم * ثمانية عشر الف عالم * فلا
يكل من صلى هولاء الجبال على صوته بالاجابة * وبادر الى امتثال
اوامره بالاطاعة والانابة * وانبعث اليه التتار بقضيهم وقضيضهم بعثا *

وقعدت اليه اطواد عساكرها وبحار جنودها قعدة * وحط على ملاقاة تيمور عساكر الغزاة والمجاهدين حطة *

ذكر ما فعله ذلك الخداع المكار * ونمقه في تفخيذه من ابن عثمان بجنود التتار *

ولبث تيمور في امره * واستورى زناد فكره * فاورى زناده ناره * ان يفخذ عن ابن عثمان تتاره * فارسل الى زعمائهم * والكبار من امرائهم ورؤسائهم * واميرهم يدعى بالفاضل * وكان في المكرمات من الافاضل * غير انه ما مارس الايام * ولا اطلع على مكائد اللئام * ان حسبكم حسبي * ونسبكم متصل بنسبي * وان بلادنا بلادكم * واجدادنا اجدادكم * فكلنا فروع نبعه * واغصان دوحه * وان آباءنا من قديم العصور وغابر الدهر نشأوا في عيش متوحد * ودرجوا في وكر غير متعدد * فانتم في الحقيقة شعبة من شعبي وغصن من اغصاني * وجارحة من جوارحي وخالصتي وخلاني * وانتم لي شعار * وباقي الناس دثار * وان كان الناس ملوكا بالاكتساب * فانتم ملوك بالانتساب * وان آباءكم من قديم الزمان * كانوا ملوك ممالك توران * فانتقل

منهم طائفة من غير اختيار * الى هذه الديار * فاستوطنوها وهم على
ما هم عليه من الكرامة * وشعار السلطنة واسباب الزعامة * ولم
يزالوا على هذا النشاط والهزة * الى ان اندرجوا الى رحمة الله تعالى
وهم على هذه العزة * وكان المرحوم ارتنا آخر ملوكهم * واكبر مالك
في بلاد الروم اصغر مماليككم * وليس بحمد الله في شوكتكم فله *
ولا في كثرتكم قله * فانتي رضيتم لانفسكم بهذه الذله * وان تصيروا
مسخرين * كانكم من المسخرين * وبعد ان كنتم اكابر مكبرين *
كيف صرتم اصاغر مصغرين * ولستم بلاد رهوان ولا مضيعة * وارض
الله واسعة * ولم صرتم مرقوقي * رجل من اولاد معتوقي طغرلبك
السلجوقي * ولا ادري ما العلة لهذا والسبب * ومن اين هذا الاخاء
والتشعب * سوى عدم الاتفاق * وانتفاء الاتساق * وعلى كل حال
فانا اولى بكم * واحق بعمل مصالحكم وتهيئة اسبابكم * وان كان
لابد من استيطانكم هذه النخوم * وبيع تلك البلاد الفسيحة بمضايق
ممالك الروم * فلا اقل من ان تكونوا كاسلافكم حكامها * مالكي نواصي
صياصيها راقين سنامها * باسطي ايديكم فيها قابضين زمامها *

وهذا اللهم انما يتم اذا كفينا هذه المنازله * وقضينا الارب من هذه
المناضله * وتمهد لنا الميدان * وارتفع من البين ابن عثمان * فاذا
خلا الجو من المنازع * وصفت لي في هذه البلاد المشارع * وظفرت
بهذه الممالك * وسلكت فيها الطرق والمسالك * اعطيت القوس
باريها * وانزلت الدار بانيها * ورددت المياه الى مجاريها *
وجعلتكم ملوك قراها وصياصيها * ومدنها وضواحيها * وقررت
كل واحد منكم على قدر استحقاقه فيها * وان رأيتم ان لا تعينوا علينا *
وامكنكم ان تتحاوزوا الينا * فاغتنموا فرصتكم * وخذوا من انتهازها
حصتكم * فانكم قريبون منا صورة ومعنى * واما الآن فكونوا
بظاهركم مع ابن عثمان وببواطنكم معنا * حتى اذا التقينا امتازوا *
والى عساكرنا انحازوا * ولا زال قحل كلامه ينزو على حجر حجرهم
ولا يجفر * مزخرفا بتمويهات تزري فصاحتها بكلام الاسود بن يعفر *
غائصا في دروز افكارهم ليرده عن ان تتبع ابن عثمان وتغفر *
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر * حتى خلبهم بهذا المقال *
واستخفهم في معنى ما قال * واستهواهم حب الرياسة الذي طالما

استرق احرار الصديقين * واستعبد كبار الاولياء والصالحين *
وكبكب في النار على الرؤس رؤس العلماء العاملين * فوافقوه
على الانخزال * منذ الموافقة للنزال *

ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل * وتوجهه الى ملاقاة
تيمور بعسكره الثقيل *

فاما ابن عثمان فانه خاف منه الهجوم * على بلاد الروم * لان
الزروع كانت قد استحصدت * وصدور الفواكه والثمار قد استندت *
وخضراوات الارض قد اسودت * والرعايا في ظل الامن والرفاهية
قد امتدت * فخشي ابن عثمان ان يصيب العباد منه ضرر * او يتطاير الى
قبائل بلاده من لهيب ناره شرر * فبادر الى ملاقاته * وساقته سرائق
المنون الى شرب كاسها في مساقاته * واراد ان يكون مصطدم النامس *
خارج بلاده على ضواحي سيواس * فاجرى من عساكره السيول
الهامره * واخذ بهم على قفا رعامره * حتى وافى رعاياه * من مواطن
مطاياه * فانه كان على الضعيف من رعيته شفيقا * وبالفقير من حشمه
وخدمه رفيقا * يحكى انه كان في بعض مغازيه * فعطش بعض

حواشيه * فأتى في قرية بعض النساء * فطلب منها شربة ماء *
وكانت اشأم من البسوس * يضرب بها المثل في اللؤم والبوس * فقالت
ما عندي ما تشرب * فخل طريقك ولا تتعب * وكان العطش قد
غلبه * ورأى عندها في بعض القعبة شربة لبن فشربه * فقالت
هذا قوت الصبيان * واشتكت عليه لابن عثمان * فطلبه واستفسره *
فخاف شدة نقمته فأنكره * فقال للمرأة انا ابعج قبقبه * واتبين صدقه
وكذبه * فان ظهر في بطنه اللبن * اعطيتك الثمن * وان تبينت بالصدق
قوله * جعلتك مثلة مثله * فقالت والله انه شربه * وما فهمت
في حقه بكذبه * ولكني فرجت كربته * وابرأت ذمته * فقال
لابد من اجراء العدل * وانهاء هذه الحكومة بالفصل * ثم دعا بالسيف
ووسطه * واجرى على بطنه ما شرطه * فانشجر بطنه وهو منعفر *
وجرى اللبن وهو بدمه ممذقر * فاشهره في الوثاق * وناداى عليه
هذا جزاء من يتناول في دولة الملك العادل ابن عثمان شيأ بغير
استحقاق * ثم ان ابن عثمان تابع الترحال * وسلك في رمضان

السفر صوم الوصال *

ذكر ما فعله ذلك الساقط * مع ابن عثمان وعسكره من المغالطة *

ولما بلغ تيمورلان ابن عثمان اخذ على الطريق الغامرة * نبذة نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واخذ على الجادة العامرة * فدخل هو وعسكره على ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * ولسان حالهم الفصيح * ينشد في الآفاق ويصيح *

* شعر *

* ولست ابالي بعد ادراكي العلى * اكان ثراثا ما تناولت ام كسبا *

فلم يزالوا في مراح وزروع * ومراع وضروع * بين سدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وهواء بالراحة مصبوب * ونعيم بالسلامة محبوب * في امن ودعه * وخصب وسعه * آمنا من الوجل * سائرا على غير عجل * مستيقنا بالنصر والظفر * مستبشرا بالملك والوزر * مستتبعا تدبير القضاء والقدر * لا يبرد حرارة حميته لتسخين عين عدوه واحراز المغنم البارد فترة * ولا في اكليل كواكب عساكره المنتظمة نثرة * ولا بين اسود جيشه مكاسرة ولا نفرة * ولا في قراهم الاعادي اللهذميات على موائد طعام

طعانيهم جبن ولا كسرة * فلم يفق ابن عثمان من رقاده * الا وتيمور
قد مر على بلاده * فقامت عليه القيمه * واكل يديه حسرة وندامه *
وزأر زئرة * والتهب حنقا * وكاد ان يموت خنقا * وسلب القرار
والهجوع * وعزم في الحال على الرجوع * فتلاطمت من بحر
عساكره امواجه * وتصادمت اثباج اطوادها وابراجه * فرجع عودة
على بدئه * واغرق بوصال السير وحثه * فنهكهم السير بسرعته *
والمكان بقفرته * والزمان بهجيره * والسلطان بزئيره * فلم يدركوه
الا وقد ذاب كل منهم وصبا * وتلا لسان حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا

* فصل *

وكان تيمور قد وصل الى مدينة انقره * وخيله ورجله مستريحة
موقرة * للقتال منتظرة * وللنزال متشمرة * بل لم يكونوا به مكترثين *
ولا به مختلفين * وقد سبقوا كصناديد قريش الى الماء * وتركوا
عساكره كمسلمي بدر في جانب الظماء * فهلكوا كربا واواما *
وذابوا عطشا بلاما * وكأنه الى ذلك المنزل هو ارشدهم * وبلسان حاله

انشدهم *

شعر

* يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وانت رب المنزل *

والنقرة منه هي التي ذكرها الاسود بن يعفر في قصيدته الطنانة وهي

شعر

* نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من اطواد *

* فاذا النعيم وكلما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد *

*فلما تدانت الجيوش من الجيوش * وضريت الوحوش على الوحوش *

وامتلأت منهم الصحارى والقفار * وتقابلت اليسار باليمين واليمين

باليسار * انذعرت من عساكر ابن عثمان التتار * واتصلت بعسكر

تيمور كما رسم اولا واشار * وكانوا هم صلب العسكر * والاوفر من عساكر

ابني عثمان والاكثر * حتى قيل ان جماعة التتار * كانوا نحوا من ثلثي ذلك

العسكر الجرار * بل قيل ان ذلك الجمهور * كان نحوا من ثلثي جند

تيمور * وكان مع ابني عثمان * من اولاده اكبرهم امير سليمان *

فلما رأى ما فعلته التتار * علم انه حل بابيه البوار * فاخذ باقي

العسكر * وتهقهر عن ميدان المصاف وتاخر * وترك اباه في شدة

الباسا * وانخزل بمن معه الى جهة بوسا * فلم يبق مع ابن عثمان
الا المشاة ومن دانامهم * وبعض من الكماة وقليل ماهم * فثبت للمجادلة
بمن معه من الرفاق * وخاف ان فر ان يقع عليه الطلاق * وكأنه في
تلك المعركة والمعيرة * كان متمثلا بما قاله عنترة

* شعر *

* ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تسفك في دمي *
* فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم *
فصبر لحادث الدهر وما ازم * واراد ان يفيء على مذهب الامام مالك بما به
التزم * فاحاطت به اساورة الجنود * احاطة الاساور بالزند * وحين
تيقنت الاسرة العثمانية بالكسرة * وعلمت انها تورطت في جيش العسرة *
وثبت المشاة * على الكماة * واستعملت الاظفار * وكل صارم بتار *
وكانوا في ذلك المصاف * نحوا من خمسة آلاف * فتدد وا انذل ادهم *
وابادوا اعداهم * ولكن كانوا كما في الرمال بالكربال * او كالنمل
المحاربة بالغربال * او محررا وزان الجبال * بقرار يط المثقال * فانقطربا
على قليل * وتلك الاطواد وسقول ذوات تلك الاسود * من غمام القتام

صواعق الديم المدميات وامطار السهام السود * ونادى مخبر القدر * وصياد القضاء الكلاب على البقر * فلم يزالوا بين وقيذ وراقد * ومضروب بحكم سهم ماض في القضاء نافذ * حتى صاروا كالسوائم والقنافذ * واستمرت دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى الى العصر * وانتقلت احزاب الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة النصر * ثم لما كلت منهم السواعد * وقل المواصر والمساعد * وتحكم فيهم الابا عد والمباعد * دقوهم بالسيوف والرماح * وملأوا بدمائهم الغدران وبتلائهم البطاح * ووقع ابن عثمان في قنص * وصار مقيدا كالطير في القفص * وكانت هذه المعركة * على نحو ميل من مدينة انقرة * يوم الاربعاء سابع عشري من ذي الحجة * سنة اربع وثمانمائة حجة * وقد قتل غالب العسكر العطش والضمور * لانه كان ثامن عشري تموز *

* فصل *

ووصل امير سليمان * الى بروسا معقل ابن عثمان * فاحتاط على مانيها من الخزائن والاموال * والحريم والاولاد ونفائس الاثقال * واشتغل بنقل ذلك الى برادرنه * وراء البحر المحيط بكثير من الامكنة *

المنشعب من بحر مصر الاخذ بعد ما يتدربس * الى بلاد البلشت

والكرج الفاصل بينه وبين بحر القلزم جبل الجركس *

ذكر ما وقع من الخباط * بعد وقعة ابن عثمان في كل ثغر ورباط *

ولما حصل لرأس مملكة الروم منه الوعكه * وانتكثت اجسام

عسكرها الجسام اقوى دعكه * واخنى عليهم الجند المشوم * ونعق

في صباحها غراب البين ونعق في رواحها البوم * وتلا في محراب

انسها على جماعتها امام القضاء والقدر الم غلبت الروم * خضعت

رؤسها وفواصيها * وتزلزلت حصونها وصياصيها * وتزعزع دانيها

وقاصيها * وانبهر طائعها وعاصيها * فحاصوا حيصة الحمر * وايسوا

من الاهل والاوطان والمال والعمر * اذ قد ذهب منهم الراس *

ولم يبق فيهم من يقيم الباس * فلما سمعوا ان اميرسليمان ضم الناس

الى نجدة * وعزم على العبور الى برادرنة بقطع بحره * سالت بهم

الاودية والشعاب اليه * وعولوا في خلاصهم من ذلك البلاء الطام عليه *

فصالح اهل استنبول ووادهم * وعاهدهم على ان لا يغدر كل منهم بالآخر

وماذهم * ثم تصدهم ان يعينوه على الوصول * بقطع البحر من تغري

كاليبولي واستنبول * اذ ليس لهذين البحرين * من هذين البرين *
طريق قريب ومعبر سوى هذين الثغرين * فان بحرا سكندريه *
يأخذ على انطاكيه * وعلاية ثم يروم * بلاد الروم * فتحصره الجبال *
قبل وصوله بلاد الشمال * فلا يزال في حصره ضيق * وشقتا جانبيه
ترق * حتى تتراءى حافتاه * ويكاد تنطبق شفتاه * ومسيرة هذا
الانضمام * نحو من ثلاثة ايام * ثم يأخذ في المضيق الانبساط *
والجريان على وجه النشاط * ثم تدور كتائب امواجه وتكردس *
وتأخذ نحو بلاد الدشت والكرج حتى تصل كما ذكر الى بلاد
الجركس * وما امكن احد من سواحل الحكمة ومهندسي النواتية *
ان يعزز هذين المعبرين في مثل هذا الانضمام بثالث * فثغر كاليبولي
بيد ملاحي المسلمين * وثغر استنبول بيد النصارى اعداء الدين *
وهو اعظم الثغرين * واجسم المعبرين * وكانت النصارى ملاحيه *
فصار غالب الناس يقصده وينتجيه * فاستطارت الفرنج فرحا واستطالت *
وخاضت في دماء المسلمين وحريمهم واموالهم وجالت * فان ابن عثمان
كان بالجزائر قد انهكها * وابادة قراها وضواحيها واملاكها * وضيق

على أهلها في مجارف ارواحهم مسلكها * فبينما هم وقد بلغ السيل الربا *
وجاوز الحزام الطبا * وانشب كل شر فيهم حده * واذا بتيمور جاءهم
بالفرج بعد الشدة * فانتفع بهم بالضرورة ابن عثمان * وحصل لهم
بذلك الفرج والامان * وزاد ذلك بان احتاج المسلمون اليهم *
وتراموا في طلب الخلاص من العدو عليهم * فبعد ان زالت عنهم
الغصص * اغتنموا في درك الثارات من المسلمين الفرص * فجعلوا
يوسقون المراكب من الناس والحمول * ويتوجهون بذلك الى صوب
استنبول * وان استنبول وراء ذروة جبل * ومنحرفة خلف قلة من التل *
وهي من اكبر مدن الدنيا * حتى قيل انها قسطنطينية الكبرى *
فكانوا اذا عطفوا وراء تلك الذروة بالمراكب * واستتروا بالهضبة
النائية عن عين من هو في هذا الجانب * يصيرون كالاموات النازلين
الى الحفائر * الملقين في قعر اللحود والمقابر * لا يدرى الى اين
يتوجهون * والى اي نادٍ يصيرون * الى بر السلامة والاسلام *
ام الى دار الحرب وامر الكفرة الطغام * فيذهب منهم الذاهبون *
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون * فاذا جاءت المراكب

وهي نوادر * تعلق كل من هذه الخلائق بها بجهد كامل وجد بالغ *
ولم يدر ما اذا يجري عليه * والى ماذا يصير امره اليه * واشبهوا
في ابصارهم الكليلة وخطوبهم الطويلة * مالك الحزين والسمك
المذكورين في كتاب كليلة * وحاصل الامر انه لم يسلم * من ذلك
السواد الاعظم * في كل غراب ادهم * الا مثل الغراب الاعصم *
واستطالت اعداء الدين * كيف شاءت على المسلمين * وقطع
امير سليمان البحر * واستولى على ذلك البر * وضبط ممالكه * وربط
مسالكه * وهو اوسع من هذا الجانب وافسح مرجا * واكثر ريفا
واكثر خراجا وفرجا * واعظم حصونا وامكنه * وتحته مدينة ادرنه *
فاجتمع النائبان على امير سليمان * وسهل الامر في الجملة شيأ ما وهان *

ذكر اولاد ابن عثمان * وكيف شتتهم وابادهم الزمان *

وكان للسلطان بايزيد المذكور * من الاولاد المذكور * امير سليمان
هذا وهو اكبرهم * وعيسى ومصطفى ومحمد وموسى وهو اصغرهم *
وكل منهم طلب لنفسه مهربا * وانحاز اليه من ابيه طائفة نجبا * فكان
منهم محمد وموسى في قلعة اماسيه * وهي خرشتة الشامخة العاصيه *

التي قال فيها ابو الطيب * شعر *

حتى اقام على ارباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع *

للسبي ما نكحوا للاسر ما ولدوا * للنار ما زرعوا للنهب ما جمعوا *

وقلة قلعتها شاهقة * كأنها بقية الفلك عالقة * يعني النازل عنها في نزوله

منها * اكثر مما يعني الصاعد الى غيرها * يسميها اهلها بغداد

الروم * لان قرارها بنهر كبير من الوسط مقسوم * وبينها وبين

قونية مسيرة يوم للمجد * واما عيسى فانه لجأ الى بعض الحصون

واستكان * الى ان قتله اخوه امير سليمان * وموسى فيما بعد قتل

امير سليمان بعيسى * ثم ان محمدا قتل بعد الكل موسى * ونسخت الاحكام

المحمدية * شرائع الملة الموسوية والعيسوية * الى ان مات حتف انفه

في اوائل سنة اربع وعشرين وثمانمائة او مات بشيء دس اليه على يد

قوجقار في الهدايا الملكية المؤيدية * وانتقل الملك من يده * الى مراد

ولده * وهو في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة مستقل به *

واما مصطفى فانه قد قتل وقتل نحو من ثلاثين مصطفى بسببه *

* عودا الى ما كنا فيه * من امور تيمور ووروده الى

ثم ان تيمورلنك قبض على ابن عثمان * جرد الى برروسا طائفة من الجنود والاعوان * واضافهم الى شيخ نور الدين * ثم اتبعهم بوقار مكين وجائش مسكين * فوصل اليها * ونزل نزول القضاء المبرم عليها * وضبط ما وصلت اليه يده من جماعة ابن عثمان وحزمه * واموالها وخزائنه وحشمه وخدمه * واخلع على امراء التتار ورؤسهم * واستعطف خواطرهم بتطييب نفوسهم * ووزع امراءهم على امرائه * واضاف كل ظهير منهم الى رأس من رؤسائه * ووصاهم بهم وعليهم * وبالغ في ان يصلوا ما امكنهم من البر اليهم * ومشى على مشيه القديم * في استخلاص النفائس واقتناص النفوس وسبي الحريم * وجعل يحضر بن عثمان كل يوم بين يديه * ويلاطفه ويباسطه ويتزقق اليه ويسخر منه ويضحك عليه *

ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكاية * غدت يا وصافه القبيحة على مر الزمان حكاية *

ثم انه في بعض الايام جلس في مجلس عام * وخفض جناح النشاط للخاص والعام * وطوى بساط النهي والامر * ومد بساط الخير

والزمز * وحين غص بالناس المكان * استنّ على سريعا ابن عثمان *
فجاء وفؤاده يرجف * وهو في قيوده يزحف * فسكن قلبه * وازال
رعبه * ثم احسن جلوسه * وازال بالاهتشاش اليه عبوسه * ثم امر
بافلاك السرور فدارت * وبشمول من الراح ان تستر من مشرق اكراعه
السقاة الى مغرب الشفاه فسارت * وحين تقشعت عن شموس السقاة
سحاب الخدور * ودار في سماء العشرة نجوم فحتها من مراسمه
بروز وبدور * نظر ابن عثمان فاذا السقاة جواريه * وعامتهم حرمه
وسراريه * فاسودت الدنيا في عينه * واستحلى مرارة سكرات حينه *
وتصدع قلبه * وتضرم لبه * وتزايد كمده * وتفتت كبده * وتصاعدت
زفراته * وتضاعفت حسراته * وتلي جرحه واغل قرحه * وتبرعل جرح
مصابه من قصبات الاسى ملحه * وكانت هذه نكاية لابن عثمان بما اسلفه * في
مكاتباته بذكر النساء وحلفه * لانه سبق ابن ذكر الحرم عن الجنات
وقبائل الترك من اكبر الجرم * واعظم من الخيانة في الحرم *
وايضا مكافاة لما فعله ابن عثمان * مع حريم طهرتن في ارزنجان *
ومن تمام اساءته لابن عثمان * حسانه لاولاد ابن قرمان * وكان

فيقال ابن عثمان * قد استولى على ممالك قرمان * وقتل متوليها
السلطان علاء الدين بعد ان حاصره وقبض عليه * ونقل الى حبس
بروسا وحبس ولديه * فلم يزالا عنده في ضيق وضنك * حتى افرج
عنهما بالحبس عليه تمر لنك * فاخرجهما وخلع عليهما * وابر مهما
واحسن اليهما * وانزلهما وامهما وليس ذلك لحب
علي كرم الله وجهه ولكن لبغض معوية

قلت

* ولم يرفض معاوية محبا * عليا بل لان ربي يزيدا *

وقيل

* وليس لحبه تحنو عليه * ولكن بغض قوم آخرينا *

وقلت بل بها

* اصادق ضد اعدائي وان لم * يكن بيني وبينهم ولاء *
* وابغض من يعادي لي صديقا * وان اثنى علي بما اشاء *
* وذاك لينتكي ضدي وبيني * فتى قد سرني منه الاخاء *

والامين محمد هو الذي قبض عليه الامير ناصر الدين * محمد بن

دلفار امبراطور التراكمة المفسدين * وقتل ولده مصطفى في البلاد *
وجهزه الى الملك المؤيد مكبلا * وذلك في شهر رجب سنة احدى
وعشرين وثمانمائة

ذكر وفود اسفندياره عليه * ومقوله سامعا مطيعا بين يديه *
ثم ان الامير اسفنديار ابن بايزيد * وهو احد ملوك الروم وله
في السلطنة قصر مشيد * ورث الملك عن ابيه وكان مستقلا بالامرة *
وبينه وبين الملوك العثمانية عداوة موروثة ونفرة * وتحت حكمه
بعض مدن وقلاع * واوهل وبقاع * منها مدينة سينوب المقبة
لجزيرة العشاق * يضرب بظرافتها المثل في الآفاق * وهي في النحر
من البحر في جزيرة كبيرة * سبيل الداخل اليها عسيرة * بها جبل
احسن من ارداف الحور * متصل بمعبر ادق من رقيق الخصور *
وهي معقل اسفنديار وملاذه * وحرز خزائنه وملاذه * اعصى
من ابليس * واوثق من كف بخيل يخاف التفليس * ومنها
قسطمونية تخت ملكه * وبحر فلكه * ومنها سام سون وهي قلعة
على جانب البحر للمسلمين * مقابلتها نظيرتها للنصارى المجرمين *

بينهما دون رمية حجر * وكل منهما آخذة من الاخرى الحذر *
وغير ذلك من القلاع والقرى * والقصبات في الوهد والذرى *
ولما بلغه ما فعله تيمور الغدار * مع اولاد بن قرمان والتتار * ومع
قرايلوك وطهرتن حاكم ارزنجان * والامير يعقوب بن علي شاه
متولي كرمان * ومن توجه اليه من حكام منشا وصاروخان *
وانه لا يهيج من اطاعه * وتلبس لاوامره بالسمع والطاعه *
سارع الى المثول بين يديه * وتهيأ للوفود عليه * فاقبل بالتحف
العاليه * والنتف الغاليه * فقابله بالبشر * وعامله بالسرا *
واقره في مكانه نكاية لابن عثمان * ثم امره واولاد قرمان *
ومن اتسم له بميسم الطاعة والاذعان * من امراء تلك الاكناف
والاكنان * ان يخطبوا ويضربوا السكة باسم محمود خان *
والامير الكبير تيمور كوركان * فامتثلوا اوامره * وحفظوا زواجره *
وامنوا بذلك الغارة والمصادره * وتوفي اسفنديار الملك كور *
في شهور سنة ثلاث واربعين وثمانمائة وهو طاعن في السن وهو من اواخر
ملوك الذين وقد واعلى تيمور * واستولى بعده على ممالكه ولده ابراهيم بك وقع

بينه وبين اخيه قاسم بك مشاجرات وافتخار قاسم الى الملك مراد بن عثمان * ولله الامر من قبل ومن بعد *

* فصل *

ثم ان تيمورا خرج ما لابن عثمان وغيره من الذخائر * واستصفى لخزائنه ما كان ارتا وكسبا للملوك الارواح من النفائس والاخائر * وشتى في ولايات منشا * والقى لدروسها مباحث تضريقه كيف شا * وانتهى الى اقصاها * وحرر البحث في مسائل الخمس والمغانم فاستقصاها * وانبثت جنوده في آفاقها * وغاصت في بحار ممالكها من اثباج اطوادها الى قرار اعماقها * فمن فارع الى جبال جبابها وقميم صياصيها * ومن متعلق باذان مرامتها ومتسلق باذيال نواصيها * ومن راكب اكتاف اكنافها نازل في سواحلها * دانس بارجل شعبه خدود روضها الانف جانس بكاهل مناهلها * ومن دامغ دماغها بالهداب رماحه لاجل العين * بالغ من غير حاجب له منها ما رام بالليد والذين * ومن حال على نهد صدرها * تال رؤسها وجوهها للجبين على ظهرها * ومن مادانا ملة تعد به من غير كف الى معاصمها ومرافقها *

كادِيًا قَدَامَ المفسادِ في بُطُونِ مَغَارِبِها وَافْخَاذِ مَشَارِقِها * فَجَزُّوا الرُّؤُسَ
وَحَزُّوا الرِّقَابَ وَفَتُّوا الاعْضَادَ * وَبَتُّوا الأَكْتَادَ وَحَرَّقُوا الأَكْبَادَ *
وَشَوَّهُوا الوجُوهَ وَاسَالُوا العُيُونَ * وَاشْخَصُوا الأَبْصَارَ بَطُّوا البُطُونَ *
وَاخْرَسُوا الأَلْسِنَهَ * وَصَكُّوا المَسَامِعَ * وَارْغَمُوا الأُنُوفَ * وَاذَلُّوا
العَرَانِينَ * وَهَشَمُوا الثُّغُورَ * وَحَطَمُوا الصُّدُورَ * وَقَصَمُوا الظُّهُورَ *
وَدَقُّوا الفِقَرَ * وَشَقُّوا السُّرَرَ * وَاذَابُوا القُلُوبَ * وَفَطَرُوا المَرَائِرَ * وَارَاقُوا
المَاءَ * وَاسْتَحَلُّوا الفُرُوجَ * وَاحَرُّوا الانفَاسَ * وَابَادُوا النُّفُوسَ *
وَسَبَكُوا الأَشْبَاحَ * وَسَلَبُوا الأَرْوَاحَ * وَلَمْ يَخْلُصْ مِنْ شَرِّهِمْ مِنْ رَعَايَا
الرُّومِ إِلَّا لُثْلُثٌ وَلَا الرُّبُعُ * وَصَارَتْ جَمَاعَاتُهُمْ فِيهِمْ مَا بَيْنَ مُخْنَقَةٍ
وَمَوْقُوذَةٍ وَمُتَرَدِّيَةٍ وَنَطِيحَةٍ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ *

ذِكْرُ فَتْحِ قَلْعَةِ ازْمِيرَ وَصِفَتِهَا * وَنُبْذَةٍ مِنْ عَجِيبِ وَضْعِهَا وَوَصْفِهَا *

وَهَا صَرَّ قَلْعَةَ ازْمِيرَ * وَهِيَ حِصْنٌ فِي وَسَطِ البَحْرِ مَنَالُهُ عَسِيرٌ * بِهَمْزَةٍ
مَكْسُورَةٍ وَزَايٍ مُعْجَمَةٍ وَمِيمٍ مَكْسُورَةٍ وَيَاءٍ سَاكِنَةٍ وَرَاءٍ مُهْمَلَةٍ *
قَلْعَةٌ قَدْ قَلَعَتْ فِي البِحَارِ * وَاضْرَمَتْ فِي قَلْبِ خَاطِبِهَا بِتَمَنِّعِهَا وَعِصْيَانِهَا
النَّارَ * اعْصَى مِنْ قِلَاعِ الجِبَالِ * وَاقْصَى فِي المَنَالِ اَنْ تُنَالَ بِخَيْلٍ

ورجال * فاعدّ لها انواعاً من آلات المحاصرة * واخذها يوم الاربعاء
عاشر جمادى الاخرة * سنة خمس وثمانمائة * سادس كانون الاول
من السنين الرومية * فقتل كبارها * واسر نساءها وصغارها *
وبقي من ابدان القتلى جوامع وشيء من رؤسها منارها * ثم سلب
من القلعة غناءها وافقرها * واقوها من ذخائرها واقفرها * واخلاها
وقد استصفى منها ابيضها واصفرها * وطير بهذه الامور احنحة البشائر *
واطارها على رغمه في الآفاق باسعد فال واسرع طائر *

ذكر ما صنعه من امر مروم * وهو في بلاد الروم * من قصده بلاد الخطا *
واستخلاص ممالك الترك والجتا * وافتكاره وهو في الغرب مشغول *
في استصفائه سائر ولايات الشرق والمغول * وكيف عاند القضاء
المبرم * بتنازل الهب فؤاده واضرم * فصادمه الزمان وعكس غرضه *
وهذه كالجملة المعترضة *

ثم ان تيمور كان قد استغنى عن سمرقند سبطه * محمد سلطان
والامير سيف الدين وزمطه * كما ذكرنا ولا كان محمد سلطان هذا للفضلاء
ملاذا * وللعلماء معاذا * مخائل السعادة في غضون جبهته لائحه *

وبشائر النجابة من اساريره طلعته واضحة *

* شعر *

* في المهد ينطق عن نجابة جده * آثار السعادة لائح البرهان *

وسيف الدين منذ هو احد رفقاء تيمور في مبدأه * وأس اركان

دولته في منتهاه * وهذا الذل ان كانا بنيا اشارة * واسسا فيها قواعد

النهب والغارة * وهي في نحر بلاد المغول والجتا * واقصى حدود ما ينتهي

اليه حكم تيمور ومبدأ بلاد الخطا * وولّيا بها اميرا يدعى ارغون

شاه * وامدادا يطوايف من العساكر وفي ثغور المغول ارصاده * كل هذه

الامور * بامر تيمور * ولما شرعا في ذلك * لم يرض المغول بهذا

الفعل الحالك * لانهم كانوا يعلمون ان ذلك الامر * اذا جاورهم

لا بد انه في افساد يسعى * فلا يأمنون غائلته * ولا يطيقون

مجاورته * فتشوشت خواطرهم * وتكدرت ضمائرهم * فاستوفزوا

للفرار * واخلاء الديار * فزاد الجغتاي قبهم طمعا * ومد كل

من اشرار الطائفتين الى الاغوار يد التطاول ورجل الفساد وسعى *

وشرب كاسات التحوم فاكل ما حل بيده وما تزهد في تعففه ورعا *

وفرح الجغتاى بذلك * ووقعت العداوة بين الجانبين فشغل
على الآخر طرق المسالك * وجعلوا يرسلون اليهم السرايا * ويحلون
بما تصل يدهم اليه من متعلقاتهم البلايا * وجعل المغول ايضا يفعلون مع
الجغتاى ذلك * وتربصوا بتيمور ليتعدوه فنهم ريب المنون وتشبثوا
بعشوبات المهالك * واتصل الخبر بتيمور * فشرب لك اشد السرور *
ثم انهما حصنا ما بالاهبة الكاملة * والعدة الشاملة والرجال المقاتلة *
منهم طائفة من عساكر الهنود وملتان * وقوم من جند عراق العرب
واذربيجان * وفرقة من فوارس فارس وخراسان * وشرذمة من اناس
يدعى جانى قربان * واضافوا هؤلاء الكماة * مع تومان من ياساق
الجغتاي الى الامير ارغون شاه * ووصلا الى خجند * وقطعا سحون
وقد ما سمرقند * وولينا بها اميرا يدعى خواجه يوسف * فكان في قيد
الطاعة والاخلاص ليوسف * ثم خرجا من سمرقند قاصدين ذلك
الغشوم * ثم انهما جا تا جميعا سيف الدين في خراسان ومحمد سلطان
في بلاد الروم * فوقع تيمور في الاحزان * على جفيدة محمد سلطان *
وليس عسكره السواد * واقاموا شرائط الحداد * ولم يكن لهم حاجة

الى السواد المعلم * فانهم كانوا السواد الاعظم * ثم جهز عظامه في تابوت * الى سمرقند مع عظموت وجمروت * ورسم ان يلقاه اهل المدينة بالنوح والبكاء * ويقيموا عليه شرائط العزاء * وان لا يبقى احد من العباد * الا ويلبس من فرقه الى قدمه السواد * فخرج اهل سمرقند عند موافاته * وقد انغمسوا في السواد لملاقاته * وصار الشريف والوضيع والدني والرفيع بالسواد معلما * فكأنما اغشي وجه الكون قطعا من الليل مظلما * فدفنوه بمدرسته الحصينة المعروفة بالشايه * داخل المدينة وذلك في سنة خمس وثمانمايه * ولما اهلك الله تعالى جده * دفنوه كما سيأتي ذكر ذلك عنده *

ذكر حلول غضب ذلك الصياد * على الله داد * ونفيه اياه الى اقصى البلاد *

ولما توجه الثقل من مارذين صحبة الله داد * وفارقه تيمور متوجها الى استخلاص بغداد * وكان لله داد * له انداد * واكفاء وحساد * واعداء واضداد * والحسد في عنق صاحبه غل قمل * وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل * وجد اعداؤه للطعن فيه مجالا * وفي مقام ثلب عرضه مقالا * فانتهزوا فرصة غيبته * واكلوا بلا ملح

لحمه وتنقلوا بغنيمته * ورشوا به الى تيمور * وذكروا ما فعله في الشام
من الامور * وانه انمس من ذخائرها ما لا يحصى * واختلس لنفسه
من نفائسها وتعلق به من اعلاقها ما لا يستقصى * وكان كما قالوا *
وما اهملوا اكثر مما نالوا * فبلدوا امره * واوغروا عليه صدره *
لا سيما وقد قص جناحه بموت سيف الدين اخيه * وكان من الابهة
والمهابة بحيث ان تيمور كان يخافه ويرتجيه * وله في ممالك ما وراء
النهر مآثر مشهودة * ونتائج فكر باقية معهودة * فلما وصل الله داد الى
سمرقند * اعقبه تيمور رسولا من عنده * بان يتوجه الى اشبارة *
ويستعد هناك للنهب والغارة * وذلك كالنفي لآله داد * والقائه
في اقصى البلاد * وطرحه في نحر المخالفين وثغر وعدو العباد *
وانتقل منها الى سمرقند ارغون شاه * ولم يزل بها الله داد الى ان
انتقل تيمور الى لعنة الله * فجعلت المغول تجهز الى اشبارة الفيالقة *
وتنهب ما تصل اليه يدها من صامت وناطق * وتغتنم الفرصة لبعد
تيمور عنها * وكان الله داد يحترز اشد الاحتراز منها * وهو مع ذلك
يجهز لهم النجايد * ويحفر لهم بالمكر الا بار والاخاديد * ويقتل

ويأسر * ويطحن ويكسر * حتى اقواها بعد تيمور * وسياتي

ذكر هذه الامور *

نموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط * وما كان يصل اليه

غواص فكره النشيط *

ثم لما كان تيمور المشوم * مخيما ببلاد الروم * ابرد الى الله داد مراسله *

فيها امور مجملة ومفصلة * امره فيها منتظر لها * وارسال الجواب

بكيفية حالها * منها ان يبين له اوضاع تلك الممالك * ويوضح له

كيفية الطرق بها والمسالك * ويذكر كيفية مدنها وقراها * ووهدها

وذراها * وقلاعها وضياصيها * وادانيها واقاصيها * ومفاوزها

وانهارها * وصحاريها وقفارها * واعلامها وثمارها * ومياهها

وانهارها * وقبائلها وشعابها * ومضائق طرقها ورحابها * ومعالمها

وممالكها ومراحلها * ومنازلها خاليها وآهلها * بحيث يسلك في ذلك

طريق الاطناب المخل * ويتجنب مأخذ الايجاز وخصوصا المخل *

ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين * وكيفية السير بين كل مرحلتين *

من حيث تنتهي اليه طاقته * ويصل اليه علمه ودرايته * من جهة

الشرق وما يليه الخطار تلك الثغور * والى حيث ينتهي اليه من جهة
سمرقند علم تيمور * وليعلم ان مقام البلاغة في معاني هذا الجواب *
هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو وتطويل واطناب * وليسلك
في بيانه الطريق الاوضح من الدلاله * وليعدل عن الطريق الخفي في هذه
الرساله * الى ان يفوق في وصف الاطلال وحدود الرسوم *
وتعريف الدمن مضجعة الشيح والقيصوم * فامتثل الله داد ذلك
المثال * وصور له ذلك على احسن هيئة وآنق تمثال * وهو انه
اتخذ عجينة اطباق * من نقي الاوراق واحكمها بالالصاق *
وجعلها مربعة الاشكال * ووضع عليها ذلك المثال * وصور جميع
تلك الاماكن * وما فيها من متحرك وساكن * واوضح فيها كل
الامور * حتى ما رسم به تيمور * شرقا وغربا * بعدا وقربا * يمينا وشمالا *
مهادا وجبالا * طولا وعرضا * سماء وارضا * مرداء وشجراء *
غبراء وخضراء * منهلا منهلا * ومنزلا منزلا * وذكر اسم كل مكان
ورسمه * وتمييز طريقه ورسمه * بحيث انه بين له فضيله وعيبه *
وبارز الى عالم الشهادة غيبه * حتى كانه مشاهده * ودليله رائده *

وجهز ذلك اليه * حسبما اقترح عليه * كل ذلك وتيمور * في بلاد الروم يمور *

ذكر ما فعله ذلك المكار * عند تجهيزه امر الروم من الغدر بالتتار *

ولما صفا لتيمور شرب ممالك الروم من الكدر * وقضى الكون من افعاله العجب واهل الروم النكب وجيشه من الغارة الوطر * وامتلأ من المغانم وادي سيال العرم * وكان فتى الربيع قد ادرك وشيخ الشتاء قد هرم * واندرج الى رحمة الله المجيد * السلطان السعيد * الغازي الشهيد ايلدريم بايزيد * وكان معه مكبلا في قفص من حديد * وانما فعل ذلك تيمور * قصاصا كما فعله قيصر مع شابور * وكان قصد استصحابه الى ما وراء النهر * فتوفي في معسكره في بلاد الروم في آق شهر * وفي هذا المكان * توفي حفيده محمد سلطان * وعزم على الرحيل * وحزم احمال التحميل * ثم جمع روس التتار * وقد اضرم لهم النار والبوار * وقال قد آن ان اكافيكم بما صنعتم * واجازيكم بما فعلتم * ولكن قد اضر بنا المقام * وملنا الاقامة في مضايق الآلام * فلم نخرج الى الفضاء الفسيح * ونشرح صدورنا من ضيق الزمان والمكان في الخيام *

الفسيح * ضواحي سيواس * ومنتزه الناس ومتوى الاكياس * فهنالك
نضبط احوال هذا الاقليم الوريف * ونقرر كلا منكم فيه حسبما يقتضيه
رأينا الشريف * فانه لابد من تفصيل جمله * وامعان النظر في كيفية
تدبيره وعمله * وحصر مدخله وقلاعه * وضبط قراه وضياعه *
وحسبان توامينه واقطاعاته * والاحاطة بافراده وجماعاته *
فاذا فصل لنا ما اجمل * ووضح عندنا ما منه استشكل * فحصنا عن
رؤسكم وجماجمكم * وتوصلنا الى معرفة اخباركم وتراجيمكم * وجمعنا
رؤساءكم * وحصرنا زعماءكم * واحصينا اعدادكم * واستقصينا
آباءكم واجدادكم * واغمرنا اخوانكم واولادكم * ونظرنا متعلقيكم
واحفادكم * وتحققنا شعار الروم ودثارهم * واورثناكم ارضهم
وديارهم * ثم فرضنا هذه المسئلة على اعداد الرؤس * وقسمنا نفائس هذه
الاموال على النفوس * ثم رددناكم اليها مكرمين * وكفينا كم رعيا لكم
العيلة اذ كنتم علينا معولين * وعلى كل حال فانا نفعل مع كل منكم
ما يجب فعله * ونبقي عليكم من افعالنا ما يتخلل في بطون الدفاتر
والتواريخ نقله * فكل منهم ارتاح لهذا القول * وعول في هذه المسألة

ظن موافقة الرد ولم يعلم ما فيها من العول * فلما توافقوا على هذه الحركة بنفس ساكنة * لم يقع منهم في هذه الموافقة على كثرة عدد رؤسهم المتماثلة مباينة * فسار بالناس * حتى بلغ سمواس *

* فصـــــل *

ولما برق ركاب ركابه المتراكم في آفاق سمواس ورعد * وحان له أن يغير لطائفة التتار وما وعد * جلس جلسة عامه * وأقام من زبانيته البند طائفة طامه * ثم دعا من التتار الوجوه والرؤس * والظهور والضروس * ومن تخشى مضرته * وتتقى معرته * والمردة من شياطينهم * والعتاة من أساطينهم * فاستقبلهم بوجه طلق * ولسان بالحلاوة ذلق * وأجلسهم مكرمين في مكانهم * وزاد في تمكينهم وإمكانهم * ثم قال قد كشفت بلاد الروم ونواحيها * وتبينت جميع قراها وضواحيها * وقد أهلك الله عدوكم فاستخلفكم فيها * وأنا أيضا أفوض ذلك إليكم * وأذهب عنكم واستخلف الله عليكم * ولكن أولا دبا بزيد غيرتا ركيكم * ولا يرضون بأن يكونوا فيها مشاركيكم * وأما صلحهم فقد سلمت فعاملكم مع أبيهم طريقه * فلا مجاز لكم إلى شريعته على الحقيقه *

ولا شك انهم يرأبون صدعهم * ويندبون جمعهم * ويستوخمون
عليكم اهل المذر والوبز * ويلبسهم بالاجابة كل من يبلغه دعوتهم
لانكم في زعمهم آل غدر * فيلبسون لكم جلد النمر * ويصلونكم
الحمر بكل آمر وموتمر * فيقرضونكم من كل جانب * ويختطفونكم
من الاطراف والجوانب * لا سيما وبيدهم غالب الحصون والدساكر *
وتحت اوامرهم من بقي من طوائف الجنود والعساكر * فان كنتم
كما انتم في الناس فوضى * فانهم يخوضون في دمائكم خوضا * فعوا
واسمعوا * ان كنتم لم تعقلوا ولم تسمعوا *

* شعر *

* لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا *
واما انا فلست منكم بدان * ولا لي في المدافعة عنكم يد ان *
فلا بد لعقد امركم من نظام * ولصلوة جماعتكم من شرائط واركان
يجب القيام بها اولا والسلام * واول شرائط ذلك امام * يرجع الى
الاقتداء بافعاله الخواص والعوام * ثم بعد ذلك ترتيب الجماعة *
وتنزيل كل واحد في صف السمع والطاعة * ثم وضع الاشياء في محالها *

وزمامُ المناصبِ والوظائفِ في يدِ أهلِها * وإيصالُ كلِّ مستحقٍّ الى
استحقاقِه * وجمعُ الرأيِ على امرٍ واحدٍ باتفاقِه * فاذا اتفقتْ آراؤكم
وائتلفتْ أهواؤكم * وعظمتْ أبناؤكم كبتَ أعداؤكم * وكنتم
يداً واحدةً على من ناواكم * وانتصرتم على من خالفكم وعاداكم *
فكان ذلك أحرى بأن لا تمتدَّ اليكم بمكروهٍ يدٌ * ولا ينالكم من مخالفيكم
كيدٌ ولا كدٌّ * ومنذ اتسايتم بالنظرِ في أحوالكم * والتفحُّصِ عن أمرِ
خيلكم ورجالكم * وضبطِ الأهبةِ والسلاحِ * فإنَّ ذلك آلةُ الظفرِ
والفلاحِ * فليذكرْ كلُّ منكم ولدَه وأهلَه * وليُحضرْ خيلَه ورجلَه * وليأتِ
بعُدَدِه وعَدَدِه * وجُنَدِه وولَدِه * وليعرضْ ضرورتَه إن كانتْ *
ولا يستصعبنَّ فقرٌ فاقتْ * فمن كان محتاجاً الى اكمالِ شيءٍ اكملناه *
ومن كان معتازاً الى ايصالِ شيءٍ اوصلناه * واضفناه الى كلِّ ما تجبُ اضافتُه *
فيحصلُ امنُه وتذهبُ مخافتُه * فاعرضوا اولَ شيءٍ علينا سلاحَكم * حتى نكملَه
ونعملَ صلاحَكم * فاحضرَ كلٌّ منهم اهبتَه * وعرضَ عليه عدتَه *
وطرحوه في ذلك الجمعِ العظيمِ * فتراكم فكان كالطودِ العظيمِ * كما فعلَ
أولُ الزمانِ * باهلِ مدينةِ سجستانَ * فلما سلبَ تلك الاسودَ

بدر اثنهم وانيابهم بهذه الاساليب * وخلب آرائك الكواسر الجوارح
على مناقيرهم والمخاليب * واولج ضارم فكره الذكر في احشاء عقولهم
وانزل * وصار سماك سماء عزهم الرامح وقد نحرة سعد الذابح اعزل *
امر كل من عنده احد من التتار * ان يقبض عليه ويوثقه بقيد
الاسار * ثم امر برفع تلك الاسلحة الى الزردخانه * وقد اشعل قبائل
التتار بجمر المواد واصعد الى العموق دخانه * نفث ذلك من اعضادهم *
وبث من اكبادهم * وقصم ظهورهم * واشعل نارهم واطفأ نورهم *
ثم تلا في خواطرهم بالمواعيد الكاذبه * واستعطف قلوبهم بالامانى
الخائبه * واستصحبهم بالاقوال المموهه * والافعال المشوهه *
وحال بهم الحال * وامر في الحال بالمسير والترحال * قيل ان
السلطان بايزيد * قال لذلك العبيد * انى قد وقعت في مخاليبك *
واعلم انى غير ناج من معاطبك * وانك غير مقيم * في هذا الاقليم *
ولي اليك ثلاث نصائح * هن بخير الدارين لوائح * اولاهن لا تقتل
رجال الارمام * فانهم رداء الاسلام * وانت اولى بنصرة الدين *
لانك تزعم انك من المسلمين * وقد وليت اليوم امر الناس * وصرت

لبدن الكون بمنزلة الرأس * فان حصل لوفق ايقاظهم من نومة الهوى
يدك بسط وتكسير * تكن فتنة في الارض وفساد كبير * ثانيها
لا تترك التتار * بهذه الديار * فانهم مواد الفسق والفساد فلا تهمل
امرهم * ولا تأمن مكرهم فخيرهم لا يعدل شرهم * ولا تدع ارضا
الروم منهم ديارا * فانك ان تذرهم يملأوها من قبائلهم نارا *
ويجروا من دموع رعاياها ودمائهم بحارا * وهم على المسلمين
وبلادهم اضر من النصارى * وانت حين فخذلتهم عني زعمت انهم
اولاد اخوتك * وبنو اعمك واذ واقربائك * والاولى بحمايتك
وناسك ان تتبعك * ويكل من اولاد اخيك ان يقول لك عم خذلتني معك *
فلا عمل افكارك المصيبة في اخراجهم * واذا اذ خلتهم فخلهم فلا تطمعهم
في اقراجهم * ثالثتهن لا تمكنهم من التجارة الى قلاعنا المسلمين
وحصونهم * ولا تجلبهم من مواطن حركتهم وسكونهم * فانها معاقل
الدين * وملجأ الغزاة والمجاهدين * وهذه امانة حملتكها * وولاية قد تكلت
فتقبلها منه باحسن قبول * وحمل هذه الامانات ذلك الانسان الظلوم
الجهول * واستكثر ما طى عقل ابن عثمان * ورفي بها بقدر الطاقة والامكان *

ذكر ارتفاع ذلك الغمام * بصواعق بلائه عن ممالك الارزام

وسار فثار غبار * اخذ عين الشمس منه الانبهار * وفار بحار التتار *

فكأن البحر امده الله بسبعة بحار * فما لا يدخل قرية الا انسفها *

ولا ينزل على مدينة الا محاها وبددها * ولا يمر على مكان الا دمره *

ولا ينجذب عن ربقة طاعته جيد الا كسره * ولا يمتنع عليه شراخ

حصن شامخ الا صرعه * فخلع على عثمان قرا يلوك حين وصل

الى ارزنجان * وقرر في ولاياته وزادة بعض معان ومغان *

ووصاه بشمس الدين الذي ولاه قلعة كماخ * وان يكون

كل منهما للاخر قوة وطماخ *

ذكر انصباب ذلك العذاب ماء ونارا * على ممالك الكرج وبلاد النصارى

فلم يزل يلتج ذلك البحر اللج * حتى ارسى على بلاد الكرج * وهم قوم

يعبدون المسيح * ملكهم غير فسيح * واكثره مضون * بواسطة قلاع

وحصون * ومغائر وكهوف * وجبال وجروف * وتلال وحروف *

وكل من ذلك اعصى في المنال * من نفس كريم سيم شيم الانذال *

ومن مذهبهم تفليس * وكان اخذ ماذلك الابليس * وطرابزون وآب خاص *

وهي التخت بالاختصاص * فتمنعت منذ الأماكن عليه * ولم تسلم
قيادها اليه * فاقام بحاصرها * وتعذيبا قرها وتبا قوفا * فمن ذلك
مغارة بابها في وسط جرف شامق * آمنة من البوائق عالية من الطوارق *
وسقفها آمن من صواعق الحبائق * وذيلها ارفع من ان يتشبث به
علائق المسالق * مدخلها اخفى من ليلة القدر * وعدم التوصل
اليها اجلى من القمر ليلة البدر * فاولع بحاصرتها * والتزم
بمضاجرتها * واستعمل من فكره مهندسه * وجعل لا يقر من الافكار
والوسوسة * ثم انتجر آيه المتين * وفكره الرصين * ان يرسل
عليها عذابا من فوقها * وان يصطاد تلك السحابة الصاعدة في الجو
بارجلها من طوقها * فامر ان يصنعوا له توابيت على هيئة الدبابات *
كأنهن شياطين النساء للرجل غلابات * واوثقهن بالسلاسل
الحكيمة * وارسلهن بالرجال ذوي الشكيمة * وادلاهن من تلك
التلال * واهوامن من شواهق الجبال * فتدلين في الهواء * تدلية
مبرم القضاء * فملأن النفانف * وارجفن من الجبال والرجال
الروانف * وصار لهمان حال تلك الصقور والشواهين ينادي كل

من رآه * الم تر الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله *
فحينئذ وازوا باب تلك المغارة * كبتهم بالنبال السحارة * وكفوهم
بالمكاحل الطيارة * وهارشوهم بانواع الاسلحة * وناوشوهم بالارماق
والكلاليب المقلظة * فلا زالت الجوارح في الهواء صافات ويقبضن *
ويقبلن الى ذلك الوكر جاثمات عليه ولا يعرضن * ينقرن اسرة اهله
بمناقير المناقيب * وينشبن فيهم مخاليب الكلاليب * وبكر الناشزة
تمانعهم على الولوج * وتستعين في مدافعتهم بمن فيها من العلوج *
فلم ينشب اجل من اولئك الجوارح * ان انشب في الباب كلوبه
الجارح * ثم استقصد الفتح واستنهض الظفر * واعتمل على الله
ومن دونه الى الوكر طفر * فاحتضنه ساعد المساعدة * واكتنفه
عضل المعاضدة * وقبض على رسغه كف السلامة * فنكصت النصارى
على عقبيها امامه * ولم يزل وحده مبيدهم * حتى قتل ارباشهم
وصناديدهم * ثم ادخل رفقته فيها * واخرجوا ما كان في مغانيها *
واسم هذا الرجل لهراسب ستة احرف ليس فيها غير متحركين اللام
مضمومة * والهاء * والراء مفتوحة * والالف والسين والباء * واجتماع

18338

ثلاث سواكن في الفارسي كثير * وفي التركي ايضا موجود ولكنه
عزيز غير عزيز * ومن جملة هذه القلاع قلعة شامخة * حروف ذواتها
كثيرة اسمها بنياتها ناطقة * لا يعمل في فتحها الا ارتفاعها لعل
وليت * لان اسمها كما زعموا كل كوركيت * ان تعال انظر ارجع *
يعني انه لا ينال الواقف عليها * سوى النظر اليها * ثلاثة اطرافها
مبنية على قلل الآكام * شمخت على ما حواليها من الهضاب فهي على الاعلام
اعلام * وطريقها من الوجه الرابع وهو ضيق في سلوكه عسر *
ينتهي بعد انواع المشقة الى جرف مقطوع بينه وبين باب ذلك الحصن
جسر * اذا ارتفع ذلك الجسر سدت ذوات الوصول الى الحصن
السبيل * واما ذكر من لاذ بقلته من بنيه فحسبي ان يقال له معاذ بن
جبل * فلما اطلع على حقيقة امرها * وانكشف له مستور خبرها *
ابى ان يرحل عنها * الا ان يصل الى غرضه منها * ولم يكن بالقرب
منها مكان ينزل فيه * ولا بر يحمل ذلك البحر الطاغي وتحويه *
بل انما كان حواليها جروف وهضاب * غضون جبينها كانها وجه
عوهاء ناشز عن زوج محب عقاب في عقاب * تطمع منها في غير مطمع *

ونصب سرادقه بحيث كان منها بمرأى ومسمع * وصار من غساكره
الاسود الحوادر * يتناوبون حصارنا ما بين وارد وصادر * وهم يرفعون
التجسر بالنهار * فيأمنون مكائد القتال والهصار * لانه قد تقدم انه
لم يكن حواليها مكان للقتال * ولا مفحص قطاة يمكن منه النضال *
فكانوا يزحفون بالنهار على بعد بسهام الاحداق * ويرضون منها بنظرة
من بعيد كقانع العشاق * فاذا جنهم الليل * شمروا الى جهة مخيمهم
الذليل * لانهم لم يمكنهم حواليها مبيت ولا مقيل * فتضع النصارى الجسر
ويرومون الذي جاءتهم السبيل * فلما لاح له منها ما زالت
الحرمان * وبان له ان اهل ظنه من فتحها قد خان *
كما قلت *
* واعظم شيء في الوجود تمنعا * نتاج مرام من عقيم زمان *
صمم العزيمة على الرحيل * ولكن خاف العار وطلب لهذه المعضلة
الدليل والتعليل *

ذكر سبب اخذ هذا الحصن المنيع وبيان

معاني ما جرى في ذلك من صنع بديع *

وكان في عسكره شابان نديدان * اسدان حديدان * يتشابهان في الخلق والخلق * لم يكن بينهما في الرجولية والشجاعة كثير فرق * يتسابقان في كل وقت في ميدان المناقب لاحراز قصب السبق * فكانا كفتي ميزان * وفي مضمارها فرسي رهان * فاتفق ان احدهما صادف علجا من الكرج * في الجرأة كالاسد وفي البنية كالبرج * فنازله ثم قتله * وقطع رأسه والى تيمور رحله * فعظم شأنه * وأعلى على الاقران مكانه * فاتر ذلك في نديده * فكأنه قطع حبل وريده * ثم افتكر في شيء يصنعه * يضع من نديده ويرفعه * وكان اسمه بيرمحمد ولقبه قنبر * فلم ير اكبر من مواقبة ذلك الجسر ولا اشهر * فاعتمد على الله سبحانه وحده * واستكمل ماله من اهبة وعده * ورصد نجمه في بعض الليالي * ولطا في مكان خالي * ولا زال يترقب النجوم * ويترصد عليهم طوالع الانقضاض والهجوم * ويشير تلك الفتن بيديه ويذرع * ويمشي تارة على بطنه واخرى على اربع * الى ان طرح الضوء نقابه * وسلخ الجواء ثيابه * ورجع النصارى الى كسرهم * وتعاونوا على رفع جسرهم * ظفر بيرمحمد الى الجسر يقطع حباله * وتابع عليهم

من حنيته نباله * ولم يمكنهم من رميه * ولا غير موضوعه عن وضعه *
فتراكموا عليه بالنبال والاحجار * وارسلوا عليه من ذلك السماء
الدرار * ولا يرد عما هو بصدده ولا يلتفت الى حينه * ويتلقى
ما يضد رمن مراسيم نباله واحجاره بالقبول على رأسه وعينه *
ولم يزل على المكافحة والمناضحة * والمكاشحة والمكالحة * حتى تعالى
النهار * وعض الكون من فعاله انملة التعجب واخذ عين المكان
الانبهار * وكان المحاصرون لها كفوا عن القتال وتيقنوا قد عزم
كما ذكر على الترحال * وكان سرادقه منصوبا بمكان عال * فناداه
لسان الفتح * وخاطبه منادي النجح

* شعر *

* لا تيأسن من مطلب * قطع الورى اسبابه *
* ان اغلقوا ابوابهم * فالله يفتح بابه *

فتراءى على باب القلعة من بعد كأن ناسا يتواثبون * واشباح طائفة
يتكالبون ويتضاربون * فقال لقبيله اي اولى النجدة والعون *
اني ارى مالا ترون * فانعموا معي النظر * ثم اسرعوا نحو المعتكر *

وأتوني بحقيقة الخبر * فاندفعوا يستشرفون لذلك خبرا * ويستكشفون
لسرائره سترا * وهم ما بين عادٍ من النمر اعدى * وجارٍ من الاسد اجرى *
وكل منهم في عدده وعداده تأبط شرا * ولم يزالوا يتجارون على ذلك
ارسالا وتترى * كأنهم الشياطين نهاضٌ ووثابٌ وعداءٌ وهلم جرا * حتى
ادركت مقدمتهم بير محمد * وهو في غمرات الموت بناره يتوقد *
وقد صار لسهامهم غرضا * وكاد جوهره ان يصير عرضا * فلما رآهم
من بعيد عاش * وحصل له الانتعاش * وزال عنه الارتعاش * وتلاحقت
به الصناديد * فكفت عنه تلك الانفسال الرعاديد * وحين عجزوا
عن رفع الجسر وولوا الاعقاب * عزموا ان يدخلوا الحصن ويوصدوا
الباب * فاختلط بير محمد معهم * ودخل الحصن ومن ايصاده منعهم *
فدقوه بالسيوف * ورضوه باحجار الحتوف * وهو يأبى الا المدافعة *
ويجتهد في مراجعة الممانعة * لا يشعر بما يناله من رض الحجر وجراح
الحديد * كأنه مثالة عراة الفناء في الغناء في التوحيد * الى ان غشيتهم
تلك الليوث * واندفقت عليهم بصواعق الغضب من سماء النجدة
سيول الغيوث * فتشبثت اسود المنايا بنلا بيبهم * وخلصوا بير محمد

من مخاليبهم * ثم قبضوا على النصارى * واخرجوا مالهم فيا وحريمهم
سبايا واولادهم اسارى * وحملوا الى تيمور بيرمحمد * واخبروه بما قصده
في ذلك وتعمده * وتفقدوا ما به من جراح تدمي * فاذا هي ثمانية
عشر جرحا كل منها يصمي * فشكر له فعله * ووعده مواعيد جزله *
واحله المحل العزيز * وجهزه الى تبريز * وامر بعد الوصية به الامراء
من النواب والروساء * ان يجمعوا عليه كل نطاسي من الاطباء
وضربت من الاساء * بحيث ان يبذلوا في معالجته جهدهم * ويستوعبوا
في اساة كدهم * ويستوفوا في المعالجة قسمي العلم والعمل *
فامتثلوا مراسيمه وعالجوه بما امكنهم وازاحوا العلل * فاندملت
جروحه * وبرئت احسن مما كانت قروحه * فلما نصل * والى
تيمور وصل * جعله احد قواده * ورئيس طائفة من اجناده *
وقلده على كثيرين بعد ان كان خلف * وصيره امير مائة مقدم الف

* تتمة ما جرى للكرج * مع تيمور شيخ العرج *

وهذه القلعة والمغارة كانتا عيني قلاع الكرج * وناري اعلامهم والبواقي
سرج * فحين قلعت من وجوههم عيناهم * تيقنوا ان قد نزل بهم عناهم *

واحاطبهم عزائمهم * فانحلت قواهم وانخرمت عزائمهم * وقعدت بهم الحيلة وقامت عليهم القيامة * وتجهمت بهم الى جهنم الزبانية واسلمتهم السلامة * وتفاءل تيمور بحصول الفلج * وانثنى عزمه الى استخلاص ممالك الكرج * وانبثت شياطينه فيها فهزتهم هزا * وقدت ثوب حيوتهم قدا وجزتهم جزا * وخاطت لهم اكفان المنايا بالسلاح فاوسعتهم شلا ولفا ودرزا * وتلا عليهم لسان الانتقام الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا *

ذكر طلب الكرج الامان * واستشفاعهم الى ذلك الجان * بجارهم الشيخ ابراهيم حاكم شروان *

فاستدركوا تقصيرهم * واستنهضوا تدبيرهم * ورقعوا خرقهم قبل الاتساع * ووصلوا حبل حيوتهم قبل الانقطاع * واستغاثوا الامان الامان * واستعانوا في خلاصهم بالشيخ ابراهيم حاكم شروان * والقوا الي ايادي تدبيره الزمام * ورضوا ان يكون لجماعتهم وان كان على غير ملتهم الامام * وجعلوه خطيب ذلك الخطب * واستحلوا ما تمولهم سعايته من يابس ورطب * وكان اذ ذاك جيوش المصيف

كجمع الكرج قد ولت * وجنود الخريف والشتاء كجيش تيمور قد
اظلت * وسلطان الاجرد * قد صقل فرند المياه وجرد * ورفع من
الاغصان الاعلام السلطانية * ونصب على تلك الجبال الصيوانات
البلارية * والبس متن الغدير من نسج نسيم الاصيل الدروع
الداودية * فكان ما في الكون من جوامد ونوام * من جملة عساكر
تيمور حام له او محام *

* قلت * شعر

* واذا اراد الله نصرة عبده * كانت له اعدأوه انصارا *
* واذا اراد خلاصه من هلكة * اجرى له من نارها الانهارا *
* فترى العقول تقاصرت عن كنهه * وترى له في شوكه ازهارا *

فدخل الشيخ ابراهيم عليه * وقبل الارض بين يديه * وحياه بتحية
الاكاسرة من الملوك * ووقف في مقام اصغر مملوك * ثم استاذن
في الخطاب * واستلطف في رد الجواب * فاذن له فقال ان عموم
شفقة مولانا الامير * وحسن حنوه على المسكين والفقير * وشمول
عاطفته الكريمة ورحمته المنيفة * حملت عبد المملوك على عرض ما عن له

على الآراء الشريفة * وهو انه بحمد الله المرام حاصل * والمراد على وفق
الاختيار متواصل * وهيبة مولانا الامير في الشرق والغرب *
اغنته عن الاستعداد للضرب والحرب * ثم ان العساكر المنصورة
اكثر من ان تحصى * وفيهم من الاسرى والمرتق الحال ما فات
من الاحصا * خصوصاً جماعات التتار * الذين ولى سعدهم الادبار *
واحلوا قومهم دار البوار * قد اضربهم البرد * وترددت نفوس حظهم
بين العكس والطرد * فان استمرت الامور * على هذا الدستور *
رق الجليل وهلك الرقيق * ودق العظيم وانطحن الدقيق * وهذه
البلاد بل وسائر الاقاليم * محال الا بامرك ان تستقيم * وان
رؤساءها من الغجرة والفقه * علموا ما لمولانا الامير على مملوكه
من الحنو والشفقه * فتراموا لعلة المجاورة على المملوك * ورجوا
من الصدقات الشريفة ما يرجوه من الغني الكريم المحتاج المعلوك *
ومهما برزت به المراسيم المطاعه * تلقاه بالقبول كل من المملوك
وهؤلاء الجماعه * وقابلوا الاوامر الشريفة بالسمع والطاعه * وان كان
المقصود جمع مال * فالمملوك يقوم به على كل حال * وانى للمملوك

مالٌ الّا من صَدَقاتِ مولانا الأمير * وما قصدَ المملوكُ بذلك الّا رفعَ
الكُلفةِ عن الجانبَيْن وتيسيرَ الأمرِ العسيرِ * ورعايةً لحقِّ الجوارِ *
عملاً بقولِه صلّى اللهُ عليه وسلّمَ مازالَ جبريلُ يوصيني بالجارِ *
والرّأيُ الشريفُ أعلى * وأحرى ان لا تخيبَ رجاءَ المملوكِ وأولى *
فأجابَهُ الى سؤالِه * وطلبَ منه مالاً عريضاً سواءٌ كان من مالِهم
او من مالِه * فقال الشيخُ ابراهيم * أنا بهِ زعيمٌ * وأبلغَ ذلك الى خزانتِه
أتمَّ إبلاغٍ * ثم رحلَ وأكملَ شتويتَه في قراباغ *

وذلك في سنةِ ستٍّ وثمانمائةٍ *

ذكرتني عنانه * الى اوطانه * وقصدهُ بلادَه * بعد استكمالِه فسادَه *
ولمّا زيّنتْ ماشطةُ الكونِ عروسَ المكانِ * وأقامَ مزيّنُ الجماداتِ
قوامَ الزّمانِ * وتهيّجتِ القوى النّاميهِ * وتبرّجتْ مخدّراتُ الذّرى
السّاميهِ * وشبّتِ الجمراتُ * ودبّتِ الحشراتُ * تحرّكَ للرّحيلِ ذلك
الأنعى * ونفثَ على هوامِّ أمواتِ الزّمهريرِ من أحياءِ عساكرِه فاذا هي
حيّةٌ تسعى * فدقّ الكوسُ * فجاوبَ صداهُ الرّعدُ القاصفُ ولمعتْ
مرايا اللّبوسِ * فانعكسَ منها إيماضُ البرقِ الخاطفِ وعرضَ قبولِه

فى التروس * فاحاط بالاطواد قوس تزرح * وسير خيوله فى اللبوس
تجالت كاثيب الكثبان بشوف الورد والريحان خائفة فى ذلك البر
المبتزح * وعارت الجمال * فمرت الجبال مر السحاب * وسارت الرعال *
قصد العنان من النقع الضباب * وشرصت الذرابيل * فاذا رطب
الاغصان متمايل * وهزهزت القواصل * فانساب فى القصيل موقف
الجداول * ونضنضت السنة الخناجر والنيازك فبرزت عذبات
العذبات * ونشرت اعلام الكتائب فانبثت اشاهير الازاهير
على عقبات العقبات * وعلى الجملة فان الربيع حاكى ببروقه بوارقه *
وبرغوده صواعقه * وبخمائله وروابيه زرابيه ونمارقه * وبركامه قتامه *
وبشقائقه اعلامه * وباشجاره المزهرة خيامه * وباغصانه رماحه *
وبعواصف امره وفيه رياحه * بكتائبه السود كتبه الخضر *
وبازهاره الزرق مزاركه الزهر * وبسيوله الجحافة مسير جحافله *
وباضطراب بحر فيالقه تموج خمائله عنه هبوب اصائله * واستمر
بين ذلك العرار والرند * قافلا بالبال الفارغ الى همرقند * فسار
والسرور نديمه * والحبور حزيمه * والاشر معاقره * والنشاط معامره *

وبين التفريط والافراط موارده ومصادره * حتى قطع ولايات
اذربيجان * وحل ركابه بممالك خراسان * وفي خدمته ملوك
الاقاليم وارباب التيجان *

ذكر نهوض ملوك الاطراف لاستقباله * ووفودها عليه
مهنية له بحسن مآله *

ولما تسامعت اقطار البلدان * انه قفل قاصدا الاوطان * اقبلت اليه
الملوك من اطرافها * والمزايبة من اكنافها * وسارع الى استقباله
المدايرة والجحاجيح * وتبادر من وراء النهر وغيرها السراة
والمراجيح * وتطاير اليه من الاقاليم اساطينها * ومن الولايات
والثغور ملوكها وسلاطينها * ومن كان مرابطا في ثغر * ومواظبا
على اكيد امر * ارسل نائبه اوقاصده * او حاجبه اورائده *
يتباشرون بقدومه واقدامه * ويهنئونه بما فتح عليه من هنده وعراقه
وروميه وكرجه وشاميه * ويقدمون التقادم والحمولات * ويهبون
الضيافات والاقامات * ثم ارد فهم السادات والعلماء والمشائخ والكبراء *
والرؤساء الموابذة والموابذة الرؤساء * فجعل يسمت لكل واحد منهم سمتا *

وبأمره فيخضع بالسمع والطاعة اجلالا وصمتا * ويمهد له فيأولاه
قواعد ومبانيه فلا ترى فيها عوجا ولا امتا * ثم جهز كلا منهم بما اقتضاه
رأيه واجازه * ووصل الى جيحون وقد اعدت له السفن والمراكب
فجازه * فخرج اهل المدينة للاستقبال * وكل منهم منشرح البال
ملتئم الحال * فدخل سمرقند اوائل سنة سبع وثمانمائة * ومعه
من طوائف الامم الاثنان والسبعون فرقة واكثرهم قد زينة ومرجته *
ثم اذن لمن اختاره من العساكر فتفرقت * ولطوائف جنده
ما وراء النهر فتمزقت *

ذكر توزيعه التتار رسالا * شرقا وغربا يمينا وشمالا *

فلما استقرت به الدار * اخذ في توزيع التتار * فكانوا ذوي
عدة وعدد * ونجدة وشدة * فجعل سلبهم عدتهم * كمر
شوكتهم وشدتهم * ولكن ابقى الله عدتهم * فخاف لذلك
نجدتهم * نشتت جمعهم * واقوى من اجتماعهم ربعهم * فبثهم
في فياف وبطاح * وزعهم في قفار وفواح * وبددهم في اقطار
عناء وبراح * وزددهم في اقطار بكاء ونواح * فصار دبورهم افواه

الثغور * واوصل بظهورهم ابواب الثغور * فجهز طائفة الى كاشغر *
وهو بين حدي الخطا والهند احد الثغر * ووجه فرقة الى دويرة
في وسط بحيرة تدعى اسي كول * وهو ثغر بين ممالك تيمور والمغول *
فصادفهم بعض السعد * فانقطعوا عمن اضيفوا اليه كما ينقطع عما يضاف
اليه بعد * فانضموا منهزمين ولم يلووا * واخذوا من صوب الشمال
وخرجوا على الدشت الى ايدكو * ثم اضاف سائرهم * وقبائلهم
وعشائرهم * من كل حزين اواه * الى ارغون شاه * وجهزه بعزم
وحزم * الى ثغور الدشت وحدود خوارزم * وقد اكان هجيره *
وما بنى عليه وامره واموره * فانه كان من الشياطين النقاله *
وفي المكر واللعب بالناس كل لة المحتاله * كلما بنى في قطر قلعة *
او استولى في نحر من نحور المخالفين على بقعة * انزل بها من العساكر *
من هو في اقصى جهات تقابلها من الحصون والدساكر * ونقل اليها من
لها من الرجال * ان كان في الشمال الى اليمين وان كان في الجنوب
الى الشمال * فانه لما استولى على ملك تبريز وما والاه * استناب فيه
ولده لصلبه اميرانشاه * وامده من الجغتاي بطائفة غلاظ شداد *

منهم خُدايداد اخو الله داد * ونقل الى اطراف الخطا وتركستان *
طوائف من عسكر العراقين والهند وخراسان * وولّى سماقة بن التكريتي
الذي اخذه من الشام * نيابة مدينة سيرام * وهي من سمرقند
الى جهة الشرق نحو من عشرة ايام * وولّى بلبغا المجنون نيابة
يُنكى بلاس وراء سيرام بنحو اربعة ايام * وهما كورتان مختصرتان *
وراء سيحون من معاملات تركستان * وهما كانا اقل من ان يُذكرا *
فضلاً ان يصيرا حكّاماً وامرا * وانما فعل ذلك * لينتشر في اطراف الممالك *
ان عنده من رؤساء الشام * جماعة من اعيان الاعلام * وان في ممالكه
من الخدم * رؤساء الامم حكّام العرب والعجم * وان ذلك الطرف
جالٌ وسطا * وملكه ما بين الشام والخطا

* فصل *

ثم اخذ يتفقد ما خدث في غيبته * من امور بلاده ورعيته * ويتفحص
عن قضايا الممالك * ويسلك لملوكها المسالك * ويدبر مصالح الاطراف
والثغور * والاكناف والبحور * ويراعي احوال الكبير والصغير *
ويتعاطى مصلحة الغني والفقير * ويضع الاشياء في محلها * وزمام

الوظائف والمناصب في يد اهلها * ويبادر * بما قال الشاعر *

* لله در ابن بشر وان من رجل * ما كان اعرفه بالوغد والسفل *

* نهاهم ان يمسوا عنك قلما * وان يذل بنو الاحرار بالعمل *

واخذ يربي السادات * ويكرم الاولياء ذوي الكرامات * ويبجل العلم واهله * ويعلي الفضل ويعز محله * ويقلع المفسد ويقمع المارق * ويخنق الزاني ويصلب السارق * حتى استقامت في زمنه امور السياسة *

وتمت على تورة جنكيزخان قواعد الرياسة *

ذكر ما ابتدعه من منكراته * وطبع بخاتمه خواتيم سيآته *

ووافى باستيفائه زائد وفاته *

ثم شرع في تزويج حفيده اي ولد اولاده لولد اولوغ بيك ابن شاه رخ النبيه * الذي هو في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة حاكم سمرقند من قبل ابيه * فامر اهل المدينه * ان يشرعوا في الزينه * وان يرفع عنهم الكلف والمظالم * ويعفى عن الطروحات والمغارم * ويبسط لهم بساط الامان * ويعامل الكبير والصغير والرفيع والوضيع منهم بالفضل والاحسان * وان لا يشهر في ممالكه سيف * ولا يجري

فيها ظلم ولا حيف * وان تخرج ازينتهم الى مكان تحو ميل من ضواحي
سمرقند * يدعى كان كل هواؤه اذكى من المسك ومارؤه احلى من القند *
كانه قطعة من روض الجنان * عقل عنها حازنها رضوان *

* قلت * شعر

* رعى فيه غزلان الترك شيحا * فصار المسك بعض دم الغزال *
روائح هوائه الطف من نسيم السحر * وروائح مائه اعذب من ماء
الحيوة صفاء ابلا كدر * وتغاريد طيوره الذ في السماع من ثناء
الناي على الوتر *

* قلت *

بساط زمرد نثرت عليه * من الياقوت الوان الفصوص *

* وقيل * شعر

* كان مدر الازهار فيه * وورد في محاسنه تنضد *
* صحائف من لجين او عقيق * ومرجان وياقوت وعسجد *
* فهذى حشوها مسك فتيت * وهذى ضمنها تبر مبند *
* اراد الروض يجلوها علينا * فصاغ لها اكفا من زبرجد *

صباغ القوة الخيالية يتعلم خلط اصباغ النقوش من تشاهيل
ازاهيره * ومواشط عرائس الجمال تزين عواتق الكمال
من تحاريز تصاويره *

* قلت *

* كأن ربا هيفاء وقت هبة * خضم بانواع الحلي مرصع *
افسح من امل حريص طامع * في جاه غني كريم نافع * وانزه للابصار
والبصائر * من غض شباب زاه زاهر * ساعده الدهر بوجه بسيط وادب
كامل وعمر طويل ومال وافر * وهو احد الاماكن المذكورة *
والمتنزهات التي هي بالنزاهة والرفاهة في الدنيا مشهورة * ومد له
السعد الذي جهاته بالنعيم موقرة موفورة *

* قلت *

* شقائق خدود ناضرات * تحشت من سواد المقلتين *
عساكر تيمور مع انها البحر المتلاطم فيه * تضاهي بني اسرائيل في قطر
من اقطار التيه * ثم امرا الملوك والسلاطين * وارباب التيجان
من الاساطين * ان يخرجوا اليه * وينيثوا عليه * وقد زكل منهم

في ذلك المرج مقاما * ورتبه ميمنة وميسرة ووراء اوامامًا * وامران يظهر
ما امكنه من تجمل وتحسين * ويضرب ماله من خيام وقباب متكلفة
بانواع النقوش والتزيين * ثم رتب من دونهم من الكبراء والاعيان *
ورؤساء الامراء والاعوان * في ذلك الروض الاريض * والمرج
الطويل العريض * فاخرج كل منهم ماحواه * وكاثر نظراءه لينظروا اما
قدمت يداه * وفاخر ذوي الفخار منهم وباهى * واستقصى في المباهاة
والمفاخرة وتناهى * فنشروا مما طوت صحائف ايامهم * على جمعهم اياه
محللات آثامهم * من طرف اطراف الاقاليم والامصار * وتحف جواهر
المعادن والبحار * ونفائس ذخائر نهبوا عليها النفوس والهبوا الانفاس *
وعرائس اخائر سقوا عليها الكؤس وخرقوا الاكياس * ما ازرى
على زهر تلك الروضة الخضراء بالانجم الزواهر * واسرى منظرة البهيج
هرايا المسرات الى سر السرائر * فزاد حسن حديث ذلك المكان ونما *
وعلا قدره بهجة على كل ارض وسما * ثم امر بسرادقاته فجعلت
مركز تلك الدائرة * ونقطة دائرة تلك الافلاك المدارة * وهي سور محيط
مضروب * على ماله من خيام وقباب منصوب * له باب واسع *

يدخل فيه من دهليز شامخ * الى ما يليه من معان ومغان * وله قرنان شامخان * تنكسر لهما الرؤس * وتذل عند مشاهدتهما النفوس * ولاجل هذين * كان يلقب ذا القرنين * ونصبوا له داخل هذا الجناب * عدة من الخيام والاخبية والقباب * ومن جملتها قبة اعلاها واسفلها بالذهب مزركش * وظاهرها وباطنها بلب الريش مريش * واخرى كلها بالحرير محبوكة * وبانواع النقوش والوان الاصباغ ممنية مشبوكة * واخرى من فرقها الى قدمها مكللة باللآلي الكبار * التي لا يعلم قيمة احدها الا عالم الاسرار * واخرى مرصعة بانواع الجواهر * على صفائح الذهب مدهشة للابصار والبصائر * وجعلوا ما بين ذلك سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون * وبين ذلك الارواق المنقشة * رواقات الاخبية المزركشة * والغاطط والابنية المدهشة * وفيها مراوح العيش * الجالبات لبرد العيش * والمنافع والمرافق * والمفاتح والمغالق * والظهور والذخائر الغريبة * وارخوا على ذلك الستائر العجيبة * ومن جملتها ستارة جوخ كان اتخذها من خزانة السلطان بايزيد *

قطعة واحدة عرضها نحو من عشرة اذرع بالذراع الجديد * منقشة بانواع النقوش * من صور النباتات والبنيان والعروش * واشكال الهوام والطيور والوحوش * واشخاص الشيوخ والشبان * والنساء والصبيان * ونقوش الكتابة وعجائب البلدان * والعروق اللاعبة وغرائب الحيوان * بالوان الاصباغ * المبالغ في احكامها واجادتها احسن بلاغ * كأن صورها متحركة تناجيك * وثمارها الدانية لاقتطافها تناديك * وهي السترة احد عجائب الدنيا * وليس المستمع كالمرأى * ونصبوا امامه سرادقاته بمقدار شوط فرش الصيوان * الذي يجتمع المباشرون فيه وارباب الديوان * وهو حتر عالي الذرى * شامخ في الهواء * له نحو من اربعين اسطوانة * وعوامد واسوار شيدوا عليها اركانه وسددوا بنيانه * يتسلق الفراشون الى اعلاه كالقردة * كأنهم مسترقوا السمع من الشياطين والمردة * ويتعادون على سطحه * حين يرفعونه بعد بسطه *

* فصل *

واخرج اهل المدينة * ما عبوه * من تجمل وزينة * ونصبوه * تجاه تلك

السرادقات على مدّ البصر * وتأنّق كلّ واحد من اهل البلد بما وصلت
اليه القوى والقدر * واجتهد كلّ ذي حرفة بما يتعلق بحرفته * وبالغ
كلّ من ارباب الصنائع فيما يليق بصنعته * حتى ان ناسج القصب اخرج
فارسا مكمّل الاهبه * واستقصى في اكمال هيئته حتى اظافيره وشعره *
واستوفى دقائق ما يتعلق به من الآلات * كقويه وسيفه وسائر
الاستعدادات * كلّ ذلك من القصب * ورفع ذلك في مكانه من غير
تعب ونصب * وصنع القطانون من القطن مدينة رفيعه * محكمة
البنيه * ذات قدّ رشيق * وصنع وثيق ومنظر انيق * ببياض جسم
ينمو على الحور * وكمال قوام يعلو على القصور * ونصبوها فصارت
بحسنها تستوقف النظاره * وبعلو قامتها ترشد في ذلك المهمه الماره *
حتى غدت علما للسياره * وعلى جوامع تلك الابنية منارة * وكذلك
اهل الحرف من الصواغين * والحدادين والخفافين والقواسين *
وسائر الطوائف * وارباب الملاعب واللطائف * ولقد كانت سمرقند
مجمع الافاضل * ومحط رحال اهل الفضائل * فرتبت كلّ طائفة
ما اخرجته على حدة في مكانه * امام سرادقاته وميدان ديوانه *

وانصبت وراء ذلك كله الاسواق * وضربت بين النامين بوقات الابواق * وزينت الفيول وجياد الخيول بافخر لباس * واطلق عنان الرخص والتمتع بانواع الملاهي والملاذ للناس * فسارع كل طالب الى مطلوبه * واجتمع كل محب منهم مع محبوبه * من غير ان يتعدى احد على احد * او يستطيل اعلى من يكون على ادنى من يكون من الجند واهل البلد * او يجري تعد ما * من شريف ما على وضيع ما

* فصل *

ولما استتبت الامور على مواد تسويل قرينته * واخذت الارض زخرفها وازينت من جند واهل مدينته * توجه الى ذلك المرج على وقاره وسكينته * وخرج على قومه في زينته * ثم امر ان تجرى يواقيت الصهباء * على زبرجد ذلك المرج الاخوى * وسيلها لكل ناظر وعام * فسبح في تيارها كل خاص وعام * فدارت في سماء تلك الارض للسرور افلاك * وهبطت في افقها بوحي اللذات من افلاك الملاحة املاك * فاصبحت تلك الاسود الخوادر * وهي ظباء جواذر * وتنزلوا من جحيم المنازله * الى نعيم المغازله * وتبدلت تلك الغلاظة والكثافه * باللطافة

والظرافة * واصبحوا بعد جورهم يتجاورون *

وبمعنى ما قلته يتحاورون *

* شعر *

* محا الظلم من بين الورى سيف عدلنا * فلم يتشبث مستغيث بمعتدى *

* سوى قلب صب صاده طرف احور * وخصر نحيل آده ردف اغيد *

فما صار يصول سيف الا ان كان صارم لحظه وهو مع ذلك مكسور *

ولا يجول ذابل الا ان كان رمح قده وهو مع ذلك بالعناق مقصور *

وصرت لا ترى الا عود الخزرك ارشق * ازرق حاير وب ازيرق * ارشاديا

يغرد * اوشاربا يعربد * اوجارية تسقي * اوساقية تجري * اوخد

ورد يعشق * اوورد خد ينشق * اوكاس ثغر يرشف * اوغصن

خضر للعناق يقصف * اوفرص عيش يغتنم * ازلسان

حال ينشد ويترنم *

* شعر *

* في ربيع الوصل لما * ان وفى الظبي الشرود *

* وسرت بشرى الصبا * للروض تنبي بالورود *

* * جَرَتِ الأَنهارُ والأغصانُ مالَتْ للسُّجُود * *

* * واجتمعنا في رياضٍ حُسْنُها يُنسِي الوُجُود * *

* * فالسَّحابُ الصَّبُّ فيها بالحَشا أمسى يَجُود * *

* * نثرَ الدُّرَّ علينا منه بالوُرْدِ الغمامْ * *

* * فوقَ صَحْنٍ سندسيٍّ فيه مليا قُوتِ جامْ * *

* * وثغورٍ من مُقيقٍ زانها حُسْنُ ابتسامْ * *

* * وعيونٍ من لُجَيْنٍ ناظراتٍ لا تَنامْ * *

* * وغصونِ الدَّوْحِ حفتنا بأنواعِ النُّقُود * *

* * طيرُها غنَّى عليها إذ علا عُودٌ أو طارْ * *

* * وشذا ما ضاعَ فيه المِسْكُ لمَّا منه غارْ * *

* * والضُّحا أمسى مليًّا في رُبا ماجين سارْ * *

* * جنةُ الفردوسِ فيها وجهُ بدري جين نارْ * *

* * أصبحتْ جناتُ عدنٍ تشتهي فيها الخُلُود * *

* * يا لها من عشرةٍ جاءتْ بأنواعِ الهنا * *

* * ليس فيها غيرُ لثمٍ وارتشافٍ واعتناقْ * *

* وكؤوس ذات ات * وغناء وغنى *

* لو رآها زاهد من * برها كان انتنى *

* لم يسعه عندها من * زهده الا الجحود *

* قم بنا يمنى عاطنى فالهم لا يسوى الحزن *

* كاس عيش ينتجي في * مزجها صرف الزمن *

* الطلا والماء والخضرة والوجه الحسن *

* لا تطع في ذا عذولا * انه خب كمن *

* في حشاه غلياً ن * لا تقل خل ودود *

فحصل الامن والدعة * والفراغة والسعة * ورخص الاسعار * وقضاء الاوطار * واعتدال الزمان * وعدل السلطان وصحة الابدان * وصفاء الوقت * وذهاب المقت * وحصول المطلوب * ووصال المحبوب * مصراع * وعند التناهي يقصر المتطاول * واتفق له في ذلك العرس من الابهة والعظموت * والسطوة والجبروت * شئ لم اظنه حصل لاحد من الخلفاء المتقدمين * ولا يقع فيما بعد لاحد من المتاخرين * وان كان المامون فرش تحته ليلة عرسه حصير من الذهب * ونثر على

رأسه اللؤلؤ المنتخب * ولم يلتفت اليه * ولم يلتقط من ورائه ولا من
بين يديه * حتى قال * قاتل الله ابا نواس كأنه كان حاضرا حيث
* قال *
كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على ارض من الذهب *
لكن تيمور كان في عرسه ذاك بنات الملوك وصائف * وبنوها عبيدا
كل منهم في مقام العبود يتواقف * واجتمع عنده قصاد الملك الناصر فرج
من مصر والشام * ومعهم الحمولات والتقادم ومن جملته الزرافة
والنعام * ورسل الخطا والهند والعراق والترشت والسند وبريد والفرنج
ومن سواهم * وقصاد كل الاقاليم اقصاهم وادناهم * ومن كل مخالف
وموافق * ومعاد ومصادق * فاخرا الجميع حتى شاهدوا عظمته *
وعاينوا جبروته في ذلك العرس وابهته * فباشر ذلك على تلك الحال *
لا يخاف النكال ولا يخشى الوبال *
قلت * شعر *
* قرير العين لا يرجو الها * خلي البال لا يخشى معادا *
يتناول المحرمات ويبيحها * ويروج عنده مستهجنها ومستباحها *

مهما امر به جماعته في ذلك امتثلوه * يتناهون في كل قبيح عملوه *
ولا يتناهون عن منكر فعلوه *

قلت * شعر *

* تبدل من سفك ومنك جريمة * احل بها ما حرمته الشرائع *
وجعل يدنو الملوك والامراء * وسلاطين الآفاق والكبراء * وقواد
التوامين * وزعماء الجيوش والمقدمين * ويسقيهم الكاسات بيده *
ويحل كلا منهم محل اخيه وولده * ويخلع عليهم الخلع السنيه *
ويجزل لهم المواهب والعطيه * ويجلس كلا منهم بحسبه ذات اليمين *
واما ذات الشمال فانها للنساء والخواتين * فان النساء لا يستترن
من الرجال * خصوصا في مجلس الاجتماع والاحتفال * واستمر
في ذلك بين جنك وقانون * وعود ورغنون * وناي مرقص مطرب *
وشاد معجب مغرب * وساق فاتن ودهر موات وهوى متبع * وامر مستمع *
وشمس تدور * على نجوم وبدور * وكاس تملأ وكيس يفرغ *
وامر يمضي وامل يبلغ * حتى استخفه الطرب والبطر * واستفزه النشاط
والاشر * فضبع اليه من استعضده * ومد للنهوض اليه يده * فتعاضدوا

لمعا رنته * وتعا رنوا على معاضدته * وحين استوى قائما *

تهادى بينهم بشيبته وعرجته راقصا *

* قلت *

* ومن عجب الدنيا اشل مصفق * وابكم قوال واعرج راقص *

فنثر عليه الملوك والكبراء * ونساء الملاطين والامراء * الجواهر

واللآلي * والفضة والذهب وكل نفيس غالي * ولم يزل على ذلك حتى استوفى

من اللهو حصته * ودخل العروس منصته * وانقضت تلك

الامنية * وتفرقت ماتيك الجمعية *

* شعر *

* ما كان ذاك العيش الا سكرة * لذ اتها رحلت وحل خمارها *

* فصل *

ولما بلغ من دنياه المرام * وانتهى ليله الى الكمال والتمام * وعرج

فيما يرومه الى ما عرج * وصعد في سلم ارتقائه الى اعلى الدرج *

وقارب بدر همومه الافول * وشمس حيوته ان تزول * ورشقه الزمان

بسهم اصماه فما اخطأه ونادى بلسان فصيح * فرغ

العروس يا بيت الاحماء لو سمع لكان يصيح *

قلت * شعر *

* وما الدهر الا سلم فيقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه *

* وفيهات ما فيه نزول وانما * شروط الذى يرقى اليه سقوطه *

* ومن صار ما طى كان اوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه *

فافاق من سكره * وعاد الى عسكره * وارعوى وما ارعوى * وعلم انه افل قومه وما هدى * ورأى انه قد فرط في امر الرياسة * وحط من جانب الايالة والسياسة * وانه سام الملك خسفا * وسائس السلطنة وجد عليه مائة طريق في التقصير والغا * فاخذ يتدارك ما كان فرط * ويطلب التقصي عما فيه تورط *

ذكر بعض حوادث * متقدمة لمتعلقات ذلك العابث *

وكان تيمور قد رأى في الهند جامعا * للبصيرة مرتعا وللبصر واسعا * عرشه في حسن بنائه ونقشه * من الرخام الابيض كبساط فرشه * فاعجبه شكله * واراد ان يبني له في سمرقند مثله * فقرر لذلك مكانا في فرز * ورسم ان يبنى له جامع

على ذلك الطرز * وان يقطع له احجار من المرمر الصلد * وفوض امره
الى رجل يقال له محمد جلد * احد اعوانه ومباشري ديوانه * فاجتهد
في بنيانه * وتشييد اركانه * واستقصى جهده في تحسينه * من تأسيسه
وتركيبه وترتيبه وتزيينه * وأعلى له اربع مياذين * وباهى فيه ائمة
البنائين والاستاذين * وظن ان لو كان على ذلك احد غيره * لما قدر ان يصنع
صنعه ويسير سيره * وان تيمور يشكر له صنيعه * وينزله عند ذلك
منزلة رفيعه * فلما آب من سفرته * وتفقد ما حدث في غيبته * توجه
الى الجامع لينظر اليه * فبمجرد ما وقع نظره عليه * أمر بمحمد جلد
فالقوه على وجهه وربطوا رجليه * ولازالوا يجرونه * وعلى وجهه
يسحبونه * حتى بضعوه على تلك الحال * واستولى على ماله من اهل
وولد ومال * واسباب ذلك متعددة ومعظمها ان الملكة الكبرى *
امرأة تيمور العظمى * امرت ببناء مدرسه * واتفق المعمار بة واهل
الهندسه * ان تكون في مواضع * مقابلة لبناء هذا الجامع * نشيدوا
اركانها * وشدوا بنيانها * وعلوا على الجامع طباقها وحيطانها *
فكانت ارسخ منه تمكينا * واشمخ منه عرنينا * وتيمور كان نمرق

الطبع * اشد من الوضع * ما تكبر عليه رأس الاشدخه * ولا تجبر عليه
ظهر الا فضخه * وكل لك كلما اضيف اليه * اوعول في النسبة عليه *
فلما رأى قامة تلك المدرسة طالت * وعلى قدر جامعه الكبير ترفعت
واستطالت * نغل صدره غيظا واشتعل * وفعل مع مباشرذلك ما فعل *
فلم يصادفه فيما امله سعد * وفي هذه الحكاية متقدمة لما ذكر بعد *
* نكتة * كان هذا الجامع كصاحبه * احاطت اوزار الاحجار
بجوانبه * وثقلت على غواربه ومناكبه * ودقت عنق طاقته عن حملها
ورقت * ولا لسان سقفه اذا السماء انشقت * وما امكن تيسور
الاشتغال بهدمه ثم احكامه * ونقض بنائه واستيفاء ابرامه * فطوى
ثوب عمارته على غرره * واستبقى خشب اخشبه على وهنه وكسره * لكن
امر خاصته وذويه * ان يجتمعوا ليجمعوا فيه * واستمر ذلك في خيوته وبعد
وذته * فكان اذا اجتمع الناس فيه للصلوة * يرتقبون من تلك الحجارة ما يهبط
من خشية الله * وصار ملك الجبال في تلك المحله * يتلو واذ ننتقنا
الجبل فوقهم كانه ظله * ففي بعض الاحيان * وقد غص بالناس ذلك
المكان * واخذ كل منهم حذره * سقط من حجارته من اعلاه شذرة *

فقرلي من كان جالسا * وانقضوا الى الابواب وتركوا الامام قائما *
وكان من جملتهم الله داد * احد الاكفاء والانداد * فلما اطلعوا
على حقيقة الخبر * تراجعوا وزال عنهم الخور * فلما قضوا الفرض *
وانتشروا في الارض * قال لي الله داد * وكان من الدهاة ذوي
الكياد والاذكياء النقاد * له حوالي كعبة المجاز مائة شوط
وألف طواف * ينبغي ان يلقب هذا الجامع بمسجد الحرام والصلوة
فيه بصلوة الخوف * وقال لي الله داد * وقد فهم معنى هذا الانشاد *
وينبغي ان ينشد * في شأن هذا المعبد * ويكون رقم طرازه
ونقش صدره ومجازه *
* قول الشاعر *
* سمعتك تبني مسجدا من حجارة * وانت تحمد الله غير موفق *
* كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لا تزني ولا تتصدقي *

* فصـــــل *

ولما كان تيمور ببلاد الروم يصول * كان استخلاص ممالك الشرق
في فكره يجول * وقد ذكر انه ارسل الى الله داد * يستوصفه

اوضاع تلك البلاد * ولما انكشفت له احوالها * وتبينت له ثرائها
ومضانا تها واعمالها * حتى شاهدتها عين بصيرته * واستقرت كيفيتها
في سريرته * جهز لتلك النواحي * رؤس هاتيك الضواحي *
ومن جملتهم بيردي بيك وتنكري بيردي وسعادات * والياس خواجه ودولة
قيمور مع زيادات * واضاف اليهم طوائف من الاجناد * ورسم ان يتوجهوا
كلهم الى الله داد * وان يجهز الله داد امره * ويتوجهوا فينوا قلعة
تل عي باش عمره وهي عن اشماره فجر من عشرة ايام * ومن متعلقات
المغل الطغام * وكانت امورها اضطربت * ولكونها متنازعة بين مملكتين
خربت * فتوجهوا الى تلك الدارة * بالعساكر الجرارة * واشتغلوا
على غير عادتهم بالعمارة * وكان توجه هذه الفئة * في اوائل سنة سبع
واوائل سنة سبع وثمانمائة * وقصد بذلك ان يكون لهم معقلا *
وعند توجههم الى الخطا وابيهم ملجأ ومؤيلا * فلما احكموا اساسها *
وصنفوا انواع بيوتها واجناسها * ووضعوا من حجارة الاساسات
اقدامها * ورفعوا على اعلام الاسوار اعلامها * ارسل اليهم مرسوما انهم
يرجئون امرها * ويتناسون ذكرها * ويأمرهم فيه بالرجوع *

والاشتغال بتفليق البلاد بالزرع * بحيث ان فقهاء الدرس
والديانين من اهل الغرب والامصار * والمشتغلين بفقه المزارعة والمساقاة
من فلاحي الانجاد والاغوار * واهل الزراقات والاكارد * من حدود
سمرقند الى اشبارة * يتركون مسائل المعاملة والمبايعة *
ويكررون البحث قولا وعملا في درس المساقاة والمزارعة * ويؤذن
في جماعتهم ان يقيم كل منهم في الزرع صلاحه * وان اضطر احدهم
ان يترك صلوته فالجدران يترك فلاحه * ورام بذلك ان يكون لهم
في سفرهم عتاد * ان نقص لهم في الدرب قضيم وخصيم زاد *
فتركوا العمارة * وقصد كل من الامراء ديارة * واشتغلوا باستخراج
البقر والبذار * واجتهد واحي احياء جميع المواتي كما رسم واشار *
فما فرغوا من ذلك الا وقد طوى المصيف بساطه * ونشر رائد الخريف
على العالم اعلامه وانماطه *

ذكر عزمه كما كان على الخطا * ومجيئه سكرة الموت بالحق وكشف منه
الغطا * ثم انتقاله من سفرة * الى سقرة *

فلما افاق * اخذ فيما كان عليه من التوجه الى الآفاق * وقصد

الحواشي والاطراف * واستخلاص الممالك والاكناف * وصرف
عنان الذهاب * نحو الخطا على عادته وكان ذلك عين الصواب *
فارسل الى امم عساكره ان يستوفزوا * ويأخذوا اهبة اربع
سنين او اكثر ويتجهزوا * فلبث كل امة دعوة رسولها *
وشنفت باقراط مراسيمه آذان قبولها * وحمل كل اسد جوزاء
عتاده * وامتطى جدي بغيه * وعتد كل ثور سنبلة زاده * ودلو
سقيه * ودب كل عقرب منهم دبيب السرطان * وانسابوا انسياب
الحوت في بحار العدوان * مجازفين مظالم العباد بلا كيل ولا ميزان *
فابرد هلال القوس سهم برده برسومه الى كل صماخ * يخبر ان
جند الشتاء على عالم الكون والفساد اناخ * فليستعد له الكفاة * وليحذره
العراة والحفاة * ولا يكتفوا في كفه بكافته فما كل كاف له كفوا *
لانه في هذه المرة آية من آيات الله فلا تتخذوا آيات الله هزوا * وان
تصده بقلة وهمه تبريد الانفاس * وتشييط الانوف والآذان واسقاط
الاكارع وقلع الراس * وان فصل الخريف وائد جنوده * وقائد
بنوده * ونموذج طلعته * وهو اعين غلته * وعنوان مكاتبته *

ومقدمة كتيبته * ثم زمجر بعواصف رياحه الباردة * وخيم
على العالم بخيام غيومه الصادرة والواردة * فارتعدت الفرائص من
زئيره * ولاذ كل من الحشرات بقعر جحيمه خوفا من زمهريره *
وخمدت النيران وجمدت الغدران * وارتجفت الاوراق ساقطة من
الاغصان * وخرت على وجهها الانهار * جارية من الانجاد الى الاغوار *
وتخيست الاسود في اخياسها * وتكنست الظباء في كناسها * وتعوذ
الكون من آفته * واصفر وجه المكان من مخافته * واغبرت خدود
الرياض * وذبلت قدود الغياض * وراح ما كان بها من النضرة
والارتياح * واصبح نبات الارض هشيما تذروه الرياح * فاستسمح
تبور لفظات هذه النسمات * واستبرد نفثات هذه النفحات * وامر باعداد
لبوس القباب * واستعد اذ بركستوانات الجباب * واتخذ لصفاح
الجمين وسهام البرد * من المبطنات الدرق ومن الفراء الزرد * ثم ضاعف
للاقاة الشتاء مضاعفات اللباس * وافرغها على قامة عزمه الثاقب وامدها
من كفايته بأتراس * ولم يلتفت الى كلام وملام * واستكفى
من الشتاء ما ليسه واعده من كل كاف ولام * وقال لعسكره لا تكثروا

بأمر الشتاء فانما هو برد وسلام * وحين اجتمعت عساكره * والتأمت امورة وامره * امر ان يصنع له خمس مائة عجله * وتضبب بالحديد لتحمل عليها ثقله * فبادر الشتاء بخروجه بالهبوط * وأورد بانقطاع جراية عمره من ديوان الفناء الوصول * فبرز في شهر رجب * وقد اصبح البرد عجبا واي عجب * وسار لا يرق لمرق * ولا يرثي لجسد من البرد محترق * فوصل في سياحته الى سيحون وقد تجمل * وبنى عليه رائق النسيم الصرح الممرد *

قلت قد يما * شعر *

* على البحر قد عاينت جسرا ممردا * بناه آله العرش صرحا ممردا *
* بكيت فخلت الدمع في جنباته * رقيق زجيق في زجاج تجمدا *
فعبره ومر * ومضى على ذلك واستمر * وتمادى على لجاجه واصر * فلما مر الشتاء عليه بالدمار * وانحط عليه من الجوانب بكل اعصار فيه نار * وحطم جيشه بكل لكباء صرصر * وضرب اثبات عسكره بصرة طول فيها وما قصر * وهو بذلك الجمع الكثير يسير * لا يحن لاسير ولا يجبر ومن كسير * يسابق البرد ببرده * ويجاري اجرده بجرده ومرده * فجال فيهم

الشتاء تحاجف عواصفه * وبث فيهم حواصب قواصفه * واقام عليهم
نائحات صبابره * وحكم فيهم زعازع ضبابره * وحل بنابيه *
وطفق ينادي يه * مهلا يا مشوم * ورويدا ايها الظلوم الغشوم *
فالى متى تحرق القلوب بنارك * وتلهب الاكباد بوارمك وازلزك *
فان كنت احد نفسي جهنم فاني اثاني النفسين * ونحن نحرسان
اقترنا في استيصال البلاد والعباد فانحس بقران النحسين * وان كنت
بردت النفوس وبردت الانفاس فنفحات زمهريرى منك ابرد *
اركان في جرائدك من جرد المسلمين بالغارب فاصمهم واصمهم ففي
ايامي بعون الله ما هو اصم واجرد * فوالله لاحايينك * فخذ ما آتيتك *
ووالله لايحميك ياشيخ من بردريب المزون * لواعج جمر مجمرة ولاواهج لهيب
في كانون * ثم كال عليه من حوامل الثلوج ما يقطع الحديد ويفك
الزرد * وانزل عليه وطى عساكره من سماء الزمهرير من جبال
فيها من برد * وارسل عقيبها زوابع سوافيه فحشتها في آذانهم ومآقيهم *
ودستها في خياشيمهم فاستقبلت بها نزع ارواحهم الى تراقيهم *
وجعلت تلك الريح العقيم * ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته

كالرميم * واصبحت مشارق الارض ومغاربها من الثلوج
المنقضه * كأنها برعرصات القيامة او بحر صاغه الله من فضه *
فكانت اذا بزغت الصقعاء ولمع الصقيع ترا آى شئ عجب * سماء
من فيروزج وارض من بلور ملأ ما بينهما شذور الذهب * فاذا نسبة
فيما بين ذلك والعياذ بالله نسمة ريح * على نسمة ذي روح قد
اخمدت نفسه * وجمدته فرسه * وكذلك الجمل والجمال * حتى اتت
على كل مرمق الحال * وانتهى الشان الى ان طابت النار وزلا *
وصارت لواردها سلاما وبردا * واما الشمس فانها ارتجفت *
وجمدت عينها من البرد ونشفت * وصارت
كما قيل
* يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها *
وكان الرجل اذا تنفس جمدت انفاسه على سباله ولحيته * فيصير
كانه فرعون وقد رصع لحيته بحليته * وان لفظ من فيه نخامة
عاقدة * لا تصل الى الارض مع ما فيها من الحرارة الا وهي بندقة
جامدة * فانكشف ستر الحيوة عنهم * وانشد لسان حال كل منهم *

* شعر *

* فيا رب ان البرد اصبح قاتلي * وانت تعالي عالم لا تعلم *

* فان كنت يوما مدخلي في جهنم * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم *

فهلك من عسكره الجم الغفير * وافنى الشتاء على كبير منهم وصغير *

وشاط منهم انوف واذان وسقط * وانحل عقد نظامهم وانفرط *

ولا زال الشتاء يهب ويصب عليهم بردا وبحارا * حتى اغرقهم فيها

وهم عاجزون حيارى * ونودي عليهم مما خطياتهم اغرقوا فادخلوا

نارا * فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا * وهو مع ذلك لا يلتفت

الى من مات * ولا يتأسف على ما فات *

ذكر مرسوم ارسله الى الله داد * بث منه الاكباد * وفت

القلوب والاعضاد * وزاد ما خيله فيه من هموم بانكاد *

وكان تيمور جين مخرجه من سمرقند ارسل الى الله داد باشبارد *

مرسوما اذهب فيه قراره * ونفر طائر نومه عن وكر اجفانه واطاره *

وفيهم من فحواه بالاشاره * انه طالب دماره * وموتم اولاده ومخرب

ديار * شد عليه فيه المضائق * وسد في وجهه الطرق والطرائق *

واتترح عليه فيه بأمور * يسهل عندما قطع الجبال ونقل الصخور *
ويعذب عندادناها شرب البحور * من اقلها ان يهيئ له بمفرده *
اقامة ليوم قد ومه دون غده * خضيما يا كله ليله * وقضيما يطعمه
خيله * ومن عرض ذلك مائة حمل جمل طحينا خاصه * وهو مخصوص
به لليلة واحدة خاصه * وانه مع عساكره الجرارة * لا يبيت سوى
ليلة واحدة باشبارة * الى غير ذلك * فلما اطلع الله داود على هذا
الكتاب * وفهم ما تضمنه فحوى هذا الخطاب * علم انه قد حل به
العذاب فسلبت وعيه * وبذل سعيه * واخذ في اعداد الطحين *
واجتهد في ادارة الطواحين * وكانت الطواحين اوقف من حال اديب *
في هذا الزمن العجيب * ومجاري مياهها ايبس من كف شحيح *
كلف زمن القحط تذرية الدقيق في الريح * ودماؤه الانهار في مجاري
عروق الجبال ناضبه * ودموع العيون في آماق الغروب غاربه *
فبذل ما كان اعده * لكل نائبة وشده * واهان نفائس الاموال *
واستعان على اجراء الماء بالمال * واستغاث باولي النجدة من الرجال *
واستمد المدد * من كل عد وثمد * واستنهض آراء المتفقهين من الاصحاب *

واستدفع بهم ما نزل به من مخلب للبلاء ناب * وقرع لفتح
ما رتج عليه مما لا طاقة له به كل باب * فاستجابوا دعاءه * واجابوا صداه
وندا ءه * وتأهبوا للمضه * واستطبوا المرضه * وجمعوا من العملة والفعلة
الاسودوا السواجين * فعجلوا في سوق الانهار من الاعمالي ما يبر
الطواحين * وجعلوا يعاندون البرد * ويقطعون في طريق الماء
الجمد * فكانوا كالضارب في حديد بارد * والكايد بتزويق وعظه
تليين قلب الجاحد * حتى سهلت حزونه * ورق لكابدتهم فدمعت عيونه *
وصاروا لا يقطعون من الجليد * مقدار ذراع بالحديد *
الا وتهب نسيمة يابسة * على تلك الوجوه العابسة * فاذا هب بارد
النسيم * قابله الماء بوجه بسيم * فيبرد قلبه عن فارهم * ويصرد
ليله عن اوارهم * فيجمد ما فوق ذلك * فتضيق عليهم المسالك *
فيرجعون القهقرى * ويمشون كالحبالى الورى * والله دادمع
ذلك يبذل الاموال * وينادي مستغيثا يا للماء يا للرجال *

* قلت *

* فكان كل منهم كالحمار * يخرج ما امكنه بالمد ار *

* يوقفه الماء لاجرائه * وكلما اوقفه البرد دار *

الى ان وقع الاتفاق بين الرفاق * ان هذه مسئلة تكليف مالا يطاق *

وحين تبين له امرهم * وتعين عنده عذرهم * قارنه الحظ الحالك *

وتيقن انه لا محالة هالك * وانه قد وقع في البلاء العريض الطويل *

وان مخدومه ما طلب منه في ذلك المحز الدقيق الا امر جليل * وكان

بلغه ما وشاه به اضداده * ونقل الى تيمور عنه اعداؤه وحساده *

وعلم ان خاطره تغير عليه * وفعله مع محمد جلد مشيد جامعه قد

نقل اليه * وكيف قتله شر قتله * ونهب اموله واسر اولاده واهله *

وكان متوقعا من تيمور * اضعاف هذه الشرور * لا يقر له قرار *

ولا يسكن له ليل ولا نهار * وقد غسل من الحيوة يده * وودع

حيوته واهله وماله وولده * وقد قرب شهر الصيام * وصار بينه

وبين تيمور نحو من عشرة ايام * وقد انقطعت الدروب * وضعف

الطالب والمطلوب *

* مفرد *

* اذا تضايق امر فانتظر فرجا * فاضيق الامر اداناه الى الفرج *

ذكر سبب انكسار ذلك التيار * وانتقاله الى دار البوار * واستقراره

في الدرك الاسفل من النار *

وجعل تيمور يواصل التسيار * حتى وصل كورة تدعى انزار * ولما كان بظاهرها من البرد آمنا * اراد ان يصنع له ما يرد البردة عنه باطنا * فامر ان يستقطر له من عرق الخمر المعمول فيها الادوية الحارة * والادوية والبهارات النافعة غير الضارة * وابى الله ان تخرج تلك الروح النجسة * الا على صفات ما اخترعه من الظلم واسسه * فجعل يتناول من ذلك العرق * ويتفوق افاويقه من غير فرق * لا يسأل اخبار عسكره وانباءهم * ولا يعبأ بهم ولا يسمع دعاءهم * حتى سقته يد المنية كاس وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم * فانه لم يزل للقضاء معاندا * وللزمان مجاهدا * ولنعم الله تعالى جاحدا * ولا شك انه جاء ناقصا وتحمل مظالم فراح زائدا * فاترذلك العرق في امعائه وكبده * فترنح بنيان جسمه ورنح اركان جسده * فطلب الاطباء * وعرض عليهم هذا الداء * فعالجوه في ذلك البرد * بان رضعوا على بطنه وجبينه الجمد فانقطع ثلاث ليال * وعكم احمال

الانتقال * الى دار الخزي والنكال * وتفتت كبده * ولم ينفعه ماله وولده * وصار يتقيأ دما * ويأكل يديه حسرة وندما

* مفرد *

واذا المنية انشبت اظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع * وجرعه ساقي المنية امر كاس * وآمن حينئذ بما كان جاحده فلم ينفعه ايمانه لما رأى الباس * فاستغاث فلم يوجد له مغيث * ونودي عليه اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث * اخرجي ذميمة * ظالمة اثيمة * وابشري بحميم وغساق * ومجاورة الفساق * فلو تراه وهو يغط غطيط البكر المخنوق * وتحمد لونه ويزبد شدقاه كالبعير المشنوق * ولو ترى ملائكة العذاب وقد اظهروا استبشارهم * واخنوا على الظالمين ليخزوا دياثهم ويطفئوا نارهم ويهدموا منارهم * ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم * ولو ترى نساءه وحاشيته وهم حواليه يبكون * وانوا نه وجنده وقد ضل عنهم ما كانوا يفترون * ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون

عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * ثم انهم احضروا من جهنم المسوح * وهلوا سلك السقوط من الصوف المبلول تلك الروح * فانتقل الى لعنة الله وعقابه * واستقر في اليم زجره وعذابه * وذلك في ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان ذي الانوار * سنة سبع وثمانمائة بنواحي ائزار * ورفع الله تعالى برحمته عن العباد العذاب المهين * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

قلت * شعر *

* الدهر دول لاب يدور * فيه السرور مع الشرور *
* بينا الفتى فوق السما * واذا به تحت الصخور *
* كم من شموس في سما * فلك العلا لها بدور *
* لما استوت في عزها * زالت واكسفها الفتور *
* وملوك دنيا اضرمت * من نار عدوانها السعور *
* ملكوا البلاد واهلها * ماضي الاوامر والامور *
* اغراهم الدهر الخؤون وغرباسه الغرور *

* ضحك الزمان بثغره * لهم وقد ملكوا الثغور *

* فغدا زاهيا بالاذ * وغدوا اسودا في الشرور *

* غنى لهم فترا قعوا * مثل الشخوص بلا شعور *

* وحكوا طي بابا تهم * طيف الخيال اذا يدور *

* وتوهموا ان الزمان * مطاوع غير النفور *

* اوان ما نالوه من * دنيا يفور ولا يغور *

* فتوا ثبوا وتضاربوا * وتكالبوا شبه النمور *

* وتلاكزوا وتلاحزوا * وتناجزوا الضرب الهصور *

* وتناخزوا وتلابزوا * وتناقروا نقر النسور *

* هذا وان يتصالحوا * يتصافحوا مينا وزور *

* فتهافتوا في نارها * متصورين النار نور *

* بينا هم في عزهم * والدهر مكار غيور *

* انقض فيهم صرفه * كالصقر في دقل الطيور *

* امسوا وكل منهم * كاللحم يلقى للصقور *

* لا ملك رد يد الردى * عنهم ولا ملك ودور *

* كلا ولا جيش ولا * ولك ولا مدد نصور *

* ثم انثنت آثارهم * محوا كما نقش السطور *

* لم يبق منهم ذكرهم * شيأ سوى ذكر يدور *

* تاهيك منهم فتنة * كالبحر الظلماتمور *

* الاعرج الدجال من * قصم الجماجم والظهور *

* داخ البلاد دوارها * ونوائب الدنيا تدور *

* املى له الله الحليم فزاد عدوانا في فجور *

* ولامة مستدرجا * اياه في شيء يبور *

* ليراه في امنائه * حكما يعدل ام يجور *

* فاجتاح كل الخلق من * عرب ومن عجم القطور *

* ومحا الهدى وغدى الردى * بحسامه الباغي يمور *

* افنى الملوك وكل ذي * شرف وذي علم وقور *

* وسعى على اطفاء نور الله والدين الطهور *

بفروع جنكزخان ذاك الظالم النجس الكفور *

* فاباح اعراق الدما * من كل صنديد شكور *

* وَاحَلَّ سَبْيَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ مِنَ الْخُدُورِ *

* وَرَمَى عَلَى النَّارِ الصِّغَارَ كَأَنَّهُمْ فِيهَا بُخُورُ *

* وَأَضَافَ فِي هٰذَا إِلَى * فِعْلِ الزِّنَا شُرْبَ الْخُمُورِ *

* طَوْرًا يَرَى نَكْثَ الْعُهُودِ وَتَارَةً نَقْضَ النُّذُورِ *

* وَعَدَا عَلَى السَّادَاتِ مِنْ * أَهْلِ الصِّيَانَةِ وَالْوَقُورِ *

* مِنْ كُلِّ ذِئْبٍ مَائِلٍ * مِنْهُمْ وَمِنْ كَلْبٍ عَقُورِ *

* فَنَكَثُوا وَقَدْ نَكَثُوا الْقُلُوبَ وَبَعْدَ مَا هَتَكُوا السُّتُورِ *

* وَشَرَوْا جِبَاهًا طَالَمَا * سَجَدَتْ لِذِي الرَّبِّ الْغَفُورِ *

* وَكَرَوْا جُنُوبًا قَدْ جَفَتْ * طِيبَ الْمَضَاجِعِ وَالظُّهُورِ *

وَاسْتَخْلَصُوا الْأَمْوَالَ مِنْ * أَيْدِي الْبَرَايَا بِالْفُجُورِ *

* وَسَقَوْهُمْ كَأْسَ السُّمُومِ وَجَرَّعُوا كَأْسَ الْحَرُورِ *

* وَاسْتَأْسَرُوا آلَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الطُّهْرِ الطَّهُورِ *

بَاعُوهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْـ * أَتْرَاكِ فِي أَقْصَى الْكُفُورِ *

* وَكَذَاكَ وَاحِدَةً * مِنْ كُلِّ مِقْلَاتٍ نَزُورِ *

* وَجَرَوْا عَلَى هٰذِي الْجَرَا * ئِمِ وَاسْتَمَرَّ لَهُمْ مَرُورُ *

* مابين ايران وتوران البلاد لهم عبور *
* وامتد اذاك من الخطا * اخذا الى اقصى القطور *
* لما انتهى افساده * وتكاملت تلك الشرور *
* هجم القضاء لاخذه * ولكل تكميل قصور *
* حذفته ايدي الموت من * تلك القصور الى القبور *
* وتبدلت منه الكرا * مة بالمذلة والغثور *
* ومضى الى دار النكال بما تحمل من وقور *
* وتفرقت تلك الجموع وهذه ما شاء الثبور *
* ابقت عليه فعاله * لعنا على مر العصور *
* وتخلدت آثاره * آذى على كر الدهور *
* فانظر اخي ثم افتكر * في ذا المساء وذا البكور *
* لا فرق عند الموت بين شكور فضل او كفور *
* اين الذين وجوههم * كانت تلألأ كالزبور *
* اهل السعادة والحجى * وذوو السيادة والوقور *
* المطفئو بدر السما * والمخجلو فيض البحور *

* كانوا عظاماً في الصدور وهم صدور في البدور *

* طحن الردى تلك العظام وفتّ ما تيك الصدور *

* وسفتهم ريح الفنا * سفي الرمال يد الدبور *

* اين البنون ومن غدا * للقلب افراحاً ونور *

* كانوا اذا رفع الحجاب وزحزحت عنهم ستور *

* تلقى الدنا قد اشرقت * كالشمس من سجف الخدور *

* من كل ظبي احور * او ظبية تزري ببور *

* نشر الجمال عليهم * ثوب الدلال على حبور *

* وفد تهم مهج الورى * من شر احداث الدهور *

* كانوا اذا سكنوا امكنا حركوه من السرور *

* كانوا على وجه الدنا * حدقاً وللاحداق نور *

* وحدائقاً لرياضها * وعلى حدائقها زهور *

* بينا هم في سكرهم * قد مازج الدل الغرور *

* والعمر غض والزمان مسلم لهم الامور *

* واذا بساقي الموت فاجأهم بكاسات الثبور *

* فسقى رياض حيوتهم * قطر ما اما دالكل بور *

* تركوا فسيح قصورهم * رغما الى ضيق القبور *

* وسقوا كؤس فراقهم * صبرا لكل شج غيور *

* من شق حزنا جيبه * ولفقدهم دق الصدور *

* لو كان ينفعه الرثى * او كان تجديه النذور *

* لفداهم ووقاهم * ورعاهم رعي الخذور *

* سكنوا الثرى فتغيرت * تلك المحاسن والشعور *

* وزعاهم دود البلى * وفراهم فري الجزور *

* امسوا رميما في الثرى * وثووا الى يوم النشور *

* يسعى الحبيب مخاطبا * اجداثهم يوما يزور *

* ينعى ويندب نائحا * قبرا تناوشه الثور *

* ويمر غ الخدين في * ترب يراها كالذرور *

* يدعو فليس يجيبه * الا صدى صم الصخور *

* بينا تراه زائرا * واذا به امسى مزور *

* هذا بتقدير الاله * وحكيم فعال صبور *

* دُنيا كَ جِسْرٌ فا عتَبِرْ * واحرُصْ على زادِ العُبُورْ *

* واطْمَحْ الى اللُّبِّ الهَنِي * فجَمِيعُ ما فيها قُشُورْ *

* لولم تَكُ الدُّنيا وما * فيها هَبَاءً خَيْثَعُورْ *

* ما كان يُزْوَى بِرُّها * عن كُلِّ صَبّارٍ شَكُورْ *

* كَلّا ولا انقادَتْ لِمَنْ * قد صارَ مُخْتالاً فَخُورْ *

* هذا وغالِبُ مَنْ عَتا * في ارضِها عُرْجٌ وعُورْ *

* خُلِقُوا لِحَقٍّ فانثَنَوا * عَنْهُ الى مَيْنٍ وزُورْ *

* يا رَبِّ ثَبِّتْنا على * ما تَرْتَضِيهِ من اُمُورْ *

* واغفِرْ لنا ما قد علِمْتَ * من الخَطا يا يا غَفُورْ *

* واختِمْ لَنا بسَعادَةٍ * نُكْفى بِها شَرَّ الغُرُورْ *

* وامْنُنْ لنا بتِجارَةٍ * من بابِ فَضْلِكَ لن تَبُورْ *

* وادِمْ سَحائِبَ رَحْمَةٍ * تَهمِي على بَلْدِ البُدُورْ *

* خَيْرِ الأَنامِ مُحَمَّدٍ * الشّافِعِ الزّاكِي الطَّهُورْ *

* والآلِ والصَّحْبِ الكِرامِ وتابِعِيهِمْ يا شَكُورْ *

فصل في ذكر ما وقع بعد وفاة تيمور * من حوادث وامور * وما ظهر

من سرور وشرور *

وكان لله داد احد الخلان * يدعى سعادت نائب الدكان *
من ذوي النباهة والشهرة * وهو احد الامراء الذين توجهوا
لعمارة باش خمرة * فارسل قاصدا الى الله داد * انه ارتفعت
مادة الفساد * وان تيمور ترك تبعة الممالك * وتوجه بتبعاته الى دركي
مالك * فوصل القاصد بهذا السرور * رابع عشر شهر رمضان من العام
المذكور * ففرح عن الله داد همه * وزاح عنه غمه * وكأنه استأنف له
الحيوة * اورد راحلته التي عليها طعامه وشرابه بعد ان اضلها
في فلاة * وسيأتي حكاية الله داد وامره * وما جرى له بعد ذلك
الى آخر عمره *

ذكر من ساعدة البخت * واستولى بعد تيمور على التخت *

فلما قضى تيمور نحبه * وازال الله عن العالم كربه * لم يكن بعده
في اجناده * من اقاربه واولاده * سوى خليل سلطان بن اميران
شاه خفيده * وسوى سلطان حسين ابن اخته الذي هرب الى السلطان
في الشام عند وروده * فاراد واكتم ذلك القضية * وان لا يشعر بها احد

من البريه * فشاعت وراعت * وطن رعبهم دعت * فاضطربوا
واضطرموا * واصطلموا واصطلموا * فاطلع الناس كلهم على ذلك
وتيمور وعلموا * انه قطع دابر القوم الذين ظلموا * فجفلت العساكر
واجفلوا * وحملوا عظامه والى سمرقند قفلوا * وساعد خليل سلطان
البخت * وخلا له الجو فاستولى على التخت * وكان ابوه امير انشاه *
متولي ملك اذربيجان وما والاه * وعنده ولداه عمر وابو بكر *
وبينهم وبين ماوراء النهر * من الاطواد والاشجار مائة سياج
والف سكر * وكان ابو بكر هذا في الجغتاى من الفوارس * والضاربين
بالبيض الهامَ والقوانس * يذكر انه كان يوقف بقره * او ينيخ بكره *
ويضربها بالسيف ضربة لا ضربتين * فيجعلها قطعتين مفصولتين *
وامير انشاه هذا قتله قرا يوسف بعد تيمور واستخلص منه ممالك
اذربيجان * وولده عمر قتله اخوه ابو بكر وابو بكر قتله ايدكو
متولي كرمان * ومصافاتهم مذكورة * وحكاياتهم مشهورة *
وشاه رخ كان في هراة وممالك خراسان * وبير عمر كان في ولايات
فارس وتلك البلدان * وتيمور كوركان * جعل ولي عهده محمد سلطان *

زهو وان كان من احفاده * لكنه قد مه على اولاده * لما
لاح له من فلاحه * وظهور رشده وصلاحه * فعاند القضاء
فيما يروم * ومات كما ذكر في آق شهر من بلاد الروم * وكان له
اخ يدعى بيرمحمد * فجعله تيمور ولي عهده من بعده * فلما هجم عليه
وافد الموت * واهاب روحه الخبيثة بازعج صوت * كان مستغرقا في
بحار غفلته * مسترجيا ارجاء مهلته * فنبذه اغتباطا * وسام
مسكرة اختباطا * وكان اذ ذاك من اولاده واحفاده بعيد الدار *
مستقر القرار آمنا من البوار فارغا عن الدمار * وهم كتيمور غافلون
وبيرمحمد في قندهار * وهي بين حدي خراسان والهند وبينه وبين
ماوراء النهر سباسب وقفار * فلم يكن اقرب الى دار الملك الذي انشاه *
وهي سمرقند سوى خليل سلطان بن اميرانشاه * مع ان قطان الشتاء
وندافه * كان قد بسط على فراش الارض لحافه * وندف عليه من
اقطان الثلوج ما غطى وجه العالم واطرافه * وطم ظهره واكتافه *
فلم يقدر احد من اولئك الحشرات ان يخرج رأسه من اللحاف *
او يضحك ثغر زهرة انملة في كم كمه خوفا من جاني النسيم ان يبادرها

بالخطاف الاقتطاف * فضلا ان يتمطى في فراش اهبة الى حركة سفر

فيد يده نحو بطش او رجله نحو طواف * فاستولى خليل سلطان على

ذلك المغنم البارد من غير منازع وعديل * واستبدل الملك بل العالم

من جهنم الكوثر والسلسبيل * ونادى لسان السلطنة في رفعتها نعم

البديل * بدلت عن بغيض بحبيب وعن عدو بخليل * وتمكن من

المعاكر والامراء * وخلاصة الجند واساطين الزعماء * واحتوى

على تلك الامم * وطوائف الرؤس من العرب والعجم * وادخل عنق

الجميع في ربقة المتابعة * وفتح لهم في اسواق الصداقة حوانيت الصلات

فعاملوه بعقود المبايعة * ولم يمكن احدا منهم الخروج عن الدخول

في الطاعة * والتخلف عن المبادرة الى مبايعته في ذلك اليوم والساعة *

فطاقت لهم البشرة * واحسن معهم العشرة * وكان يوسفي الخلق *

محمدي الخلق * خليلي الرفق * اسمعيلي الصدق * جمع حروف

الملاحة * وحاز صنوف الصباحة * نقش محاسنه كاتب الصنع بقلم الكاف

والنون * على احسن ما يكون من الحركات والسكون * فاول ما عشق

على لوح الجمال الف قده القويم * فباء له كل من فاء عن لام عذاره

متقوساً في خدمته كالدال والجيم * وحسن كل راء ما فيه من زين *
وماشين سين ثغره وميم فمه من فاها لخلف ولامين * فاستقفى بوابله
كل قاف * واستكفى بنائله كل كاف * وامطر من عين كفه العين * فصاد
من الجنن كل ذي لام وباء * ودأل بذلك على كل من باء عن وعده
ورجع عن عهده وفاء * فقدت الواقيات مهجته * ورقت من عين
الحوادث بهجته * وعوذت منه الأرداف * بالطور والاحقاف *
وحمت نون حاجبه رفاه وطرفه وطرته وردفه نجم عسق * وفتحت له
الملوك بالثناء فاها * وخفضت لارتفاعه خدودها معوذة له وقالت

يا مين وطاها *

ذكر خلاص العساكر من البند * وقفولهم مع عظامه الى سمرقند *

ولما ذبح قصاب القضاء تيمور ولحره * جزره كالجزور فجعل يخور
كالثور وبقره * ثم اراد ان يصليه من نار الجحيم حفره * فاستغاث
بخليله فاجاره واخره * وقال لا تعجل عليه وحمله في صفة بعد العجلة
وصيره * والنوى راجعاً الى سمرقند * وكان قد انجل نهر جيحند *
وطالب الشتاء قد ادرك ثاره * وبرد قلبه وسكنت الحراره *

* قلت *

* ورق للعالم قلب النسيم * واقبل الدهر بوجه بسيم

ثم هجم جيش الربيع المنصور * فانهزم جند البرد فولى وهو مكسور *

ذكر ما اضمره وزراء تيمور * واخفاه كل منهم فى الضمير *

وكان فى افلاك ذلك العسكر * سيارات نجوم بهم سماؤه تزهر * وبآرائهم

يقتدى * وبرويتهم يستضاء *

* قلت *

* من كل منتخب للامر منتجب * كالشمس رأيا وكالضرغام اقداما *

قد هذبتهم الامور * وشذبتهم بلايا تيمور * واستفتح بهم المغالق *

واستوسع بهم المضايق * وتخلص بحملاتهم من شدة كل مارق *

وتوصل بعزمهم الى نيل المآرب * وتوسل بعزيمتهم الى كنوز المطالب *

وكان هو البدر وهم الهالة * وهو الفاعل وهم الآلة * وهو الروح

وهم الحواس * وهم الاعضاء وهو الراس * فلما كورت شمس

مواكبهم * وانتثرت كنس كواكبهم * ورحل زحلهم * وخاب املهم *

* قلت *

وهو في تلك البلاد بمنزلة الراس والعين * فلم يسع خليل سلطان الا مصالمته * واقراره في بلاده ومهادنته * اذ امور كانت في ارائها * تفوض اليه امرها والقلوب في غرائبها *

ذكر وصول خليل سلطان * بما نال من سلطان الى الاوطان *

ثم توجه الى سمرقند فاستقبله كبارها * وخرج اليه نائبها وزعماؤها * ووفد عليه نواب البلاد * منغمسين في السواد * لابسين اثواب الحداد * وجاء الاكابر والعظام * معظمين ماتبك العظام * ومهنين خليل سلطان بالسلامه * ونيل سرير المزعامه *

قلت *

* ورجه كل قد غدا * مثل الربيع القادم *

* بعين سحب قد بكت * وثغر زهر باسم *

وجعلوا يقبلون التقادم السنيه * والجموع الاتابكيه * وهو يقابل كلا منهم بما يليق بحشمته * وينزله في منزلته * وقال لبزندق لا تثريب عليك * وقابله مقابلة الخليل الحبيب * ومهد له بساط الغاطه * وسلم اليه مسئلة المغالطه * وحين ثبتت اوتاده اقتلعه * والقاه على غفلة

في فم ليث المنية فابتلعه * ثم اشتلى على ديار ملاعب النهاب * وشهابه
الالتهاب * فخرق اديمها * وهتك حريمها * وحاجد بنهار قديمها
ذكر موارات ذلك الجسم * والقائه في قعر الجدث *
ثم انه اول ما اشتغل بمواراة جثته * وتجهيز الميته والقائه في حفرة لحده *
فوضعه في تابوت من آبنوس * وجعله الرؤس على الرؤس * وشيع
في تشييع جنازته الملوك والجنود * حاسري الرؤس لابسين
الثياب السود * ومعهم طوائف الامراء والاعيان * وانزلوه
على صفيحة نجيب سلطان * في مدرسة حفيد الملك كون *
بالقرب من مكان يسمى روح آباد وهو موضع مشهور * فكان هناك
على اثاث * في سرداب معلوم غير خاف * واقام عليه شرائط العزاء *
من اقراء الختمات والربعات والدعاء * وتفريق الصدقات * واطعام
الاطعمة والحلاوات * وسنم قبره * وانجز امره * ونشر على قبره
اقمشته * وعلق على الجدران اسلحته واعتقه * كل ذلك ما بين
مكمل ومرصع * ومزركش ومصنع * ادنى شيء من ذلك خراج
اقليم * وحبة من كل من تلك الجواهر تقوت التقويم * وعلق نجوم

قناديل الذهب والفضة في سماء غواشيها * وبسط على مهادها فرش
الحرير والديباج الى اطرافها وحواشيها * ومن جملة هذه القناديل
قنديل من ذهب زنته اربعة آلاف مثقال * رطل واحد بالسمرقندي
وبالدمشقي عشرة ارطال * ثم رتب على حفرته القراء والخدمة *
وارصد على المدرسة البوابين والقومة * وقدر لهم الادرارات *
من المسانهات والمياومات والمشاهرات * ثم نقله بعد ذلك بمدة
الى تابوت من فولاذ * صنعه رجل من شيراز ماهر في صنعته استاذ *
وقبره في مكانه المشهور * تنقل اليه النذور * وتطلب عنده الحاجات *
وتبتهل عنده الدعوات * وتخضع الملوك اذا مرت به اعظاما * وربما
تنزل عن مراكبها اجلالا له واكراما *

* فصل في اعتدال الزمان * واخبار خليل سلطان *

ولما اخذت تيمور الصيحة بالحق نصارعها * وقعد خليل سلطان
على التخت وقام الشتاء بعد ان كان جثا * من الشعراء المنتهم للزمان
بالمدح ولخليل سلطان بالتهنية ولتيمور بالرثا * فسمع الشتاء وغنى
صوته واجاز * ورفع من العالم في نهوضه الكلال والاعجاز * فابتهج

الكون بورود الربيع * وشكر الزوض للسحاب ما أسداه إليه من حسن الصنيع * ورفع على الروابي من الشقائق أعلامه * ونصب مما زهر خيام الصنع من أزهار الأشجار خيامه * ونور الحدق بأنوار الحدايق * واستنطق بتسبيح الخالق * من خطباء الأطيار على منابر الأغصان في جوامع الرياض ما استنصت بلغاته كل ناطق * من كل معرب في ديوان الفصاحة رائق * ومعجب بأسرار البلاغة فائق * فرقصت الأشجار لغناء الأطيار * وصفقت الأنهار * واعتدل الليل والنهار * واكتسى البسيط الأغبر * خلع السندس المزهر * وتبدلت الأغصان من قطني الثلوج * كل ثوب بأصباغ القدرة مزهر وبديع مقص الأزهار منسوج * وكل قباء صار مزهرا في كل دف اغن لكل طائر وفروج * وبسط الكون على المكان * لاقدام خليل سلطان شقق الورد والريحان *

* فصـــــل *

ولما فرغ خليل سلطان من ذلك * شرع في تمهيد المالك وتسليك المسالك * وعلم انه لا يتقيد به إنسان * الا بقيد الإحسان * ولا يجتمع له المال * الا بتفريق المال * فعقد القلب على فك طلسمات الختوم وحل

المرموز * وصرف المواقع والتوابع عن تلك المطالب والكنوز * وقوة
العزيمة على فتح الخبايا * وصيد عصافير القلوب بشبك وحبات الهبات
فكيف شمائل العطايا * ففرق ما كان شتت جده في جمعه شمل البرايا *
وثقل الكواهل بتخفيف ما أثقل ظهر غيره بالمآثم والخطايا * وارسق
أحمال الآمال * وربوع الاطماء بالاموال * وامطر أياديه يمينه
بالنوال * فغاض الخير من ضرب الشمال * وملأ الافواد والمساجع
والمقل من الناس * بما افرغ من حوامل الكنوز والصناديق
على اعتام الجند والاكياس * فنثر اغصان الروح عند ورود
التوبيخ اصناف ازهاره * فكأنه انامل كفه المنتظمة في نثار دره
وديناره * وجاد السحاب بدره وامطاره * فضاهى جود جوده
الهامي على العالم وامطاره * فقيد الناس كلهم بهذا القيد * وتحوا
صراف بذله معربين له بالاطاعة فترك عمرو وزيد *

ذكر من اظهر العناد والمراء * وتشبح بذيل المخالفة والعصيان
من الامراء والوزراء *

غير ان بعض تلك القواد * وزعماء الوزراء والاجناد * اعلن

ما كان اسرّ * ووضع المضمر من العصيان موضع المظهر * فانزل من شهر سيف
العصيان * وفوق سهام العدوان * وشرع بمخالفة الدّيني *
خدايداد الحسيني * متولّي ما وراء نهر سيحان * واطراف
تركستان * فوجد من كان عزم على نقض يده من عقد الطّاعة *
اماما يقتدى به في البغي ومفارقة الجماعة * لا سيّما وقد كان صوّاغ
المربع قد اذاب بجمراته سبائك الحمل والثلوج * ورصع بما اخرجه
من ذلك ديباجة الارض ورياضات الجنّات وازهار المروج *
واستمعت اموات الحشرات صيحة الرّعود بالحقّ فقالت ذلك يوم
الخروج * فاقتفى خدايداد * في العصيان والعناد * شيخ نور
الدّين * وكان عند تيمور من المقدمين * وذوي الآراء والتمكين
فانخزل جهارا * وسار ليلا ونهارا * فوصل الى خدايداد * وقوي منه
الظّهر والاعضاد * وشاركه في التمرد والفساد * ثم بعده فرط نظام الطّاعة
شاه ملك * واخذ في طريق المخالفة وفوضى هلك * وخرج من سمرقند وهو
يصرخ * وقطع جيحون ووصل الى شاهرخ * وكان نظير شيخ نور
الدين * وذا رأي مكين وفكر رصين * فلم يكترث خليل سلطان

بالعامي واكرم من ثم يعض * وعمم بتاج انعامه كل راس وما خص *

ذكر اخبار الله داد صاحب اشبارة * واخلائه اياها وقصده ديارة *

وما صنع في تدبير الملك واثارة * قولا وفعلا واشارة الى ان ادرك

في ذلك دمارة وبوارة *

ثم ان الله داد جمع اخصاءه ليلة ورود الخبر اليه * وشاورهم فيما يصنع

وما يبني امره عليه * فاتفقت كلمتهم * واجتمعت مشورتهم *

على قصده ديارة * واخلائه اشبارة * فانهم كانوا في ذلك المكان *

كالفسيق في شهر رمضان * والزنديق بين قراء القرآن * فلما طوى

الجو ملاءته المسكية * ونشر على المكان مروطه الكافورية * والقى ثعبان

الفجر من فيه على هذا السقف المرفوع خرزته المضية * حضر الى خدمة

الله داد * امراء الجيش على عادتهم ورؤس الاجناد * من الترك

والخراسانيين * والهنود والعراقيين * فاختلى بافاضلهم * ومذاكرة

مقاولهم * ونشر لهم من هذه القضية طيها * وطلب من آرائهم فيها رشدها

وغيها * واستكتمهم امرها * لئلا يستنشي المغول نشرها * وانى

لعين الشمس في الضحى الا ستتار * وكيف يخفى على ذي عينين

النهار * فكل منهم فوض الامر الى مرسومه * وطرح قصة هذه
القضية في جيب مكتومه * فاستدعى من اولئك الرفاق * ان يكونوا
معه فيما يراه على طبق الوفاق * فاجابوه الى سؤاله * وربطوا افعالهم
بأقواله * فاكد ذلك بطلب ايمانهم * وان اسرارهم في ذلك كاعلانهم *
فشرع كل في المخالفة * انه ليس في موافقته مخالفة * وانه مهما رآه
الله دام متمثله * وما امر به فعله * وحين امن من مخالفتهم وعصيانهم *
وحصل له اليسار بربط اعناقهم بايمانهم * قال اي جماعة الخير *
وقيتم الضرر وكفيتم الضير * ارى ان اكون في صلوة هذا الامر
امامكم * فاتقدم بجماعتي الى سمرقند امامكم * فامهدوا الامور لكم *
وارسل الى بلدكم هذا بدل لكم * وايم الله لا يأخذني قرار ولا
هدو * ولا اتركم مضغة لضاغم ثغر العدو * فان رأيتم ان تضبطوا
بحسن الاتفاق امورکم * وتحموا قريبة وردة قلعتكم من سورة شارب
العدو وسورکم * فلن امهلكم الا بقدر ما اقطع نهر خجند *
واصل الى سمرقند * فامهلوني ريثما اصل * وبجليل سلطان اتصل *
فتبعوا مراده * واقتفوا ما اراده * وعاهدوه ان لا يخالفوا من بعده *

ولا يحلّوا بعد ارتحاله من رقابهم حبل عهده * فامر عليهم رأس جنود العراق * وكان هو اكبر الرفاق بالاتفاق * وقرن كل مسلحة في اسوارها من كل سالح جزءا مقسوما * وصار زعيمهم اولئك السالحين كالنبي في امته مع انه كان يدعى معصوما

* فصـــــل *

ثم امر الله داد بتنجيز الامور * وخرج سابع عشر شهر رمضان المذكور * ولم يلتفت الى برد وحر * وكان قد استوطن اشبارة واستقر * ونقل اليها حريمه واولاده * وبذل لك امر حاشيته واجناده * فاقتلع الكل معه كبيرا وصغيرا * ولم يدع بها مما يتعلق به فتيلا ولا نقيرا * فساروا تارة دبيبا وحينا زحفا * وطورا تسومهم الارض من ثلجها خسفا * وآونة تسقط السماء عليهم كسفا * فادركهم العيد المرقوم * في مكان يدعى فولا نجوق * من ابرد البلاد * كأنه ينبوع ريح عاد *

قلت * شعر

اذا احتاجت جهنم زمهريرا * تنشق منه انفاس الهجير *

ذكر ورود مكتوبين الى الله داد * من خليل سلطان

وخداياد * تخالفت معانيهما * وتصارمت فحاويهما *

فورد عليه مرسوم من خليل سلطان * يذكر فيه ما حصل لجده

من حادث الزمان * وانه استولى على سريره * واطاعه من الملوك

كل كبير القدر وصغيره * وان الامور بحمد الله مستقيمه * وقواعد

الملك على عاداتها القديمة مقيمه * فلا تحدث امرا * ولا تخرج

من بحر مدينته برا * وليمسك بمكانه * ولينتبث باشبارة مع طوائف

جنده واعوانه * وليطيب خاطر الجزء والكل * فانه عقيب ذلك

يرسل اليهم بذل الكل من الكل * فتحير الله داد وتفكر *

وحاسب نفسه هل يربح في سفره ذلك او يخسر * تفكر وقدر * فقتل

كيف قدر * فبينما هو في امره يعيد ويبدي * ويلجم في شقة افكاره

ويسدي * واذا بقاصد خداياد ورد عليه * يستحثه على الخروج

من اشبارة والوصول سريعا اليه * فوجد لخروجه من اشبارة عند خليل

سلطان مندوحه * وعاش فنام وهو مغمض العينين بعد ان مات

وعينا ه مفتوحه * نطوى بساط تردده * وتوجه ببسيط امله نحو مقصده *

ولكن كان بينه وبين المراد خرط القتاد * والموانع التي ذكرها صاحب الوصول الى سعاد * مع زيادة نهر سيحون وخندايلاد * فواصل التأديب والاساد * حتى وصل الى خندايلاد فابتهج برؤيته * واستنجح مقصوده بطلعته * ثم قطع نهر جيحون * وقصد اضواحي سمرقند * ووصلا على حين غفلة وفترة الى مكان يسمى تيزك * وقد شهر العدوان الجسام وشرعا للفتك التيزك * فاحتاطا على جشار تيمور فنهبا * وتغلبا على ما وصلا اليه من نقد وجنس فسلبا * واكثرا هنالك شرا وفسادا * واشبها في ذلك تسعة وهط ثمود اوعادا * وكانت هذه اول شرارة شرر بدعة سقطت من سقط الزند * وبسطت يدها بالفتن بعد قبض تيمور في ممالك سمرقند * لان اهلها كانوا قد امنوا الشرور * ووقوع الفتن في حيوة تيمور * فحين دهمهم اولئك المفترون * اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * وذلك في شوال سنة سبع * وهو العام الذي خلا فيه من تيمور الربع وما مكن السلطان خليل * قد ادرك هذا الخطب الجليل *

ذكر من خلفه الله داد باشبارة من الطوائف * وما وقع بعده بينهم

من التناكر والتخالف *

وأما أمر من خلفه الله داد * في اشارة من طوائف الأجناد *
فانهم خافوا من المغول حلول حينهم * فتخربوا واختلف الأحزاب
من بينهم * فمنهم فرقة قال قائلهم انا على عهدي قوي فلا اخون
وأمين * وقد استمسكت يدي بعروة عهد مكين * وارتبطت
بحبل حلف فلا أصير من أهل الشمال باليمين * وأدنى ذلك أن نصبر
حتى يصل من الله داد رسول وكتاب * وننظر ما يبين فيه من سلوك
سنة فنميز بصائب نظرنا الخطا في ذلك من الصواب * فان وافق ذلك
مرادنا امتثلنا ما يقول * واتبعنا في ذلك الكتاب والرسول * وتوجهنا
في تلك الساعة * سالكين السنة مع الجماعة * وان جانح فى كلامه
بخطاب أجلج * عدلنا الى الاعتزال وما لكل منا في مصلحة نفسه
الى القول بوجوب رعاية الأصلح * ومنهم شيعة مالت الى رفض تلك
الدارة * والمبادرة الى الخروج من اشباره * وانتقلوا من تكرار هذه
المجادلة الى القتال * وقطع رأس احد رؤس الخراسانيين في مصاب
النزال * ومنهم طائفة اهمتهم انفسهم فلم يلبثوا الا عشية او ضحاها *

ثم تحملوا وخرجوا من المدينة وتركوا الدار تنعى من بناها * فلم يسع الباقين الا اتباعهم في الخروج * لان مقامتهم من اول الزمان هناك كانت كبنيان القصور على الثلوج * فتحملوا بقضهم وقضيضهم * وتجهزوا بصحيحهم ومريضهم * وتركوا البلد بما فيه من غلات * ومستغلات ونعم وخيرات * واموال واقمشة * ونفايس مدهشة * ولم يبق فيه من تلك الامم المسجونة * سوى ما عجزوا عن حمله من اموال مشحونة * وسوى امرأة واحدة مجنونة * ولحقوا بابله داد * وهو عند خداداد * فلم يعنف واحدا منهم بما فعل * واعتذر اليهم بان خداداد منعه ان يتوجه الى سمرقند ويجهزلهم البدل * وامرهم بالاقامة معه مستوفزين * وان يكونوا لفرصة التوجه الى سمرقند اذ الاحت مبتهزين

ذكر ما تم لابله داد مع خداداد وكيف ختله وخلبه * وابترق عقله وسلبه *

ثم ان خداداد تحقق بوقوع هذا الفساد * تأكد العداوة بين خليل سلطان وابله داد * فركن اليه بعض الركون * وجعل يستشيره

فيما يصير من امره وما يكون * وكان عند خدايداد * طائفة من مماليك الاجناد * تخلفوا من العساكر في تلك البلاد * وقد ضيق عليهم المسالك * واراد ان ينقلهم من مالك الى مالك * فلم ينعم له الله فاد بذلك * وقال ان عادة الاكياس * استجلاب خواطر الناس * خصوصا في مبادي الامور * وحدوث اوائل الشرور * فلا تنفر عنك الخلق * وعاملهم اولا بالاحسان والملق * واي فائدة في قتل هؤلاء وتمزيق اديمهم * سوى نفي الصداقة وتاكيد العداوة بيننا وبين مخاديمهم * وربما يكون في خاطر احد من مخاديمهم نفرة من خليل سلطان * ويروم لذلك ظهرا وملجأ يلوذ به من رفيق ومكان * فتلجئه الضرورة الى ان يقصد ممالك تركستان * فاذا آذيته في متعلقيه انى يبقى له اليك ركون واطمئنان * واقل ما تفعل مع هؤلاء يا انسان * امساك بمعروف او تسريح باحسان * ومخاديم هؤلاء لنا رفقاء * ولخليل سلطان اصدقاء * فان زرعت معهم الجميل * ملكت كل رفيق وجليل * والقيت العداوة بين من عاداك من صديق وخليل * فلما سمع كلامه * القى الى يده من ذلك

الأمور زمامهم * فاشار عليه بسراحهم * واحسان اليهم في غدوهم ورواحهم * فزاد في نجاحهم * وراش مخصوص جناحهم * وصرفهم بالعز في طريق مراحهم * فدارت بالسعد افلاكهم * واجتمعت بهم املاكهم وملاكهم *

ذكر ورود كتاب من خليل * فيه لفظ رقيق لحل امر جليل *

ثم ان وافد خليل سلطان وفد على الله داد * يطلب منه السعي في لم الشعث فيما وقع بينه وبين خداياداد * وان يستعطف حاطره الى الرضى * ويستقبل المودة في الحال ويعفو عما مضى * ومهما طلبه يتكفل به * ويعد قربه من افضل قربه * ويكون هو السفير بينهما * ويقرب الصلح عينهما * فتوجه الله داد الى خداياداد وابلغه هذه الرسالة * وبين له ما في هذا القول من رقيقة وجزالة * وسبب العداوة التي كانت بين خليل سلطان وخداياداد * على ما ذكر ان خليل سلطان كان في اوائل الزمان مجاورا لخداياداد في تلك البلاد * وكان جده جعله ناظرا عليه * وفوض امور تربيته اليه * وكان كزا جافيا * وجلفا جاسيا * فكان يعامله بالفاظه * ويقابله بالكثافة

والغلاظة * وكان خليل سلطان لطيف الذات * ظريف الصفات *
نسيم اخلاقه لا تحمل من خدايداد زعازعه * وبرد مزاجه اللطيف
لرقة حاشيته لا يثبت لمجاذبة المشاقة والمنازعه * فتولد من تلك
القساوة * بينهما العداوة * وسعت بينهما الوشاة * الى ان دس له
مهلكا فسقاه * فكأنه احسه * فتدارك نفسه * وتعاطى علاجه *
وما يصلح مزاجه * فقضى الزمان ان نصل من تلك الداهية *
وليتها كانت القاضية * وبقي فيه من ذلك ارج * واورثته العرج *
فصارت العداوة الخاصة عامة * وغدت هذه
الفعلة لهذا المعلول علة تامة *

* فصـــــل *

ثم ان الله داد حلف لخدايداد * الايمان الغلاظ الشداد *
واكد هذه الايمان * بان استصحب معه القرآن * واشار اليه *
ووضع يده عليه * وزاد تاكيدا بايمان الطلاق * وبالالتزامات
والنذور والعتاق * انه لا يقبض عن طاعته يدا * ولا يستحيل
عليه ابدا * وانه ان توجه الى سمرقند يجهد في رأب ما انصدع

وردّ ما انقدع ورتق ما بين الجانبين انفتق * ورقع ما في خواطرهما
من الشحناء والعداوة انخرق * وان يجهز له توما ان احدى نساء
تيمور * وحاصل الامر انه تكفل بحسم مواد الشرور واصلاح الامور *
وان عجز عن رفع الشنان * ومحو سطور العدوان * فانه لا يستحيل
عن مصادقة خداين ادنى السرور الاعلان * وصار يتملق ويترقق *
ويتوصل بتمويهات زخارفه الى مجاري فكره ويتسلق * ويشد دايمانا
تزحف القلوب وتصدع * بالله الواحد ويثني بالطلاق الثلث من
زوجاته الاربع * وكان مخيمهم على ساحل سيحون ممتدا * وهو عن شاة
رخية نحو من بريدين بعدا * فعبر سهم خطله الى سويداء قلبه بمكر
ودخل * وغربله اذ طحن معه نا عما ما زرعه بيمينه في ساحله
ونخل * الى ان سمح باطلاقه * بعد تأكيد عهده وميثاقه * فرجع الله
ذاد الى وثاقه * واجتمع بحاشيته ورفاقه * وكانوا في شاة رخيه *
واخبرهم بهذه القضيه * وكان قد هيأ قبل ذلك امره * واخذ من
كل جهة اسلحته وحذره * ثم انه شمر للنزيل * وقطع سيحون
بالمراكب تحت جنح الليل *

ذكر لحوق الله داد بخليل سلطان * وحلوله مكرما معززا

في الاوطان *

وحين حصل على هذا الجانب * ولم يبق له في ذلك الجانب خاصة

ولا غائب * امر في الحال * بعكم الاحمال وشد الاثقال * واخذ

الاهبة * قبل النهبة * فافرغ عليهم سوابغ السلاح * واذن بصلوة

الرحيل قبل الفلاح * وقدم ضعفة اهله والاثقال امامه * ونقض بهذا

الاذان شروط الاقامة * وطير الى خليل سلطان مخبرا بهذه الاخبار *

وما جرى بينه وبين خدايداد وكان رصار * ويستمده باستقبال المدد *

وارسال العدد * لاحتمال ان خدايداد الايله * يتفطن لغائلة هذه

الفعله * فيخطر بباله رده * ويرسل وراءهم من يصدهم * ثم ساروا

كالسهم الصائب * وطاروا كالنجم الثاقب * فما اصبح لهم الصباح *

الا وقد ظهر لهم من السعد فلاح * وجازوا كل قاتم الاعماق خاوي

المخترق * وقطعوا طي انوال المسير مما اعدته مطاياهم من مزهر

الرياض الوان الشقق * فوصلوا بالسير سراهم * فسار وانهارهم

اجمع حتى غشيهم مساهم * وحين اخذ منهم اللغوب * وكل الراكب

والمركوب * وسدلت عليهم عنقاء الظلام الجناح * عدل بهم
الى بعض البطاح وحط عنه واستراح * ورسم ان توقد نار * ولا يطمع احد
في طعم النوم بغرار * ولا يشام في جفن طرف سيف ولا سيف طرف *
ثم التهموا ما يسد الرمق فصلوا صلوة الخوف فعبدوا الله على حرف *
وامهلوا ريثما قطعت الدواب العليق * ثم ارتحلوا وركبوا متن الطريق *

ذكر تنبه خداداد بان الله داد * خلب عقله بانكال وانكاد

ثم ان خداداد تنبه من رقدته * وارعوى من ليلته * وعلم ان
الله داد خلبه نهارة ذلك وسحره * وكسف شمس عقله ولعب به
في دسب حلقه وقمره * نعض كما يعض الظالم على يديه * وعبى في الحال
عسكرا جرارا وانفذه اليه * فاسرعوا وراءه * والتمسوا لقاءه * فلم
يروا له عينا ولا اثرا * ولا رووا عنه من اخبار حديثا ولا خبرا * فلم يزالوا
في طلبه حائرين دائرين * ثم غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين *
ووصل الله داد الى مقصده * فوجد وظيفة الوزارة شاغرة فاستولى
عليها بمفرده * اذ قيل دخوله كان شيخ نوراالدين قد خرج *
وشاه ملك وكل من رام العصيان كان قد دب ودرج * فابتهج بقدومه

خليل سلطان * وقدمه كما كان على سائر الوزراء والاركان *
فتمكن الله داد كيف شاء * وتصرف في معاني الملك ببديع بيانه
إخبارا وانشاء * وتعاطى في الحال تمهيد الامور * وتجهيز السرايا
وحفظ الثغور * فتراجع امر الناس وانضبط * وانتظم عقد الملك
بعد ما انفرط * واستقر حال الناس * وتمكنت القواعد على الاساس *
وكان هو وبزندي وارغون شاه وآخرون كجول يديرون مصالح
المملكة * ويسلكون بكل احد مسلكه * ولكن الله داد هو الدستور
الاعظم * والمشار اليه المفخم * وعليه مدار القبض والبسط * ونظام
عقود الحل والربط * واستمر شيخ نور الدين وخداداد * يغيران
على البلاد ويزيدان في الشرور والفساد * واستولوا على اطراف
تركستان * ومما لك تلك البلدان * منها بيرام وتاشكند * واندكان
وخجند * وشاه رخية وانزار وسغناق * وغير ذلك مما في تلك الاكناف
والآفاق * فكانوا يقطعون سنين * ويتوجهون الى ممالك ماوراء
النهر ويغيرون * فتارة يتوجه اليهم خليل سلطان * وتارة يجهز لهم
طوائف من الجند والاعوان * وعلى كل تقدير فانهما كانا

لا يثبتان وينهزمان * وسيأتي ذكر ذلك كما كان *

* ذكر ما وقع في تورزان * بعد موته من حوادث الزمان *

وأما المغول * فإنه لما اتصل بهم خبر ذلك الخذول * وكان بلغهم

أنه قتل صوب أحجار كيده إلى هشيم تلك الثغور * وفوق نبال قصده إلى خرق

تلك البطون والنحور * ولم يشكوا في أن ذلك شرك مكيده * وأحبولة

مصيده * فلم يقر لهم قرار * وتنادوا الفرار الفرار * وتشتتوا في البلاد *

وتشبثوا بأذيال القلاع ورؤس الأطواد * ولجأوا إلى الحصون

والجروف * وتماوتوا في قعر المغارات والكهوف * وكذلك كل ذي يمين

من أهل الدشت والشمال * وتوزعوا في الأحقاف والرمال * وصار

أهل المشرق والخطا إلى حد وذ الصين * من في ذلك الوجه يمرحون

لا يجدون ملجأ ومغارات ومدخلا لولوا اليه وهم يجمحون * والحق

أنه كان في هيبته وعتوه قد عرج * إلى أن أملك العالم

شرقا وغربا بالأزج * وصار

* كما قيل *

* تكاد قسيه من غير رام * تمكن في قلوبهم النبالا *

* تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم امتلالا *

* تكاد سوابق حملته تغني * عن الاقدار صونا وابتذالا *

فلما ترادف هذا الخبر * وتكرر سمر قند هذا الشكر * واشتهر اسناده حتى ترقى من الآحاد الى التواتر * وتقرر هذا الحق عند كل احد فلم يسع فيه جحود ولا تناكر * تراجع فؤاد كل الى جوفه * وتبدل امنا من بعد خوفه * وتنادوا يا للثارات * وشرعوا في شن الغارات * وقصد كل مستحق استرجاع حقه * وكل مسترق لمسترق استفكاك رقه * فاول من نهض من الشرق المغول * وقصدوا اشبارة وآسي كول * وامتدوا في تلك البلاد حتى جاوروا خذايداد * فهادنهم وصافاهم * وشرط لهم ردما اخذه تيمور من مآوائهم * وان يكونوا يدا واحدة على من ناوائهم * واحسن كل منهم مع الآخر الجوار * واطمأنت بواسطة هذا الصلح تلك الديار *

* ذكر نهوض ايدكو بالتتار * وقصده ماوراء النهر وتلك الديار *

ثم نهض من جهة الشمال * ايدكو بعساكر كالرمال * وتوجه بحزم وجزم * الى ممالك خوارزم * وكان نائبها يدعى موسيكا فلما احس

بالتتار * وخاف على نفسه البوار * اخذ اهله ومتعلقيه وسار * وذلك
بعد ان صحبت التتار الرومية المضافة الى ارغون شاه * وعبروا جيحون
وهو جمل ورجع ارغون شاه الى ماوراء * فوصل ايدكو الى خوارزم
واستولى عليها * واستطرد بخيله الى بخارى فنهب ما حواليها * ثم رجع
الى خوارزم وقد اذكى في البغتاى اللهيب انكى * وولى من
جهته في خوارزم وولاياتها شخصا يدعى انكا * فتهددت ايضا تلك
الاماكن * واطمأنت الطواعن والسواكن * بواسطة ان خليل سلطان
قابل كل من اساء اليه بالاحسان * وصار يسترضى كل ساخط * ويستدنى
بمكارمه كل شاحط * ويصطاد النفوس بالنفائس * ويفترس الاسود
بالفرائس * فاحبه الاجانب والاباعد * ورغب فيه كل صادر
وراد * غير ان شيخ نور الدين وخداداد * تماديا في الفساد
ولجا في العناد * فخرب ما تجوذب بين الطرفين من البلاد *

* ذكر بيرمحمد حفيد تيمور ووصيه * وما جرى بينه وبين خليله وليه *

ثم ان بيرمحمد ابن عم خليل سلطان * وهو الذى عهد اليه تيمور كوركان
بعد فوت اخيه محمد سلطان * خرج من قندهار * وقصد سمرقند

بعسكر جرار * وارسل الى خليل سلطان * وسائر الاكابر من الوزراء
والاعيان * بانه هو ولي عهده * وخليفة جده تيمور من بعده * فالسرير
حقه فاني يغصبه * والملك ملكه فكيف يسلبه * فكل منهم جاريه * بما يليق
وخاطبه * واما خليل سلطان فتصدى للمعارضه * وقابل كل مسئلة من
الخطاب بما ينا فيها من المعاكسة والمناقضه * وقال لا تخلو مساءلتنا
يا فلان * من ان الملك في هذا الزمان * اما ان يكون بالانتساب *
او يظفر به بطريق الاكتساب * فان كانت الاولى * فثم من هو احق به
مني ومنك وارلى * وذلك ابي امير انشاه * وعمي شاه رخ اعني اخاه *
فيكون بينهما بالسوية نصفين * فما لك كلام مع وجود هذين *
وانا اولى ان اكون صاحبه * فارعى جوانبه واسلك مذاهبه *
اما بان يقطع كل منهما المشاغبه * ويترك لي ماله فيه من ولاية
المطالبه * ويقنع بما هو فيه من مملكته ويحفظ جانبه * واما بان
يجعلني خليفته في سلطانه فاصون نصيبه واكون نائبه * وان كانت الثانية
فكلامك لا يستقيم * لان الملك كما زعموا عقيم * ومن قبلي وقبلك قيل *

في الاقاويل *

* شعر *

* صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم * و شمروا انها ايام من غلبا *

وان زعمت ان جدك عهد اليك * اوعول في وصيته لك عليك *

فهو من اين استولى الا بطريق التغلب * وانى حصل له ملك وملك

الا بالاغتصاب والتأثب * وعلى تقدير التسليم * وان امر وصيته

مستقيم * فانه كان في حيوته قسم بلاده * ووزع عليها اولاده

واحفاده * فولى والى مماليك آذربيجان * وقرر عمي في ولايات

خراسان * وابن عمي ببرعمر في عراق العجم وتلك الديار * وولاك انت

من جملة ذلك قندهار * وجعلك وصيه كما رسم واشار * وتحمل هو

المظالم وانتقل * فاين نصيبي انا من هذا الثقل * فاجعلوا حصتي

من ذلك ما استوليت عليه * وليقنع كل منكم بما تقرر فيه وفوض اليه *

ومع هذا ان تابعك ابي وعمي تابعتك * اوصادقاك على الوصية

وبايعاك بايعتك * وان سلكنا في ذلك طريق الحق * فالملك صيد

والاولى به من حاز فيه قصب السبق * وان الله ازاح علله اذ

شبثني باسبابه * واباحه لي مباحا ومن سبقت يده الى مباح فهو اولى به *

هذا وان كلاً من مدرسي فقه الملك تابعني * ومن له في عقود السلطنة
شركة ترك المضاربة * وطاوعني * وعقد عقد توليتي مرابحة * ولما وقف
على سيرتي القى الي السلم وبايعني * واما الوزراء والاعيان فاجابوه
بما لا طائل فيه * سوى ما تحجه اذن مستمعيه * غير ان الخواجا
عبد الاول وهو صدر صدور العلماء * والمتصرف في رؤساء ما وراء
النهر من السادات والكبراء * المنفذ سهام احكامه في جميع الامراء
والرعماء * اجاب فاجاد * واصاب وافاد * واختصر واقتصر * وهصر
من بير سعد ولخليل سلطان انتصر * فقال في جوابه * مجاريه
في خطابه * نعم انت ولي العهد * وخليفة الامير تيمور من بعد *
ولكن ما صادف طالعك سعد * ولو ساعدك البخت * كنت قريباً
من التخت * والاولى بحالك * ان تقنع بمالك ومالك * وتبقى
على خيلك ورجالك * وتضبط ما في يدك من ممالك * وان ابيت
الا طلب النما * ولم تقنع بما قسم الله لك وقضى * وخرجت من مملكتك
الى هذا الفضاء * فانك تقع في العناء * وتخرج ولا ينك من يدك
فتصير من بدّ بالا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء *

ذكر تجهيز خليل سلطان سلطان حسين لمناصرته * وخروجه
عن خليل سلطان وقبضه على امرائه ومخالفته *
ثم ان خليل سلطان لم يقنع بذلك فاتفق هذه الاقوال * واردفها بحقائق
الافعال * وامر بتجهيز جند مجند * الى استقبال بيرسق * واضافهم
الى ابن عمه والده السلطان حسين * وعين فيهم من امراء الجغتاي
كل رأس وعين * وضم اليه الظهور والاعضاد * ومنهم كجول وارغون
شاه والله داد * فساروا سايغي العدة * كاملي العدة * وذلك في ستة
سبع منتصف ذي القعدة * فعبروا جيحون الى بلخ وخيموا في ضواحيها
واتيشوا في اقطارها ونواحيها * وبينما هم مرفهوا الحال * فارغوا البال *
قريروا العين * تمارض السلطان حسين * ثم انه دعا الامراء *
ليقرر معهم فيما هو بصدده الا راء * وقد كمن لهم كمينا *
وارصد لهم الرجال شمالا ويمينا * وحين ولجوا خيمه *
ودخلوا كيمه * وثب عليهم وثوب الليث على الفريسه * واغرى
بهم اسوده فوقعوا فيهم وقوع الجياع على الهريسه * ثم نادى من
معه من الرفاق * ضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق *

وكان كما ذكرنا طيش وشجاعه * وتهور وقاعه * وصولة وجوله *
يسبق فعله قوله * فاهريق في تلك الساعه * دم واحد من تلك
الجماعه * يدعى خواجا يوسف وكان في حيوة تيمور * نائب الغيبة
بسمرقند وهو امير مشهور * ففي الحال قتل * والى الدار الآخرة
نقل * ثم استقل لنفسه بدعوى السلطنه * ودعا الخلائق من ههنا
ومن هنه فدهشت اوائك الرؤس * وعلموا انه قد حل بهم النقم والبوس *
ذكر خداع الله داد سلطان حسين * وتلافيه تلافه بالمكر والمين *
غير ان الله داد ثبت جاشه المزؤد * واستحضر تلك الساعة عقله
المفقود * فابتدر سلطان حسين منادیا * واستثبته في امرهم
مناجيا * وقال له بعبارة فصيحه * ان لي اليك نصيحه * ثم استخلاه وقال *
انا كنت مترقبا منك هذه الفعال * ومترصدا منك اظهار ما انت بصدده *
ومن اين لخليل سلطان ان يحتوي على الملك بمفرده * غير ان هيبة
مولانا السلطان باسطه * ولم يكن بينه وبين الملوك واسطة مبا سطه *
ولو كان عندي من ذلك ادنى شعور * لرتبت المصالح على ما تقتضيه
الاوامر الكريمة والامور * ثم ان الخاطر الكريم * يشهد بصدقي

هذا الحديث وانا عبدك من قديم * وسل من كان من المماليك
والاجناد * الذين كانوا محصورين في امر خدايداد * من خلصهم
من حبائل امره * وانقذهم من صرام ضره * واطفأ عنهم ما التهب
من شرار شره * اذ لولا انا لكان اباده وابتاع اولاده * وفجع بهم طريفهم
وتلاده * فانك ان تسلهم تخبروك * وعلى حقيقة الامر وجلية
الحال يظهروك * وربما اخبروك بذلك لما اتوك * ومع هذا استقبت
قلبك وان افتوك وافتوك * ولازال يطفئ بماء خزعبلاته شواظ نقرعنه
وليبه * ويذكي في خياشيم رعونته عنبرا حتيا له متمسكا بمسكه
وطيبه * ويرمي عن قوس ختله الى سويداء اختبالاته نبال مكر انفذت
فيه نصال القضاء والقدر لانها كانت مصيبه * فاشرب مكره * وتبع امره *
وجعله ظهره * واستقدح في اموره فكره * ثم انه بعد ان امتن عليه
باستبقائه * استشاره في قتل رفقائه * فقال له لاشك ان خليل سلطان *
ملك الناس بالانعام والاحسان * وهو وان كان في الشجاعه *
قاصر اليد قليل البضاعه * لكن استعبد ابطال الرجال * بحسن
الخلق وبذل الاموال * غير ان المال * بمعرض الفناء والزوال

وانت بحمد الله مأثرك مشهورة * ومنازل مناز لاتك الابطال معمورة *

ورايات كرك قرون الاقران على جبين الكباش منشورة *

وروس مناطحاتك ثيران الوغى على قرون الزمان ابدا منصورة *

* قلت *

* فكم لزرت شجاعا في البرازفمذ * رأى محياك ولى ضارطا وجرا *

* مذ كنت راسا رعينا في الحروب ارى * في رأسك الفتح بل في عينك الظفرا *

وانا اعلم ان عامة الجند سيبتهج بطلعتك * ويرقص فؤاده لحصول

سكونه فرحا بحركتك * فانه لابد لهم من راس يسوسهم * وضابط همام

يصان بتدبيره نفائسهم ونفوسهم * وقرم كالليث الخادر * والسيل

الهامر بل كالبحر الغامر * منصور ان دعا وان دعي فناصر *

موصوف بما قال

الشاعر *

* اضاف الى التدبير فضل شجاعة * ولا رأي الا للشجاع المدبر *

وبما قال * شعر *

* ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها *

وهل ثم في هذا العنصر موصوف بهذه الصفات الا انت * وما النجدة والكرم والحسب الا راحل حيثما رحلت وساكن اينما سكنت * ولو حدث شاه ملك وشيخ نور الدين * ان وراء ما منك الحصن الحصين * لا سندا اليك رواية السند السديد * ولا ويامن جنابك العالي الى ركن شديد * وحاصل الامر انك مولى الكل وجميعهم لك عبيد * واذا كان الامر كذلك فقد ملكتهم * فسواء عندك ابقيت عليهم او ابدتهم * ولكن الابقاء اولى * ولا زالت العبيد تترقب مراحم المولى * فان اقتضى الرأي السعيد ان نكون كلنا موثقين في الحديد * مع زيادة قيد ايمان اكيد * فرأيه اعلى * واتباع ما يقتضيه احرى واولى * فاقتفى رأيه * واتخذه علما لامور ورايه * فاستتبعه لحينه وقال اسلك ورايه *

* ذكر اخذ سلطان حسين على الامراء الميثاق * ومشيه على خليل سلطان وهم معه في الايثاق *

ثم انه احضر الامراء * وهم في قبضة سطوته اسراء * وقد ناح كل من متعلقيهم منهب ناحيه * وتوجه الى دار كل المخبرون فقامت عليهم

اتباعه والتابعيه * واوثقهم بقيد الحديد والايمان * بان يكونوا معه
في السراء والضراء على خليل سلطان * فمد كل منهم الى القيد رجله
والى اليمين يده * وعاهد على ما يختار ان يقدم له نفسه واهله وماله
وولده * فحين استوثق منهم * ازاح بالامانى السوء عنهم * وتركهم
موثقين في البند * ونكص قاصدا سمرقند * وارسل الى خليل سلطان
يخبره بما دب من امره ودرج * فليستعد لما رزئه فيها هو قد عبر
جيحون وخرج * وانه هو ايضا طالب من ملك خاله جحته *
ومنازع خليل سلطان في السرير منصته *

* ذكر تبريز خليل سلطان من سمرقند * لملاقاة سلطان حسين * بطوائف
جنده * ورجوع سلطان حسين مما يرومه بخفي حنين *

فاستعد له خليل سلطان * وخرج من سمرقند لاستقباله في اشرع
زمان * ثم ان السلطان حسين احضر الله داد * ومن معه من الشياطين
المقرنين في الاصفاد * واستأنف عليهم العهود * واكد عليهم قيود
العقود * واحل كلا منهم محله * واجار عقده وحله * وخلع عليه واجازه *
واحترم حرم حقيقته ومجازه * وبث باقعاله الى متعلقيهم وهش *

وسار بهم حتى وصل الى مدينة الكش * والله داد كان قبل ذلك بزمان *
ارسل الى خليل سلطان * يخبره بوقوع هذا الهم * وما جرى عليهم
من شرور وما تم * ثم قال له ان فالك سعيد * وامرك حميد * فانهض
برأي رشيد * وعزم سديد * وجناحي حديد * فان ضدك مصيد * والله تعالى
ناصرك قريبا غير بعيد فلا تخف من كيد كيد * وان كنت طفلا فانك متى شبت
اهواء القلوب نسمات محبته فصرت شيخ السلطنة وكل الانام لك مريد *
فوصل خليل سلطان * الى ذلك المكان * فعبى السلطان حسين جيشه *
وستعمل تهوره وطيشه * وجعل الله داد على الميمنة * ورفيقه
على الميسرة * ولما تراءى الجمعان * وتدانى الزحفان * وحقت الحقائق *
وسلت المصائق * وتعادت الاسود والعرانق * وبادر كل منهم
من مكانه * وقصد كل من الله داد واقرانه عساكر خليل سلطانه *
فتخبطت عساكر السلطان حسين * وسلب ثوب عزه فنبذ بالعراء ملتحفا
من ظنونه ثوبي خيبة وحين * ورده من البلاء ما انساه سلبه فرجع
يختفي حنين * ومر على وجهه قاطع الفلاة * حتى وصل الى ابن خاله شاه رخ
صاحب هراة * فلم تطل له عنده مدة * فاما سقاه مهلكا واما مات

حتف انفه عند ذلك * فكان ذلك آخر العهد بسلطان حسين *

ورجع خليل سلطان الى دار ملكه قرير العين

بقية ما جرى لبيرمحمد مما قصده من فرح وهم * وكيف

آل ذلك الى وبال وحزن فنقض ما تم *

ثم ان بيرمحمد تمادى في خروجه * واستمر يرتع في روض المطلب

ومروجه * وتكررت بينهما دروس المراسلة * وتحررت مسائل ما يعد

معاولة المقاولة * ان ينزلوا منازل المنازلة * ويحلوا بروج المقابلة

والمقاتلة * وكان متولي امور ديوانه * ومشيد قواعد ملكه وسلطانه *

شخصا يدعى بيرعلي تاز * حامي حقيقة باب الملك وحارس الحجاز *

سرة بطحاء مملكته * وقطب سماء دائرته * وقدرة علماء عوالمه *

وقوة خوافي عسكره وقوادمه * فجرد من عساكر قندهار * كل طويل

لوى مال على قندهارها * وتوجه بعزم امضى من البتار * وحزم انفذ

من الخطار * قائدا ذلك الجحفل الهزبر * والسيل الترثار * والغمام

المدرار * حتى وصل الى جيحون فوقف منه التيار * ثم امر ذلك البحر

العجاج * ان يركب من جيحون الاثباج * ويصادم منه تلاطم

الامواج * فمرج الله البحرين هذا اعذب فرات سائغ شرابه وهذا
ملح اجاج * فخروا منه بسقيهم النحر * وجاوزوه مجاوزة بني اسرائيل
البحر * وسار ذلك الاخشب * حتى ارسى على ضواحي نخشب *

ذكر مقابلة العساكر الخليليه * جنود قندهار بصدقنيه * والقائهم
بهزيمتهم اياهم في اشر بليه *

وكان قبل ذلك خليل سلطان * قد نجز امره كما كان * ونفث اعطار
منديل الايثار * وقوى العزائم على الملوك بالاستظهار * ليجنوا
من اشجار الجرايات وثمار الادرار * ما يستعدون به للملاقاة شياطين
قندهار * فلبى دعوته العام والخاص * وكل بناء من عفاريت الجنود
وغواص * واجتمع من اعيان * اولئك الاعوان * كل مطيع مقتطف
ثمر احسان * ذلك البستان * من انس وجان * وجاء ذلك البحر
افواج امواج العساكر من كل مكان * وهم مابين رؤس البختاى
والبختا * وكل فرعون من بلاد تركستان قد علا وعتا * وفوارس
فارس والعراق ورستمدار * وجان قربانية خراسان والهنود والتتار *
ومن كان تيمور * اعد لمضائق الامور * ولم يفارقه في سفر ولا حضر *

وارصده لكل فائتة من خير وشر *

* شعر *

فوارس لا يملون المنايا * اذا ادارت رحى الحرب الزبون *

فاستأنف عليهم فوائح الفتوح * واستنجب منهم لما دهاه كل صديق

نصوح * واسبغ عليهم من درر عطاياه السابغات * وضاعف على

قامة املهم من خلع انعامه المضاعفات * ففتحت عليهم الارض خزائنها *

وصبت عليهم من معادنها وفلزاتها ظاهرها وكامنها * فصار

كل راجل منهم وفارس * وقد تجلى فيما تحلى به من تلك النفائس *

يزري بحسن هيبته على مخدرات العرائس * فسارعوا ونسمات النصر

من انفسهم فائحة * ولمعات الفتح من بوارق بيارقهم لائحة *

والسبع المثاني لابواب النجح والفتوح في وجوههم فاتحة * ولازال

ذلك الرأس يزهى ويمشي * حتى حطت على ضواحي قرشي * وهي المدينة

المذكورة * فاستقرت تلك العساكر المنصورة * وذلك يوم الاحد

مستهل شهر رمضان * سنة ثمانمائة وثمان * فبات كل من ذينك

البحرين وقد ضم ذيله * وكف عن النهب والتبديد سيله * وحفظ

من الاغيار رجله وخيله * واحيى فى معتكف المراقبة الى الصباح ليله *

* قلت *

انى ان بدا لمع الضيا فى ظلامه * يلوح كموج الماء من عجف طحلبه *

ولما سل الفجر صارمه الفضى وابرز ابرز تزرسه * ومسح على لوح البر

حاطرسه مسود الليل من دخان نفسه * تهيأ كل من اولئك الاطواد

للاصطدام * واشتعلت فى قلوب تلك القبائل نار الحمية للاصطلاء

والاصطلام * فعبى كل عسكره مايمن ميمنة وميسرة * ومقدمة وموخرة *

ثم تداوروا وتكاثروا * وتعاركوا وتعانقوا * وتواجزوا وتغانوا * وتعانقوا

وتهانوا * وتناجزوا وتفانوا * والتقت الرجال بالرجال والخيل بالخيل *

وارتفع ظلام القتام الى رؤس الاسنة فرأوا فى صلوة الظهر نجوم

الليل * وجرى فى ذلك القسطل من كل قناة عيون السيل * ثم عند

منتصف النهار * انكشف الغبار عن ان طود قد هار هار * وسعد اولئك

الكبار بار * وعليهم غبار العار ثار * وخبرهم بالانكسار سار *

وضيت خليل سلطان الى الاقطار طار * والى الآفاق بالانتصار صار *

فولى يبرمحمد وطى راسه بحر الدماء مار * وفى قلبه زنا دالبوار وار * حتى

كأن في قلبه جمر الغضا والغارغار * اوفي كبده نار لهب المرخ والعفار *

وجندلت رجاله * وابطلت ابطاله * ونهبت اثقاله * وتحولت

احواله * وسبي حريمه وعبيده * وسلب طريفه وتليده * وتشبث

هو باذيال الهزيمه * وعلم ان ايابه سالما نصف الغنيمه *

* كما قيل *

* ايابك سالما نصف الغنيمه * وكل الغنم في النفس السليمه *

ورجع خليل سلطان * وقد استتاربه الكون والمكان * واسفرت

دولته * واستطارت صولته * وشكر الله المليك * واتم صيام رمضان

في مكان يسمى جكل ليك *

ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان * ومجامدتهم بالخروج

وتصدهم الاوطان *

ثم في ليلة الاثنين غرة شوال * خرج من العراقيين الرؤس والابطال *

ومعهم حريمهم واتباعهم * واولادهم واشياعهم * وكبيرهم شخص يدعى

حاجي باشا * وهم جارون تحت امرة كيغماشا * وكانوا ذوي صولة

وجولة * وصحبتهم السلطان علاء الدولة ابن السلطان احمد البغدادي

لصلبه * وكان قد وقع في امور تبمور فسجنه في سجن محنته وكربه *
فافرج عنه خليل سلطان * وجعله عنده ذا مكانة ومكان * فبينما
الناس مشغولون بامور العيد * رفع ايديهم اولئك الصناديد *
وكأنه كان تقدم لهم بذلك مواعيد * فخرجوا تحت جنح الليل *
وشمروا نحو عرائس العراق الذيل * وطلقوا محمد رات ما وراء النهر
وحالوا عنها كل الميل * لانهم كانوا استمعوا ان دار العراق انزلت بانيها *
وميادة النهر سلطنتها عادت الى مجاريها * فلم يقف احد امامهم
ولا مشى خلفهم * ولا قدر على ان يربط عن السير رجلهم وكفهم *
فقطعوا جيحون ووصلوا الى خراسان * فتصدى لهم كل من سمع بهم
من كل مكان * فانفرط نظامهم لعدم اتفاقهم * فتقطعوا في البلاد قبل
وصولهم الى عراقهم * واين ايران من توران * ودجلة من جيحان *
فعاد خليل سلطان في ذلك المكان * ثم الوى راجعا الى الاوطان *

ذكر ما فعله بيرمحمد بعد انكساره * وما صنعه بعد وصوله الى قندهاره *

ولما وصل بيرمحمد الى قندهار * واستقرت به الدار * تلملمت امورة *
وحامت حول قصورة صقورة * ودارت من سيارات عسكره بدورة *

يلدورة * وتسعرت سمومه وحروره * وتطايرشراره وشرروه * فتارق
وتمرق * وتحرق اسفا قلبه وتخرق * وتمزق غيظا اديمه وتغرق *
وكان ذا حماقه * وقلة لباقه * فطير اجنحة مراسيمه * الى سكان
اقاليمه * واستنهض على خليل سلطان كل حبيب صحيح الود وكليمه *
واستطب لجريح قلبه كل قريح الطعن والضرب وكل لديغ القلب وسليمه *
فلبوا دعوته بالاطاعه * واجابوا نداءه بالسمع والطاعه * ثم سالت
الاودية والجبال * بالخيل والرجال * وارسل الى خليل يقول *
ضمن كتاب مع رسول * ان اول مصابنا كان فلتة فتمت * وشرارة
تسومل في اطفائها فالتهبت وطمت * ولو اني استقبلت من امري
ما استدبرت * وتحذرت ما استحقرت * واستكبرت ما استصغرت *
لانتصرت وما انكسرت * ولعثرت على مرادي وما عثرت * ولكن اضعت
الحزامه * فحرمت السلامه * وتناولت امرك بروس الاناميل فاكلت
يدي ندامه * مع ان صلابة جندك * وقوة ظهرك وعضدك *
ونبال نبالتك وساعد سعدك * وعضب عضبك ورمح رشدك *
وحد صارمك وصرامة حدك * انما كان رؤس العراق * وما حصل

لك منهم من الاتفاق * واما الآن فقد وقع منهم نفاق * واتفق لك منهم عدم اتفاق * وظهر تباعد وشقاق * فقد لذ لك كيدك * واختل فكرك وجندك * وها انا قد جئتك بجند جديد * وبالسيف والحديد * فاستعد للقاء * وتيقن عدم البقاء * فان الحرب كما علمت سجال * وكما أديل لك علينا بالامس فان غدا لنا عليك يدال *

ذكر توجه بيرمحمد لمقابلة خليل سلطان ثاني كرة * وما حصل عليه في ذلك من كرة وفرة * وتوليته الدبر كما بدا اول مرة *

ثم توجه بتلك الجنود والاعوان * وقطع جيحون ووصل الى مكان يسمى حصار شادمان * فتوجه اليه خليل سلطان * ومعه من عساكر الرجال والفرسان * وجرار الجيش وقبله وفدادعه ما يجري من الدم الطوفان * فمر بتلك الاطواد والبحار * وعبر وهو ما بين راس وسار * حتى وافى جنود قندهار * وكان كما ذكر من قبل * قد قدح في حراق احشاء العساكر القندهارية من خوف نار الخليل زناد النبل * فكانوا ملسوعين والملسوع يخاف من جر الحبل * فقبل ان يزعق النفير ويضرب الطبل * نفر من كل فرقة منهم طائفة * وتنادوا

ارفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة * فالبس ببير محمد
خلعة الخلع * ولم يكن له بها طوق فاقلع الى القلعة القلع * واوصد
الابواب واحكم الاسوار * واستعد في حصارشاد مان للحصار *
فاحاط به من العساكر * كل جارح وكاسر * ودار عليه من بني يافث
كل سام وحام * وجد في المحاصرة منهم كل طاعن وضارب ورام *
فتندم ببير محمد * على ما قصد في ذلك وتعمد * وتذكر ما قال له
اول * الخواجا عبد الاول * لكنه اعتذر * بالقضاء والقدر *
فرماه القضاء بسهم جواب * اجاد فيه واصاب

وقال

* وعاجز الرأي مضياع لفرصته * حتى اذا فات امر عاتب القدرا *
فانعكس منه كل رأي وفال * وتغير عليه كل امر وحال * وذهب عنه
منعطفا ما بيده من ملك ومال * ونفر عنه كل اسد اصلى للحرب نارا
حامية للاسطا على حام وصال * ورجع عنه لسوء تدبيره كل ذي قرابة
حين لمع له بالامانيّ الكاذبة كل سراب رآل * وتمزقت شقق تدبيره *
على منوال تفكيره * سدى ولجمة فلم يبق له من دون الله من وال *

* ذكر ما منعه بيزعد من حيلة * عادت عليه بانكارة الوبيله *

لان جدّ واما كانت قليله *

ولما عدم حوله * اخذ في اعمال الحيله * فاستدعى عدّة مضبوطه *
من الجاود المخطوطه * الجيدة الدباغ * المصبوغة بالوان الاصباغ *
ثم فصلها لبوسا * لكل بوسا * وسمّر عليها المرايا المصقوله * وبعض صفاح
مصقوله * وموّهها واحكمها بالمسامير * واحضر من سوقة بلده رؤس
الجماهير * واستكثر من الرعاع والهمج الجموع * ثم احضر تلك
اللباس والدروع * ووزع على تلك الوزر والظهور هاتيك النطوع *
فصار كلما صارت الشمس بازغه * اصعد الى الاسوار وخارج البلد
تلك الاسود وعليهم تلك الدروع السابغه * فاذا رآهم الناظر من بعيد *
توهم رجالا ولم يعلم انهم بندق العبيد * واذا اتوا آتي ذلك الهماء *
والخيتعور الذي يملأ الغضا كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء * واستمر
على ذلك مدّة * يقاسي معاناة ويعاني شدّة * وكان الذي تعاطى هذا
المكر الجلي * دستور مملكته امنيي بيرطى * ومع ذلك كله لم تنفعه هذه
الحيله * وعادت عليه انكارة الوخيمة ووساوسه الوبيله * وانكشف

خيرة * وانهتك ستره * فضاق ذرعا وتضرم منه ياع المجال * ومن

ينقص عدده وعدده وزاده الى ضر النكال *

* ذكر اعتراف بير محمد انه ظلم * وطلبه الصلح

والمقابلة المسلم *

فبسط بساط التضرع * وطلب وسائط التشفع * وعلم انه لا عاصم

من امر الله الا من رحم * فنا شد خليل سلطان الله والرحيم * وقال معتذرا

عما قلت *

* يعطي الكريم ولا يمل من العطا * والعفو شيمته اذا وقع الخطا *

فاجاب خليل سلطان مقاصده * وتأكدت من الطرفين معاقدة

المعاهدة * بان لا يقصد احد منهم بلاد صاحبه * واذا كان الله تعالى

رفعه لا يضع من جانبه * ويسلم اليه ما في يده * ويبقى على الود الصداقة

في يومه وغده * ثم تحالفا * ان لا يتخالفا * وتوافقا ان يتوافقا *

وتصادقا ان يتصادقا * وتفاوقا على ان يتوافقا * وتوافقا ان لا يتنافقا *

وراقبا الال والذمة * وراعيا القرابة والحرمة * وانشمر كل عن صاحبه

بما معه من فيئه * وذلك في سنة

تسع وثمانمائة *

* ذكر مخالفة وقعت بين بيرطى وبيرمحمد * ازاحت ثوب الحيوة عنهما * واراحت مخالفيهما منهما *

ولما وصل بيرمحمد الى وطنه * واستقر بين خدمه وسكنه * خرج عليه بيرطى تاز * واستقل بدعوى الملك وامتاز * ثم قبض عليه وكبله * ثم انه خذله رجله * وشرع يقول * وهو يصول ويجول * امور الدنيا اضطربت * واشراط الساعة اقتربت * وهذه دولة الدجالين * وان تغلب الكذابين والمحتالين * مضى تيمور وهو الدجال الاعرج * وهذا زمان الدجال الاقرع * وسيأتي بعد هذا الدجال الاعور * وان كان احد يخرج من قرع باب السلطنة فانا اقرع * فلم يجب احد من الزوار والاذناب سؤاله * ولا انتفع بما اقر عينه وانعم باله * اذ لم يوجد في تناول هذا الامر المحظور من مبيح * ولم يكن لذلك الوعد في مهام الملك غير المنيح والسفيح * فدعا ارباب مماليكه تضرعا وخيفه * فكشر كل في وجهه انيابه وجاذبه هذه الجيفه * فلم يبق له قرار ولا ثبات * فسل يده ومد رجله صوب صاحب مراة * فبمجرد وقوعه عنده في شرك

الاقتناص * قبض عليه واجرى عليه احكام القصاص * وصفت له
الممالك قندهار * من غير مضارب ولا مضار * واستراح خليل
سلطان ايضا من الانكاد والمضار *

* ذكر ما وقع من حوادث الزمان * في غيبة
خليل سلطان *

وفي هذه السنة بادرت بالهجوم * تتار الروم * ووصلوا بالعزم * وقطعوا
جيحون بالرجل وهو جمع من خوارزم * وقصدوا بلادهم * فتصدى
لهم من كل جانب من شتتهم وبادهم * وحصل لهم من عدم الاتفاق *
ما حصل لعساكر العراق * وايضا في غيبة السلطان خليل * واشتغاله
بهذا السفر الطويل * اغتنم الفرصة خدايداد شيخ نورالدين فتوجهوا
الى سمرقند مطمئنين * واخذوا عليها * ونهبوا ما حواليها *
فتحصنت منهم * وترفعت عنهم * فنهبوا خارجها ورجعوا *
ونحو بلادهم انقلعوا *

* ذكر تجريد خليل سلطان الاجناد * وتوجهه الى شيخ
نورالدين وخدايداد *

ولما رجع خليل الى سمرقند * اراح طوائف عسكره وجنده * ثم دعا
اصحابه * ووجه نحوهما ركابه * وهيأ انصاره واطلابه * وسار بتلك
القبائل المضطرمه * والاسود الحوادر والفحول المغتلمه * واستمر
ذلك الطود الركون * بين حركة وسكون * حتى وصل الى سجستون *
وحين شرع ذلك الطور * والتار ذات النور * على نهر سجستون
في العبور * رأيت البحر المسجور * فاذعن له شاه رخية وخجند *
وتحصنت منه تاشكند * فتوجه لحصارها * وعزم على هدم
اسوارها * فبعد ان حاصرها مدة * واذاقها لباس الجوع والشدة *
لجأت الى طلب الامان * وسلمت اليه قياد الاذعان * فاجاب
سؤالها * ورقح بالصلح حالها * ثم قفا آثارهما *

طالبا دمارهما *

ذكر ايقاد شيخ نور الدين وخدايداد نار الخليل لحرقاد *

فاطفأها الله تعالى ووقاد *

وكان خدايداد وشيخ نور الدين يحومان حول الحمى * ويترقبان
من فرص النهب والسلب معاني عسى ولعلما * فتوجه وراءهما * ولام

لقاءهما * فجعلا يرحلان بمرأى منه ومسمع * وينزلان بمأمل فيه ومطمع * وجعل يقتفيهما في كل منزل * فاذا رحلا يتبع قفاهما وينزل * وكان خليل سلطان معتمدا على عسكره * مستيقنا بحلول نصره وظفره * فكأنه في بعض الليالي غفل عن التحرس * وكان لهما في جيشه من دأبه التجسس والتحسس * فخيبه الظن وخانه * وحط على مكان يسمى شرانخانه * وكان قد تقدم على الثقل * فطار جاسوسهما اليهما بما فعل * فاقبلا كالسيل * وبيتاه بالليل * فخرج من عسكره جماعه * وكأنما قامت القيامة في تلك الساعه * ثم تركاه وردا * وفرا عنه وذلا * وتشتتا في المهامه والمواهي * ومن أين للسلطان اقتناص الحرامي * فكف عنهما عنان الطلب * وقصد بالسلامة ديارة وانقلب *

ذكر مفارقة شيخ نور الدين خليل اد * وتقاسمهما تلك البلاد

ولما كانت مودة خليل اد وشيخ نور الدين كالغبار * وأسامي ما بينهما من الصداقة كمن أسس بنيانه على شفا جرف هار * اختلفا * وما ائتلفا * وتجاذبا شقة الشقاق * ونفق في تبايعهما بضائع النفاق *

ولم يعلم احد من راق * وظن انه الفراق * فقهقر شيخ نور الدين
نحو سغناق * واستولى على تلك الاطراف والآفاق *

ذكر رجوع شيخ نور الدين الى الاعتذار *
والتنصل عن خليله مما كان منه وصار *

ثم راسل شيخ نور الدين خليل سلطان * واعتذر عما صدر منه
من العصيان * وطلب منه ان يقابل اساءته بالاحسان * ويرجع اليه
عوائد صدقاته كما كان * فاجابه الى سؤاله واسبل على سوءة جزمه
ذيل النسيان * وارسل اليه امرأة جدته تومان *

* فصـــــل *

ولم يزل على الوفاق * وشق شقة الشقاق * مرتبقا ربقة الرفاق *
حتى وقع خليل سلطان فى الرباق * وصفا لشاه رخ سمرقند وراق *
وتوجه اليه شاه ملك مظهرا الصلح ومضمر النفاق * واستنزله بالمكر من قلعة
سغناق * بعد ان احكما العهد والميثاق * ووقع بينهما الاتفاق *
وان يتلاقيا ركبانا ويتباثا الاشواق * بعد السلام والاستسلام
والعناق * وكان في جماعة شاه ملك شخص يدعى ارغوداق * ثم اقبل

شاه ملك بجماعته * ونزل شيخ نور الدين من قلعته * وسار شاه ملك
وحده * من غير عدة وعدده * وتعانق هو وذلك المغرور * وبثه ما نابه
في غيبته من أمور وسرور وشرور * فأكد عليه الميثاق والعهد *
وقصى كل منهما ما يفعله الآخر من بعد * ثم ودعه وانصرف *
واتصل بجماعته ووقف * وسار كل من جماعته بمفرده * الى مصافحة
شيخ نور الدين وتقبيل يده * حتى انفض النوبة الى ارغوداق *
فتوجه بما اضمره من الخداع والنفاق * وكان في الشجاعة أسدا *
وكالفيل قوة وجسدا * فوصل اليه * وقبل يديه * ثم التزمه
عناقا * واحكمه اعتناقا * فاقتلعه من سرجه * واهبط نجمه من برجه *
وقطع راسه * وفجع به ناسه * ولما سمع بذلك شادرخ * طفق يندب
ويصرخ * ولعن شاه ملك ونهره * وضرب ارغوداق وشهره * لكن
ما امكنه وصل ما قطعاه * ولا غرس ما قلعاه * كما قيل * وليس لما تطوي
المنية ناشر * واستمر مدة لا ينظر اليهما * ثم بعد ذلك رضي عليهما *
واستمر خدايداد * متشيثا باذيال العناد * مشتركا بين العتو والفساد *
غير مسلم الى الصلح القياد * الى ان اباره الدهر وابادا *

وسنذكر كيف جاد باعدامه واجاد *

ذكر امر خليل سلطان ببناء ترمذ التي خربها

جنكيزخان * وتجهيز العساكر لهذا الشان *

ثم في شهر صفر سنة عشر وثمانمائة * ارسل خليل سلطان من الجنود فئة *
واضافهم الى الله داد * وضم اليهم من رؤس الاجناد * الياس
خواجا وابن تماري منصور * وتوكل قرقرا ودولة تيمور * الى
ترمذ مع آخرين * ليعمروها فاستمروا سائرين * حتى وصلوا الى
ترمذ * فجمعوا في الحال احتياجاتهم من الاحجار والاخشاب والقرمد *
ثم تقاسمت تلك الرؤس ابدانها * وعلموا عن ان يتسوروا قلة اسوارها
وجيطانها * وجعلوا يعملون ولا يلبثون * ويبنون بكل ربع منها آية
يعبثون * وتركوا بالنهار الكلاء وبالليل نوما * فاتموا بنيانها في نحو
من خمسة عشر يوما * وحين ميزوا محلاتها * وفرزوا دورها وطرقاتها *
ورفعوا اعلام مساجدها ومناراتها * وبنوا مواضع اسواقها وابياتها *
امروا الباقين * من ذرية النازحين عنها من اهلها * وكل من رحل
من خراب وعمرها الى عمران سهلها * ان يرجعوا اليها * ويخيموا عليها *

وكان اولئك المساكين * قد استوطنوا منها البساتين * وبنوا
فيها اسواقهم وبيوتهم * وجمعوا فيها اسباب معائشهم وقوتهم واستمر
ذلك من وقت جنكيزخان * الى وقت تيمور كوركان * فكانوا في وطنهم
آمنين * وعن حركات الانزعاج والتقلقل ساكنين * فلما مات
تيمور * وحدث شرور وامور * اراد خليل سلطان ان يصونهم *
فارسل من شيد حصونهم * وكانت الجبيلة عن العتيقة نحوا من فرسخ *
* فصارت العتيقة احصن من الجديدة وارسخ * لاسيما وقد طمى البانون
منارها * ونهر جيحون يصانع اقدام طود حمل اسوارها * بخلاف
الجديدة * فان قصور مساكنها غير مشيدة * وهي عن النهر بعيدة *
فلما نادوا الناس ان ادخلوا الى دار قراركم * فكأنهم كتبوا عليهم
ان اقتلوا انفسكم واخرجوا من ديارکم * فلم يثقل الله داد عليهم *
ولا اكترث في ذلك ولا التفت اليهم * ولم يظهر في ذلك عنادا * ولكنه
حشر قنادى * ان كل من سبقت يده من اهل البلد * الى شيء من منه
الاماكن والعمائر الجدد * فهو له من غير منازع * ولا ممانع
ولا مدافع * ثم امر بانتقال الخبازين * والقصابين والطباخين

والسمانين * وميز لهم منزلهم ومأواهم * ولم يتعرض لمن سواهم *
فجعلوا يبيعون على العساكر ويشترون * ويربحون في ذلك ولا يخسرون *
فاختل نظام سائر الجمع اذ الانسان مدني بالطبع * فالجأهم الاضطرار *
ان يتجمعوهم بالاختيار * فتفقد ما يليق به احوال كل من كبيرهم
وصغيرهم * وقرر على ما اقتضته اوامره قواعد امورهم * ثم جمع
رؤس جنده * وتقل الى سمرقند *

ذكر ما فعله شاه رخ من جهة خراسان * في مقابلة ما فعله خليل سلطان *

ولما سمع شاه رخ بما فعله خليل سلطان * جهز طائفة من عساكره
خراسان * وجعل عليهم ذلك السحاب المنجاب * من بحر امراء
يدعى مرزاب * وهو اخو جهان شاه * الذي كان تيمور على محاصرة
قلعة دمشق ولاده * وامر رؤس تلك الجنود * ان يبنوا قلعة تسمى
حصن الهنود * وهي من اقصى بلاد خراسان * يفصل بينهما وبين
ترمذ نهر جيحان * ففعلت من البناء العساكر الخراسانية * نحو
ما اعربت عنه العساكر الخليلية السلطانية * وفي اثناء مدة البناء تواصل
الله داد ومرزاب وتصافيا * وتواصلا بالاحتشام والاحترام وتهاديا *

اشارة الى ما حدث في اقاليم ايران * وما جرى من سيول الدماء

عند تصوب ذلك الطوفان *

ثم ان السلطان احمد وقرا يوسف رجعا الى العراق * ووقع بينهما

على سياسة الملك الاتفاق * واستقر السلطان احمد في بغداد * ووثب

قرا يوسف على الجغتاي بالعناد ليستخلص منهم ما استولوا عليه من بلاد *

وكتب الفتح على ايات آيات نصر من الله * فاستخلص ممالك اذربيجان

بعد ان اباد طوائفهم وقتل اميرانشاه * ومد عنان الكلام في استيفاء

هذا المقام * لنخرجنا عما نحن بصدده من المرام * الى ان وقع بينهما

الشقاق * وتخبطت اذربيجان والعراق * ثم قتل قرا يوسف السلطان

احمد باشارة بسطام * وذلك في شهور سنة ثلثة عشر وثمانمائة

من هجرة النبي عليه السلام * واما عراق العجم * فانها كانت احصن

اجم * فاستقل بدعوى الملك متولها ببرعمر * فنهض عليه ذو قرابة

له يدعى اسكندر * فقاتله وكسره * ثم قبض عليه وقصره *

واستقل بدعواه * فتوجه اليه شاه رخ صاحب هراة * فقبض عليه

واباده * ورجع به اهله واولاده واستصفى بلاده * فخلصت لشاه رخ

ممالك العجم كلها * وانتال الى خزانته من اموالها وابلها وطلها *

من غير ان يعانى في ذلك نصبا * ويقاسي في تحصيله تعبا ورصبا *

مع ان مملكته كانت اوسط الممالك * فلم يتطرق اليه احد بسوء

لذلك * وانه كان حسن الجوار قليل الحركة * وابلوة قد حسم عنه

بقتله ملوك العجم مادة كل شر وهلكه * فثبت في مكانه بين الغور شعت

ونبت * وكبت ماله من الاعداء بما له من اصدقاء وثبت * فاهتزت

ارا ضي دولته بنبات الثبات وربت * وكان عيون السعد كانت ترقبه *

وعرائس الملك تناجيه وتخاطبه *

* بقوله * شعر *

* نزه فؤادك عن سوانا والقنا * فجنابنا حل لكل منزه *

* والصبر طلسم لكنز وصالنا * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه *

ذكر خروج الناس من الحصر وطلبهم اوطانهم

من ما وراء النهر *

وفي اثناء هذه الحالات * قصد الناس من شرقي التبد والمشنات *

وطلب كل غريب وطنه * وتحرك يبغي سكنه وقطنه * اما باجازة

واحتيا * واما بهزيمة واختفا * فاول من استجاز من اهل الشام
وزارم المبير * شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير * ثم تفرقت
الطوائف عجما وعربا وتبددوا في الآفاق شرقا وغربا * ووقع في سمرقند
القحط وغلاء الاسعار * ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار *
ثم حصل بعد ذلك الرفاهية * واجتمع للناس الرجاء والامنية * وطاب
الزمان * وحصل الامان * وذهب المقت * وصفا الوقت *

ع * وعند صفو الليالي يحدث الكدر *

ذكر ما ثار الزمان الغدار * من دمار وبوار * القى به الخليل في النار *
وكان خليل سلطان تزوج بشاد ملك زوج سيف الدين الامير *
وملكه سلطان هواها فكان فيه كالاسير * فمال بكل جوانحه اليها *
بحيث انه قصر نظره عليها * وصارت محبته كل يوم تزداد * وانست قصته

قضية قيس وليلى وشيرين وفرهاد *

فكان كما قيل * شعر

* اعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تداني *
* والثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما القى من الهيمان *

* كان فؤادي ليس يهدأ الذي به * الى ان يرى الروحين يجتمعان *

واستمر ذلك الى ان ران هواها على قلبه * واخذ بمجامع لبه * وربط

جوارحه * وحل جوانحه * وفصل قميصا واسعا فكانا يلبسانه * واتحدا

فصار ينطق بلسانها وتنطق بلسانه * وصارا يتشدان *

والى حالهما يرشدان *

* انا من اهوى ومن اهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا *

بل كانت القضية بالعكس

* قلت *

* انما كنا بروح نفخت * مذ براها ربها في بدنين *

وكان لا يصدر امرا الا عن رايها * ولا يستقضي في سياسة الملك

الا برائها * فسلمها قيادة * واتبع مرادها مرادة * وهذا

من غاية البله والعته * وكيف يفلح من ملك قيادة امرأته *

وكان لها خادم قديم * ليس من بني الاحرار ولا بكريم *

بل كان من اطراف الناس * يبيع في اول امره البزر والكرياس * يدعى

بابا ترمش * بطرف معمش ووجه منمش * وصورة قبيحة *

وسيرة غير ملتبسة * وكان يتقاضى خوجها ويدخل عليها * قبل وصول
عايل سلطان اليها * فلما وصلت مخدومته الى ما وصلت * وحصلت
لها المرتبة التي لغيرها ما حصلت * ارتفعت درجة خدمها * وزادت
حشمة حشمها * واستفاد بابا ترمش من اضافته اليها التعظيم *
وبحسب كرامة المخدوم يحصل للخادم التكريم * فصار يرأس جماعتها
ويسوسهم * وبحجا لمتها تحلى بخلعة * ع * هم القوم لا يشقى جليسهم *
ثم ترقى حتى صار عليه مدار امرها * ثم تخطت قدمه الى التكلم في اسباب
الملك وغيرها * ثم تدرج الى فصل الحاكمات الديوانية * واجراء
القضايا السلطانية * ثم ترفع الى التولية والعزل * وتعاطى ذلك على
سبيل الجد والهزل * وانتهى في ذلك * فصار دستور الممالك * ولم يقدر
احد على رد كلمته * لجدة شوكته بقوة مخدومته * فبسط يده
ولسانه كما اختار * وامتثل كل احد ما امر به واشار * واستطال على الله داد
وارغون شاه * فصار يبرم ما ينقضانه وينقض ما ابرماه * وبلغ في قلة
الادب الى ان كان يمد رجله بحضرتهما * ولا يقيم بذرة من واجب
حرمتهما * ثم جرا ان لا تفصل قضية * الا بمشورته * وان كان غائبا

فينتظر حضوره او يتوجه الى حضرته * ومن حين نبغ الى ما بلغ كان
فجوا من ثلاث سنين * وغاريت الجغتاي وجنهم لا يثبتون معه العذاب
المهين * فجعل لله دادوارغون شاه من هذا التدرج * غاية
الضرر ونهاية التحرج * وبلغا الغاية * في الاهانة والنكاية * واعضل
داؤهما * واعجز دواؤهما * واستلذا ذهاب العيش
وزواله * على البقاء في هذه الحاله *

ذكرما فتكره الله داد * ودبره في مراسلة خداياداد *

ثم ان الله داد استعمل فكره * ولكن اخطات استه الحفره * فطبخ
قدرا فانقلبت عليه * ونسج كل ود القز شبكة حتفه بيديه *

قلت

* اذا انعكس الزمان على لبيب * يحسن رأيه ما كان قبحا *
* يعاتبني كل امر ليس يعنيني * ويفسد ما رآه الناس صلحا *

فلم يجدا لتبريد الاكباد * الا مراسلة خداياداد *
فجليا عليه صورة هذه القضيه * واخبراه بها عن وضوح
وجليه * واشارا عليه ان يتوجه بامل فسيح * ويقصد

بعساكره سمرقند وخاطره مستريح * فنهض من ساعته * وتوجه
بجيشه وجماعته * ودب دبيب الثبا * فوصل الى مكان يدعى
اورابا * فلما سمع بذلك خليل سلطان * ارسل الى الجنود
والاعوان * وتعجب من وقاحته * وتعوذ من ملاحته * وجهز الله
داد وارغون شاه * مع العساكر الجرارة للملاقاه * فسارا حتى
دانياه * فقابلاه وما قاتلاه * ثم ارسلا الى خليل سلطان يستدعيان
المدد ويقولان * ان هذا الرجل بلغ من ملاحاته * وشدة
دعارته وقلة مبالاته * انه لم يتزعزع من مناخه * ولا دخل ريح
هيبتنا في صماخه * قام فما بقي العسكر * وجعل يتشوف لما يكون
من الخبر * فارسلا ايضا ان هذا قد آذى وزاد فسادا * وجار
في عداوته ثمودا وعادا * فالحق بنفسك * وادركنا بحدسك
وحسك * فان هيبتك اقوى * وطلعتك اضوى * وما ارتكب هذه
الجرأة * ولا اقدم على هذه الجيئة * الا وقد اضمر شرا كبيرا *
وطوى في باطنه قارا وقيرا * فادركنا بباقي المقاتلة * فان هذه المرة
تكون الفاصلة * فخرج خليل سلطان بقلب مظمئن * وخاطر عن حلول

الحوادث مستكن * وامل فسح * وصدر منشرح * معجبا بشبابه *
مغرما باصحابه * متمايلا بين احبابه * متهاديا بين اترابه *
في شرذمة قليله * وطائفة نبيله * ابعد ما عنه دنزول هم * واشرد
ما لديه حلول نكد وغم * يغدي به الكمال *
ويناديه لسان الجمال *
بقوله
* ته دلا لا فانت اهل لذا كا * وتحكم فالحسن قد اعطا كا *
فوصل بتلك العصابة السلطانيه * الى قصبة تسمى سلطانيه * فارسل الله
داد الى خداداد ان الركاب السلطاني * خرج من سمرقند
في اليوم الفلاني * وفي الساعة الفلانيه *
يحل كورة سلطانيه *

ذكر ما قصده خداداد من الكيد * ووقوع خليل سلطان
في قنص الصيد *

فقصد خداداد المحاتله * وترك تعقله مقابل المقاتله * ونبذ العساكر
وراء ظهره * ورتبط شرشرارة وهراوة هره * واستصحب من ابطال القتال

ورجال النضال والنزال * طائفة * جاسرة غير خائفة *

* شعر *

رزان اذا الاقوا خفاف اذا دعوا * كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا *
والتحف ذيل الليل * ولطأ بظاهر الخيل * واستطرق الى مطلوبه
طريقا عوجا * واستقود الى مقصوده قوادا اللجى *

كما قيل * شعر *

* لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد *

حتى وصل الى سلطانية وهي قصبة انشاها تيمور * ولم يكن لاحد
به شعور * فلم يفجأ خليل سلطان * الا وقد جاءه موج البلاء من كل
مكان * فنهض كل من معه من الاصحاب * واخذوا في الحرب والطعن
والضراب * وقاتلوا قتال الموت * وايقنوا حلول الفوت * فعضت عليهم
الحرب العضوض * وطرحتهم ما بين مهشوم وموقوذ ومرضوض * فقتل
كثيرهم وجليلهم * ورقع في نار عدوهم حبيبهم وخليلهم * ثم رجع
خليل ايلچي الى معسكره * فائزا بنجحه مستبشرا بظفره *

* فصل *

ثم ان خُدايداد حلف لخليل سلطان * بأشد ما يكون وابلغ
من انواع الايمان * انه لا يقصده باذى * ولا يرمي في عين معيشته
بخيال قذى * ولا يؤذيه بقول ولا عمل * ولا يسلط عليه من يؤذيه
بمكر ودخل * وسيرى نتيجة ما حلف * وان الله تعالى عفا عما سلف *

* فصل *

ثم التمس منه ان يوصل الى الله داد * فمن دونه من الاجناد * ان يستسلموا
لخُدايداد * وارسل خُدايداد ايضا الى الناس * بانه قد استولى
منكم على الراس * فان اطعتموني اطعته * وان لم تطيعوني قطعته *
ولما وقع خليل سلطان في هذا الكرب * تصور ان هذا اسهم غرب *
ثم ظهر له مكان ذلك المكمن * وتحقق كيف اخذ في المأمن * وعلم
من اين صب ذلك البلاء عليه * وانى اخذ من ذلك الجانب الذي
يأمن اليه * فقال * بلسان الحال *

* جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف *
* فما ساءنا خسفا ولا شفنا اذى * من الناس الا من نود ونعرف *

ثم ارسل الى سائر الامراء * ورؤساء الجيش والوزراء * ان يستسلموا

لخد ايلدار ولا ينازعوه * ولا يدافعوه فيما يريد ولا يمانعوه *
فاستسلم الكل اليه * واستقبل ذراه وسلم عليه * فاستولى على تلك الجنود
المجندة * وتخصن من غوائل المخاتل بالرماح المسددة * والسيوف
المهندة * وقدم جنود جند وخجند * واغتنم تركستان وطغانم
اوزجند * واخر من سواه اولئك وتقدم الى سمرقند * ولم يلتفت
الى الله داد فمن دونه * وتحقق الله داد ان صفقته في ذلك مغبونة *
فسلخ الزمان عنه ما كان البسه من ثوب عز وسلب * وفر من بين يديه
ما كان فيه من جاه ومال وذهب * وكان قيام ذلك الحشر *

في سنة ثمانمائة واثنى عشر *

ذكر ما جرى من الفساد * بسمرقند عند قدوم خدايداد *

فوصل خدايداد الى سمرقند ودخل * فتغيرت تلك الرسوم والدول *
وكأنه ظهرا ختلاف الملل والنحل * وكان له ابن يدعى الله داد *
فدعاه بالسلطان على رؤس الاشهاد * وتفحص عن مكامن الخزائن *
ونقب في اطوادها عن الفلزات والمعادن * ونقر عن مضمرات الضمائر
وبحث عن الخبايا والدفائن * وتغيرت الاوضاع * وتبدلت

بالفظاظة رقاق الطباع * وصاروا *

كما قيل * شعر *

* امّا الخيام فانها كخيامهم * واما نساء الحي غير نسائها *

وتنكرت الصفات * حتى كأنما تحولت الذوات * او بدلت الارض غير

الارض والسموات *

* شعر *

* وتنكرت ارض الغوير فلم يكن * ذاك الغوير ولا النقا ذاك النقا *

ذكر بلوغ هذه الامور * شاه رخ بن تيمور * وتلافيه تلك الحوادث *

وحسمه مادّة هذه العوايث *

ولما اتصل بشاه رخ هذا الخبر * عبس وبسر * وتضجر وزمجر *

وازور وازبار * وكشر واكفهر * وتغير وجهه وتمعر * واستغاث

وتقلق * وولول واسترجع وحوقل * وتحرق وتنكد * وتأوه وانشد *

* شعر *

* لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس *

ثم طيّر بطائق مراسيمه كل مطير * الى اطراف ممالكه بجمع العسكر *

وامرشاه ملك * ان يسير غير مرتبك * ويستديم السير * ويسابق بعتاقه عتاق الطير * فيتدارك ما انفرط من النظام * ويطارد عن رفيع المملكة الاغتام الطغام * فلا يدع رائدهم ان يحل * ويعاجل مستعجل قدرهم ان يمل * فسار شاه ملك في الحال * بعساكر في المدد كالجبال * وفي العدد كالرمال * ثم اتبعه شاه رخ بنائر الاساورة * وكواسر الاكاسرة * وسار لا يلوي على احد * ولا يسكن في حركته الى طالع ولا رصد * فجن وصلوا جيحون وعبروه * عطوا وجهه وستروه * فانبسط ذلك السيل على وجه الماء * فكأن البحر غطي بالغمام المتراكب وغرق في بحر الحياء *

* فصل *

ولما قطع البحر تلك الاطواد * واتصل الخبر بخل ايلاد * تيقن انه لا طاقة له بابه وقروده * بل ثاب جنود شاه رخ واسوده * وان جل عساكره يفر عنه ويسلمه * ويقبض عليه ولشاه رخ يسلمه * فاسرع في تنجيز مآربه * وبادر الى تجهيز مطالبه * واخذ ما وصلت يده اليه من اموال * واوفق ما بلغت طاقته من نفائس واحمال * واستصحب

خليل سلطان * وتوجه الى ايدكان * وارد ع الله داد وارغون شاه
وبابا ترمش في القلعه * وانف ان يستصحب احدا منهم معه * وترك
شاد ملك ايضا في المدينه * بفواق خليليا رهينه * وبسلب ما كانت فيه
من العز مهينه *

ذكر ما جرى بسمرقند بعد خروج الجنود الجندية * وقبل وصول
الشوافين الشافرخية *

ثم لما رحل خدايداد انفصل * ولم يكن احد من جهة شاه رخ وصل *
وما كان للناس * ظهور ولا راس * اراد الله داد وارغون شاه *
ان يتوجها الى شاه رخ ويستقبلاه * فرفع خواجا عبد الاول عليهما
يده * واقام لمنعهما من الخروج من القلعة رصده * واستعان بشطار
المدينه * وكان الله داد قبل ذلك انكاه نكاية اورثته ضغينه * كما قيل * ع
من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا * فلم يختلف في رياسته اثنان *
ولا انتطح فيما يرمهم به عنزان * وصارت اشارته الامرة النافذة *
وجد اول مراسيمه فيما بين الناس جاريه * وامر المطاعة في تلك
الايام الخاليه * ع والعلم يرفع بيتا لا عماد له * ولم يزل خواجا عبد

الأول يسوس الرعية * ويوصي على الله داود ورفيقيه ومن معهم

ويشد مضايق القضية * الى ان طلعت طلائع شاه

ملك واعقبتها العساكر الشاهرخية *

ذكر دخول ربيد ورال دولة الشاهرخية * في سماء ممالك ما وراء النهر

وجعل غروب شمس النوبة الخليلية *

فخرج اهل المدينة لاستقباله * مستبشرين ببروزية جبين هلاله *

فنزل كل احد في منزلته * ووضع كلا من الناس في مرتبته * ثم قبض

على الله داد ورفيقيه وعاقبهم بانواع العقاب * وصنف في تعذيبهم

واستخلاص الاموال منهم انواع العذاب * ثم قتلهم صبرا * ونقلهم

من الدنيا الى الاخرى * الا بابا ترمش فانهم عاقبوه * وبانواع

العذاب الهبوه * ففي بعض الايام * وقد انكت فيه من العذاب الالام *

اخذ الموكلين عليه ليطلعهم على قضيه * ويذهب بهم الى خبيه *

فمروا به وهو في قيد وثيق * على حوض ماء عريض عميق * فاستل

من قرابيد ايذ بهم عضب يده الذلق * ورمى بنفسه وزخ

في ذلك الماء على غفلة فغرق *

* فصل *

ثم ان شاه رخ زار آباد * راقام شرائط عزاه * وجد في ترتيب القراء على تربته والقومه * واستأنف معالم المرتبين في ذلك والخدمه * ونقل الى خزائنه جل ما كان على حفرته * من اقمشته وامتعته واسلحته * وعفر بيادر الخزائن * وحفر تخوم تلك الكمائن * وشرع في تمهيد القواعد * وترتيب مراتب الاقارب والاباعد *

* فصل *

وقبضوا على شاه ملك واهانوها * وشانوها بتلك الالوان صانوها * وعصبوها بالعذاب عصب السلمه * وهزوها لاستخراج الاموال منها فزالت اعوان الظلمه * ثم بعد ذلك الابتذال * واستخلاصهم منها انواع الاموال * حزموها وشدوا منها الوثاق * وشهروها منادين عليها في الاسواق * واستقرت على شاه رخ الامور * وارتفعت صدور وانقصمت ظهور * وعلا انسان * وانحط انسان * فسبحان من هو كل يوم في شان * عز شانه وتعالى سلطانه يغير الدول ويقلب الاحوال * ولا يعتري سلطانه تغير ولا انتقال *

ذكر ما قصد له خلايداد * من اتمام النكل والفساد * وكيف آل

ذلك النكال * الى ان جرى عليه وبال *

واما خلايداد فحين حل في مكانه * وخلا بخليل سلطانه في اندكانه *

جدد معه عهوده ومواثقه * انه امنه مكره وبوائقه * وذكر ان

ذلك النكال والنكاد * انما فعله معه ارغون شاه والله داد * مع

احسانه اليهم * واسبال ذيل انعامه عليهم * وانهم كافوه مكافاة

التمساح * وقابلوا بافسادهم منه الاصلاح * ثم قال له اذكر صنيعك

معي اولا وظاهرا * وانظر ما افعله معك باطنا واخرا * وسافعل معك

ما يتحقق به خلوص الطوية * وصدق النية * بحيث يذهب الكدر

ويبقى الصفا * وينمحي الجفا ويثبت الوفا ونعيش باقي عمرنا متصافيين *

وفي رياض الهنا متوافيين متكافيين * فنتحدث بما نكتب في الواح

صدورنا من المحبة والشفقة * مساطير الاساطير المكتبة في باب

الحمامة المطوقة * وسأردك ان شاء الله تعالى الى دار عزتك * واجتهد

في تحصيل ما يعيدك الى نشاطك وعزتك * ثم خطب باسمه في اندكان *

وامر بذلك في اطراف تركستان *

تتمة ما جرى من خليل وخدايداد من المعاقدات * وتاكيد العهود

والمودات * الى ان ادركهما هادم اللذات *

ثم تأكدت بينهما وثائق الايمان * وذهب خدايداد يستمد المغول

لخليل سلطان * وترك خليل سلطان باندكان * وكان المغول *

لما بلغهم موت تيمور الخذول * سلبوا قرارهم * واخلوا ديارهم *

ولجأوا الى الحصون * وتشبثوا باذيال كل كهف مصون * كما ذكر

اولا فلما تحققوا موته * واستثبتوا فوته * تنادوا بالامن والامان *

وجاوروا خدايداد في ذلك المكان * وارسلوا يهنئون خليل سلطان *

ويبعثوا اليه هدايا سنية * وتحفا فاخرة ملوكية * من جملتها فرس

من ذهب * ابرغه صائغه في قالب العجب * فاكرم خليل سلطان

رسلهم * واعظم نزلهم * واجمل معهم جوارا واجرا * وجازاهم بكل

حسنة عشرا * قلت *

* الخير ابقى وان طال الزمان به * والشر اخبث ما اوعيت من زاد *

ولا زالت خلع المودة بينهم تنتسج * ووجوه المكارمة والمحاشمة يوما فيوما

تبتهج * حتى عرض له ما عرض * وجرى عليه من بحر القضاء والقدر

ما جرى * فساعة وصول خداداد اليهم قبضوا عليه * وارسلوا
الى خليل سلطان ينهون صورة الحال اليه * وقالوا تعلم ما بيننا وبينك
من خالص الوداد * وانا عالمون بما وقع بينك وبين خداداد * وانه
كان السبب في تبددك * وخروج ملكك من يدك * وقد جاء
يستمدك نالك * فارسم لنا ما بدالك * فان رسمت قتلناه * وان اشرت
اسرناه * وفي الجملة مهما امرتنا به امتثلناه * فارسل يقول قد علمتم
كيف آذاني * ومزق عرضي واخذاني * واخرجني من ملكي وسلطاني *
وغربني عن اهلي واخواني * واذلني اذ رأسني بمفارقة حبيبي واوطاني *
والآن فقد جعلني ترسا * يتقي بي الحوادث والباسا * وقد عرفتم كيف يريد
ان يتصرف * وعلى كل حال فالعارف لا يعرف * ومع هذا مهما رأيتم
في ذلك من المصلحة فافعلوه * ففي الحال قطعوا رأسه واليه ارسلوه *

* ذكر عود خليل سلطان * من ممالك اندكان *

وقصده عمه شاه رخ * ولعبه بالنفس مع ذلك الرخ *

واستمر خليل سلطان * في ذلك المكان واطراف تركستان * يرسل
بالفارسي الاشعار الفراقيه * وينشئ في حبيبته ما ينسي القصائد

الزيدونية * وبين كرمانية من الغربة * وما جرى عليه من الفراق
والكربة * فيصدع بذلك القلوب ويفتت الاكباد * الى ان حل المقام
في تلك البلاد * فنفض منها ذيله * وضم رجله وخيله * وقصد عمه *
وركب الطريق وامه * فاكرم عمه مثواه * ولم يذكر له اخبار
ما انشاه * وضم اليه حبيبته * وامّ الى خليل خليلته * وقرر قاعدة
ذلك لاقليم وشيده * وولى فيه ارلوغ بيك ولده * وقفل الى خراسان *
مستصحبا معه خليل سلطان * ثم ولاه مماليك الري * فلم يقم بها
الا ادنى شيء * وانتقل الى رحمة الله * وكان عمه دس له شيأ فسقاه *
فدفن بمدينة الري * وطوى نشر ذلك الحاتم اي طيّ * وحين وقعت
شاد ملك في هذا الخطب الجليل * واشتعلت احشاؤها بنار الخليل *
قالت لا ذقت فقدك * ولا عشت بعدك * وانت
ورثت * وانشدت وغنت *

* شعر *

* كنت السواد لمقلتي * فبكى عليك الناظر *
* من عاش بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر *

ثم اخذت خنجرا فوضعته في لبتها * واتكأت عليه بقوتها * فنفذ من قفاها * واحرقت بنارها كل من رآها * فذ فنا في قبر واحد *

وامسى لسان حالهما ينشد *

* شعر *

* اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب *

وصفا لشاه رخ ممالك ما وراء النهر وخراسان * وخوارزم وجرجان * وعراق العجم وما زندران * وقندهار والهند وكرمان * وجميع بلاد العجم الى حدود اذربيجان الى يومنا هذا اعني سنة ثمانمائة واربعين * ونسأل الله تعالى حسن العاقبة بمنه ولطفه والحمد لله رب العالمين *

* فصـــــل *

* في صفات تيمور البدعة * وما جبل عليه من سجية وطبيعة *

وكان تيمور طويل النجاد * رفيع العماد * ذا قامة شاهقة * كأنه من بقايا العمالقة * عظيم الجبهة والراس * شديد القوة والباس * عجيب الكون * ابيض اللون * مشربا بحمرة * غير مشوب بسمرة * فخيم الاطراف * عريض الاكتاف * غليظ الاصابع * سميك

الاكارع مستكمل البنية * مسترسل اللحية * اشل اعرج اليمنا وين *
عيناه كشمعتين غير زهرا وين * جهيرا لصوت * لا يهاب الموت *
قد نا هز الثمانين * وهو مع ذلك بجاش مكين * وبدن مستمسك متين *
صلبا شهما * كأنه صخرة صما * لا يحب المزاح والكذب * ولا يستهله
اللهو واللعب * يعجبه الصدق ولو كان فيه ما يسوء * لا يأسى على ما فات
ولا يفرح بما يجيء * وكان نقش خاتمه راستي رستي * يعني صدقت
نجوت * وميسم دوابه وسرة سكته على الدرهم والدينار ثلاث حلق
هكذا * لا يجري غالبا في مجلسه شيء من الكلام الفاحش ولا سفك دم *
ولا من سبي ونهب وغارة ومنك حرم * مقداما شجاعا * مهابا مطاعا *
يحب الشجعان والابطال * ويستفتح بهم اقفال الاهوال * ويفترس بهم
اسود الرجال * ويستهدم بهم وبصمات هم قلل الجبال * ذا افكار
مصيبة * وفراسات عجيبة * وسعد ناطق * وجد موافق * وعزم
بالثبات ناطق * ولدى الخطوب صادق *

* قلت *

* فكم قد حمت آراؤه من فتية * حمته لدى الباساء وردت قبائلا *

مُحجاجًا دارّاكًا للحجة والمزة * مرتاضًا مستيقظًا لرمزه * لا يخفى
عليه تلبيس ملبس * ولا يتمشى عليه تدليس مدلس * يفرق بين
المحق والمبطل بفراسته * ويدرك الناصح والغاش بدرية درايته *
يكاد يهدي بأفكاره النجم الثاقب * ويستتبع بآرائه فراسته سهم كل
كوكب صائب *

* قلت *

* يشاهد اعقاب الامور بعقله * كما شاهد المحسوس بالعين ناظره *
اذا امر بامر واشار بشيء لا يرد عنه * ولا ينثني عنان عزيمته
عن شيء منه * لئلا ينسب الى قلة الثبات * وركاكة الرأي والحركات *

* قلت *

* اذا قال قولا واشار اشارة * ترى امره في ذاك كالنص قاطعا *

وكان يقال له في الغابر صاحب قران الاقاليم السبعة وقهرمان الماء
والطين * وقافر الملوك والسلاطين * يحكى ان قاضي القضاة ولي
الدين عبد الرحمن ابن خلدون المالكي قاضي القضاة بمصر كان
صاحب التاريخ العجيب * والسالك فيه الاسلوب الغريب * على ما ذكر لي

مَن رآه * واطّلع على لفظه ومعناه * من الأذكياء المهرة * والأدباء
البررة * مع أنّي لم أره * وكان قد قدم الشام * مع عساكر الإسلام *
وحين ولّت العساكر الأدبار * انشبته في مخالب تيمور الاقدار *
قال له في بعض مجالسه * وقد انس بتوانسه * بالله يا مولانا الأمير
نا ولني يدك التي هي مفتاح فتوح الدنيا حتى اتشرف بتقبيلها *
وقال له ايضا لما اراد ان يستصحبه معه وقد سرد عليه شيأ من تواريخ
ملوك الغرب وكان تيمور مغرما باقراء التواريخ واسماعها فاعجبه
ذلك غاية الاعجاب * ورغب منه في الاستصحاب * يا مولانا الأمير
مصر حرجت عن ان يتولى فيها نائب غيرك * او ان يجري فيها غير
أمرك * ولي فيك عوض عن طريفي وتلادي * واهلي واولادي *
ووطني وبلادي * واصحابي واخداني * واقاربي وخلاني * وملوك
الناس * وعن كل ظهور اس * بل وعن كل الورى * اذ كل الصيد *
في جوف الفرا * وما اتأسف * ولا اتلهف * الا على ما مضى من عمري *
وانقضى من عصري * كيف تقضى ذلك في غير خدمتك * ولم تكتحل
عيني بنور طلعتك * ولكن القضاء جاز * وسأستبدل الحقيقة

بالمجاز * وما ارتلاني * ان اكرر على لساني *

* قوله *

* جزاك الله عن ذا السعي خيرا * ولكن جئت في الزمن الاخير *
فلا ستأنفن في ذراك عمرا ثانيا * ولاعدن الزمان بابعادي عن عدوتك
حاديا * ولا تدارك ما مضى من عمري بصرف ما بغي في خدمتك
والتشبث بغرزك * ولاحسبن ذلك اعزاز قاتي * واعلى مقاماتي *
واشرف حالاتي * ولكن ما يقصم ظهري * الا كتبي التي افنيت فيها
عمري * وصرفت جواهر علومي في تصنيفها * وظمئت نهاري وسهرت
ليلي في ترصيفها * وذكرت فيها تاريخ الدنيا من بدئها * وسيوف
ملوك شرقها وغربها * ولئن ظفرت بها لاجعلنك واسطة عقدهم *
وخلاصة نقدهم * ولاطرزن بسيرك خلع دهرهم * ولاصيرن
دولتك هلال جبين عصرهم * اذا نت ابو المفاخر * والبازغ بدر نصره
في شرق الغرب من دياجير الملاحم * والمكاشف به على لسان كل ولي *
والمشار اليه في الزوايج والجفر المنسوب الى امير المؤمنين علي * وصاحب
القران * المنتظر في آخر الزمان * وهي في الفاهرة فلو حصلت عليها

ما فارقت ركابك * ولا هجرت اعتابك * والحمد لله الذي رزقني
من يعرف قيمتي * ويحرز خدمتي ولا يضيع حرمتي مع كلام فصيح صادع *
بديع بليغ خالب خادع * فامتزت فرحا اعظامه * وترا قصب فرعا
اطرافه * واعجبه ذلك واغراه ميله الى كتب التواريخ والسير *
واستهواه حبه معرفة احوال الملوك الذي ذكر * حتى شدة عما خابه *
بسير هذا البيان البديع وسلبه * ثم انه استوصفه بلاد العرب
وممالكها * واستوضحه اوضاعها ومسالكها * وقراها ودروبها * وقبائلها
وشعوبها * كما هو دأبه وشانه * والقصد في ذلك امتحانه * لا انه
لم يكن محتاجا ذلك * اذ في خزائن تصويره صور جميع الممالك *
وانما اراد بذلك معرفة مقدار علمه * وكيفية ايداء نصيحه له وكتمه *
فاملى كل ذلك من طرف لسانه * كأنه يشاهده وهو جالس في مكانه *
وشرح تلك الامور * كما في خاطر تيمور * ثم قال له كيف تذكرني ولبثت
تبصر مع الملوك الاكابر * ولم تنزل في النسب تلك المفاخر * وانا نحن
من يعاهيب النحل * فاني تعبينا مع الفحل * فقال افعالكما البديعة *
اوصلتكما الى تلك المنزلة الرفيعة * فاعجبه هذا الكلام * وقال لجماعته

اقتدى به فانه امام * ثم اخذ تيمور يخبر القاضي بما وقع في بلاده *
وما جرى بين ملوك الغرب واجناده * ولا زال يذكر له اخبار الناس
حتى سرد عليه اخبار متعلقيه واولاده * فتحير القاضي من املائه *
وقال ان الشيطان ليوحي الى اوليائه * ثم ان تيمور عاهد القاضي
ان يتوجه الى القاهرة * ويأخذ اهله واولاده وكتبه الزاهرة *
ولا يلبث اكثر من مسافة الطريق * ويرجع اليه بامل فسيح وعهد بنيل
الامانى وثيق * فتجهز الى صفد * واستراح من ذلك النكد *

* فصل *

وكان تيمور محبا للعلماء * مقربا للسادات والشرفاء * يعز العلماء
والفضلاء اعزازا تاما * ويقدمهم على كل احد تقديما عاما * وينزل
كلا منهم منزلته * ويعرف له اكرامه وحرمته * وينبسط اليهم انبساطا
ممزوجا بهيبة * ويبحث معهم بحثا منزها عن الانصاف والحشمة *

لطفه منزه في قهره * وعنفه منزه في بره *

* شعر *

* متفرق الطعمين مجتمع القوى * فكأنه السراء والضراء *

* وقيل *

* مرّ المذاق على أعدائه بشع * حلو الفكاهة للأصحاب كالعسل *

وكان مغرمًا بأرباب الصناعات والحرف * أيّ صناعة كانت اذا كان لها خطر وشرف * يبغض بطبعه المضحكين والشعراء * ويقرب المنجمين والاطباء * ويأخذ بقولهم * ويصغى الى كلامهم * ملازمًا للعب بالشطرنج لكونه منقحًا للفكر * وكانت علته همته عن الشطرنج الصغير * فكان يلاعب بالشطرنج الكبير * ورقعته عشرة في احدى عشر * وفيه من الزوائد جملان وزرافتان وطليعتان ودبابتان ووزير * واشياء غير ذلك * وصيأتي وضعه والشطرنج الصغير بالنسبة الى الكبير كلا شيء * مواظبًا لاقراء التواريخ وقصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام * وسير الملوك واخبار من مضى من الانام * سفرًا وحضرًا كل ذلك بالفارسي * ومما تكررت قراءتها عليه * وطنت نغماتها على اذنيه * قبض زمام ذلك وملكه * حتى صارت له ملكة * بحيث ان قارئ ذلك اذا اخطأ * ردّه الى الصواب من الغلط * وذلك لان التكرار * يفقه الحمار * وكان اميًا لا يقرأ شيأ ولا يكتب

ولا يعرف شيأ من العربية * ويعرف من اللغات الفارسية والتركية
والمغولية * حسب لا غير * وكان معتقدا للقواعد الجنكيزخانية *
وهي كفروع الفقه من الملة الاسلامية * وممشيا لها على الطريقة
المحمدية * وكذلك كل الجغتاى وأهل الدشت والخطا وتركستان
واولئك الطغام * كلهم يمشون قواعد الملعون جنكيزخان على قواعد
الاسلام * ومن هذه الجهة افتى كل من مولانا وشيخنا حافظ الدين محمد
البزارى رحمه الله * ومولانا وسيدنا وشيخنا علاء الدين محمد
البخارى ابقاه الله وغيرهما من العلماء الاعلام وائمة الاسلام *
بكفر تيمور وبكفر من يقدم القواعد الجنكيزخانية * على الشريعة
الاسلامية * ومن جهات اخر ايضا * وقيل ان شاه رخ ايطل
التورة والقواعد الجنكيزخانية * وامر ان تجرى سياستهم على جداول
الشريعة الاسلامية * وما اظن ذلك صحة فان ذلك عندهم قد صار
كالملة الصريحة * والاعتقادات الصحيحة * ولو اتفق انه يجمع
مرازبه وموابذه في دسكره * ويغلق ابوابها ويطلع عليهم من منظره *
ويفتح عليهم شيأ من هذا الباب * لجاموا حيصة الحمر الى الابواب *

* فصـــــل *

وكان فريد الطور بعيد الغور * لا يدرك لبحر تفكيره قعر * ولا يسلك في طود تدبيره سهل ولا وعر * قد اقعد في ممالكه نوابه * واقام في سائر الممالك جوابه * وقم ما بين اميركا طلا بش احد اعوانه * وفقيه نقير كمسعود الكحياني عين اصحاب ديوانه * وكان ذلك في القاهرة المعزية * وهذا بدمشق احد الصوفية بالشميصانية * وما بين متسبب وتاجر * ومصارع شرير وبهلوان فاجر * ومكدي وصنايعي * ومنجم وطبائعي * وقلندري قوال * وحيدري جوال * وبحري سباح * وبري سياح * وسقاء ظريف * وحداء لطيف * وسعلاة دلالة * وشيخة محتالة كل له المحتالة * ومن مرت به التجارب * وضرب اكباد الابل مشارق ومغارب وبلغ فيما هو بصدده من المكر والاحتيال منزلة الكمال * والف بلطيف ختله ودهاه بين الماء والنار والهدى والضلال * وجاز في الحيل والكيد * ساسان وابا زيد * والزم في حكمته وجدله ابن سينا * واسكت في منطقه اليونانيين اذ عكس عليهم القضايا * فجمع بين المتنافيين * والف بين المتعاديين

* قلت *

* فاق من قاد للعدى كل جيش * بكلام ثنى البعيد قريبا *

* مزج النقل فى القياد بعقل * فهدى عاشقا واهدى حبيبا *

فكانوا ينهون اليه حوادث الاطراف واخبارهم * ويكتبون اليه ماقدموا
وآثارهم * ويذكرون لديه اوزانهم واسعارهم * ويصفون عنايلهم
وامصارهم * ويصورن سهولهم واوعارهم * ويخطون بيوتهم وديارهم *
ويبينون مدى ذلك بعدا وقربا * ومافي ذلك ضيقا ورحبا * وجهاته
واقطاره شرقا وغربا واسامي الامصار والقرى * والقاب المنازل
والذرى * واهل كل مكان ورؤساءه * وامراءه وكبراءه * وفضلاءه
وشرفاءه * واغنياءه وفقراءه * واسم كل ولقبه * وشهرته ونسبه *
وحرفته وسببه * فكان يطالع بفكره ذلك * ويتصرف بتفكيره في سائر
الممالك * وكان اذا حل ببلد * واجتمع به من اعيانها احد * شرع
يسأله عن فلان وفلان * وماجرى لفلان في الوقت الفلاني مما زانه من امر
وشان * والى ام آلت تلك الواقعه * وكيف فعل فلان وفلان فيما كان بينهما
من المنازعه * فيبهت ذلك الرجل ناظرا * ويظن ان تيمورلنكان في تلك

الى الليلة حاضرا * وكان كثيرا ما يطرح عليهم من اغاليط المسائل *
ويحكي صورا مباحثات جرت لهم ورسائل * فيتصورون ان له في ذلك
العلم قدمة * او كان منه للعلماء خدمة * ولذلك تصور بعض الناس *
ان ذلك الوسواس الخناس * وكان مقيما بالسلاريه * وبعض
بالغ حتى قال انه رآه في قراء الشمساطيه

* فصل *

ومما يحكى عن فراسته انه لما نزل عن سيواس * وقد حصنها منه اولو
النجدة والباس * قال لعسكره اعملوا الحيله * انا فاتحوا مدينه في ثماني
عشرة ليله * فكان كذلك فلا شك ان ذلك الاعرج * كان ملهما
او مستدرج * وكان ذا مغالطات * وحركات لها مغاورات * اذا
دهمه امر يتعاطى دفعه وهو مظهر انه راغب فيه * وربما يظهر الرغبة
عن شيء وهو يريد حصوله ومشتهيه * وقد مر نظائر هذا كله * فمن
مغالطاته انه اذا كان له في مكان روم * او اراد ان ينزل بساحة
قوم * قصد الاخفاء والتعميه * وطلب الايهام والتوريه * وبعث
عسكره لا يخلو من تساح متجسس * او سرطان متحسس * ولو لم يكن

لأحدٍ في عسكرهِ عين * فإن نزوغ العين لا يخفى على ذي عين *
فانه يجمع أركان دولته * واعيان مملكته * وذوي آرائه ومشورته *
بحيث انه لا يتخلف منهم أحد * ولا يجزم مولود عن واليه ولا والد
عن ولد * ثم يظهر لهم خفية أموره * ويطلب منهم المشورة في جهة
مسيرهِ * ويطلق لهم عنان الكلام * ويقول لا تثريب على من خاض
في ذلك من خاص الأنام * ناظرفي أعقاب الأمور ما بين يوم وعام *
فليتكلم كل ولا حرج * فسواء هوى الى حضيض الخطأ او الى أوج الصواب
عرج * فإن أخطأ فلا نقصان * وإن أصاب فله أجران * فيبذل
كل جهده * ويعاني في ذلك وكده * ويبدي في ذلك ما أدى
اليه اجتهاده * ويتصور ان ذلك يوافقه مراده * فتتفق الآراء *
على ناحيةٍ من الأنحاء * ثم يفض ذلك المجلس * ويجتمع باخصائه
ويجلس * كسليمان شاه وقماري وسيف الدين * والله داد وشاه
ملك وشيخ نور الدين * ويحضون القضية محضا غير ذلك * ويبحثون
فيها بحثا دقيق المسالك * فيقع آخر الأمر الاتفاق * على التوجه
الى بعض الآفاق * ثم يدعو رائدهم * وسابقهم في ذلك وقائدهم

ويأمرهم بالتوجه اليه * فيتصل عون على ما عول في ذلك عليه
وحين يقوض الظلام خيامه * وينشر رائد الصبح اعلامه * ويضرب
الكوس للرحيل * ويأخذ الناس في التحميل * ويتوجه الناس الى الجهة
التي امرهم بالمسير اليها * ووقع الاتفاق عليها * وعاجا شيئة بعد
ما حملوا واخذوا في المسرى * وامرهم ان يمتازوا ويرحلوا الى جهة
اخرى * لم يكن ابدا ما لاحد من السماحة * الا في تلك الساعة *
ولولا الضرورة لما افشاها * ولا اعاد سيرتها لاحد ولا ابدا ما *
فيضرب الناس ضربا ويضرب ضربا * ويأخذ العساكر شرقا ويأخذ غربا *
فتضطرب تلك الاطواد وتختبط * وتنفرط عقود نظامهم فلا تكاد تنضبط *
وتنحل قوائم سواشبها عن المسير وترتبط * ويموج بعض الناس في بعض *
وينعكسون سماء في ارض وطولا في عرض * ويتولة كل احد ويتدله *
ولا يدري الى اين يتوجه * فان كان في عسكره ربيئه * او من يراقب
ذهابه ومجيئه * فبمجرد ما رأى تحميلهم * وشاهد تحويلهم ورحيلهم *
طار الى مخدومه * واظهر له ما في معلومه * من توجه العساكر
الى الجهة التي اتفقوا عليها وانه شاهدهم بعينه وقد توجهوا اليها *

فيأخذ وحذره اهل ذلك الجانب * وتطيش سائر الجوانب من النواحي *
فلم يشعروا الا وقد دهمهم على الجانب الذي قصده وسطه * ونزل من ذلك
العذاب الموقد في السعير والسخط * وكم كان له من دهاء * ومكر خفي
وذكاء * ومن جملة ذلك انه لما كان بالشام * وقد قابلته عساكر
الاسلام * اشاع ان سوار اساوردته تخلخل * وتأخر قليلا الى وراء
وتحلحل * واذاع انه اعوزه خيله ورجله الزاد * وانه صائب صوب
بغداد * ثم اسفرت القضية * عن ان انهزمت العساكر المصرية *
وكان قصده بذلك تشتيت جاشهم * واستقرار دروسائهم واوباشهم *
وان يكون كل منهم على مازم * فيريض في مكانه ولا ينهزم * فيحيط
بالكل كيده * ويصير الجموع صيده * ومما يحكى عن شدة عزمه *
وثباته على ما يقصده وحزمه * وجلول نقمته ممن يعارضه * ويعاكسه
فيما يرسم ويناقضه * انه لما توجه بالجنود * الى بلاد الصعيد * بلغ الى قلعة
شامخة * اقتطاها الدراري بأذان مراميها عالية * ورجوم النجوم
المخارقة تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقة * كأن بحرام
في مهواة احد سواطيرها * وكيوان في معراة خادم نواطيرها *

والشمس في استوائها غرة جبينها * وقطرات السحاب في الانسكابها
تترشح من قعر معينها * وشقة الشفق الحمراء على آذانين مرامينها
وانوف ابدانها سرادق * وكربات نجوم القبة الخضراء لعيونن
مكاحلها وافواه مدافعها طابات زبانق * فيها من الهنود طائفة *
ثابتة الجنان غير خائفة * جهزت اهلها وما تخاف عليه الى الاماكن
المعجزة * وتثبتت هي في تلك القلعة حافظة لها متحرزة * مع انها شرذمة
قليلة * وطائفة ذليلة * لا خبير عندهم ولا مير * ولا فائدة سوى
الضرر والضير * ولا للقتال عليها سبيل * ولا حواليها لاحد مبيت
ولا مقيل * بل هي مطلة على المقاتلة * مستمسكة من المقاتلة * فابى ان
نجاوزها * دون ان ينازلها بالحصار وينازلها * واللبيب العاقل *
ما يترك لخصمه وراءه معاقل * فجعلت المقاتلة تناوشها من بعيد * ونصب
كل من اهلها عليهم من اسباب المنايا ما يريد كما يريد * فكان كل يوم
يقتل من عسكره ما لا يحصى * والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا *
وهو يأبى الرحيل عنها * الا ان يصل الى غرضه منها * ففي بعض ايام
الصحاصرة مطروا * وبواسطة المطر انحصروا * وصار يحتهم على القتال *

وركب لينظر ماذا يصنعون في تلك الحال * فلم يرتض افعالهم * لما
هكست اوجالهم احوالهم * فدهامنهم رؤس الامراء * وزعماء العسكر
والكبراء * واخذ يمزق اديم عصمتهم بشفا رشتمه * ويشقق ستر
حرمتهم بمخالب لعنه وذمه * ونفخ الشيطان في خيشومه * فالهب
فيهم نيران غضبه وشومه * وقال يا لئام * واكلة الحرام * تتقلبون
في نعماى * وتتوانون عن اعدائي * جعل الله نعمتي عليكم وبالا *
وانبسكم بكفرانها خيبة ونكالا * يا فاجري الذمم * وكافري النعم *
وساقطي الهمم * ومستوجبي النقم * الم تطؤا اعناق الملوك باقدامي
اقدامي * وتطيروا الى آفاق الدنيا باجنحة احساني واكرامي *
وتفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتي * وتسرحوا في منتزهات
الاقاليم سوائم تحكمكم بترعية دولتي * بي ملكتم مشارق الارض
ومغاربها * واذ بتم جامدها واجمدتم ذائبها *

* شعر *

* الم اك نارا يصطليها عدوكم * وحرزا الما لجأتم من روابيا *
* وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشمالیا *

ولا زال يهمهم ويغمغم * ويهذرم ويبرطم * وهم مطرقون لا يحيرون
جوابا * ولا يملكون منه خطابا * ثم ازداد جنقا * وكاد ان يموت
خنقا * فاخترط السيف بيده اليسرى * وهم به على قسم اولئك الاسرى *
وهم ان يجعل رقابهم قرابه * ويسقي من دمائهم فرنده وذبابه * وهم
على تلك الحال * في الخزي والاذلال * باذلوا نفوسهم * ناكسوا
رؤسهم * ثم تراجع وتماسك * وملك نفسه قليلا وتمالك * فاعتمل عن
تشريفهم حسامه * ولم يلق لامرة قبلة ولا دبرة فغلف غربه وشامه *
ثم نزل عن مركبه * واستوى على الشطرنج الكبير ليلعب به * وكان عنده
شخص يدعى محمد ناوجين * وهو لديه ذو مكان مكين ومقام امين *
مقدم على كل الوزراء * ومبجل دون سائر الامراء * مسموع القول *
مقبول الرأي * ميمون النقيبة * محبوب الشكل * فتشفعوا اليه *
وعولوا في حل هذه الاشكال عليه * وقالوا ساعدنا ولو بلفظه *
وراقبنا ولو بلحظه * واعمل معنا * بهذا المعنى *

* شعر *

* ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال *

* وبما قبل *

وأهون مايعطى الصديق صديقه * من الهين الميسور ان يتكلما *

وبما قبل

* وان امرأ قد ضن عني بمنطق * يسد به من خلتي لضنين *

فاجابهم والتزم * ان يرده عما تأزم به وازم * وراقب مآل المقال * وراعى فرص المجال * واخذت افكاره تمور * تفور في امور العلعة وتغور * وجعل يستضوي اضواءهم * ويستوري آراءهم * ولا يسمع كلامهم الا القبول * لما يستصوبه رأيه ويقول * ففي بعض الاحايين * اتفق ان قال محمد قاوجين * وقد زل به القضاء * واحاط به نوازل البلاء * اطال الله بقاء مولانا الامير * وفتح بمفاتيح آرائه ورايته حصن كل امر عسير * هب انا فتحنا هذه القلعة * بعد ان اصيب مناجانب من اهل النجدة والمنعة * هل يفي هذا بذا * ويوازن هذا النفع بهذا الاذى * فما احتفل بخطابه * ولا اشتغل بجوابه * بل استدعى شخصا من المرقدارية * فظا قبيح المنظر ذا حالقة زريه * يدعى هرا ملك * ذا عرق سهك * ووجه بالسواد سبك * ارسخ من في المطبخ *

واستخ من في المسلخ * لعاب الكلب طهور عند عرقه * وعصارة القبر
خليب بالنسبة الى عرقه * فحين ما حضر لديه * ووقع نظره عليه *
امر بثياب محمد قاوجين فنزعت * وبخلقان هو املك فخلعت * ثم
البس كلا ثياب صاحبه * وشد وسطه بحياصته * ودعا داوين محمد
ومباشريه * وضابطي ناطقه وصامته وكاتبيه * ثم نظر ما له من ناطق
وصامت * وذائب وجامد * وملك وعقار * واهل وديار *
وحشم وخدم * من عرب وعجم * واوقاف واقطاع * وبساتين
وضياع * ومماليك واتباع * وخيل وجمال * واحمال واثقال *
حتى رزجاته وسراريه * وعبيده وجواريه * فانعم بذل لك طي الوسخ *
وامسى نهار وجود محمد قاوجين وهو من ليل تلك النعمة منسلخ * ثم قال
تيمورا قسم بالله وآياته * وكلماته وصفاته * وارضه وسماواته *
وكل نبي ومعجزاته * وولي وكراماته * وبراس نفسه وذاته * لئن
آكل محمد قاوجين احدا وشاربه اوماشاه * اوصادقه اوصافاه *
اواوى اليه اوآراه * اوراجعني في امره * اوشفع عندي فيه اواشتغل
بعذره * لاجعلنه مثله * ولاصيرنه مثله * ثم طرده واخرجه *

وقد سلبه نعمته واحرجه * فصار مسلوب النعم * قد حلت به نوائب النقم * وسخطوه بالحلق * ورأى نعمته على اقل الخلق * واتصل غيره بالحلق وقطع منه الحلق * فلقت حبة قلبه اي فلق * واستمر على ذلك في عيش مر وعمر حالك * وحاشا ان تشبه قصته قصة كعب بن مالك * فكان يستحلي مرارة الموت * ويستبطئ اشارة الفوت * وكل لحظة من هذا الحيف * اشد عليه من الف ضربة بالسيف *

فلما مات تيمور احياه * ورد عليه خليل سلطان

ما سلبه جده اياه *

* فصل *

وكان من ابهته وعظمته * وشدة شكيمته وعتوه وحرمته * ان ملوك الاطراف * وسلاطين الاكناف * مع استقلالهم بالخطبة * واستبدادهم بالسكة * وانفرادهم بالزعامة والرياسة * وقيامهم بامور الايالة والسياسة * كالشيخ ابراهيم ملك ممالك شروان * وخواجا علي ابن المؤيد الطوسي سلطان ولايات خراسان * واسفنديار الرومي وابن قرمان * ويعقوب بن علي شاه حاكم كرمان * وحاكم منشا وطهرتن امير ارزنجان *

وسلاطين فارس واذربيجان * وملوك الشتوا الخطا
وتركستان * ومرازبة بلخشان * ومراجيع مازندران * وعلى الجملة
فالمطيعون من ملوك ايران وتوران * كانوا اذا قدموا عليه * وتقدموا
بالهدايا والتقادم اليه * يجلسون على اعتاب العبودية والخدمة *
نحوا من مد البصر من سرادقاته قائمين بشرائط الادب والحرمة *
فاذا اراد منهم واحدا * ارسل اليه من القراشين اونحوهم قاصدا *
فيهيب ذلك القاصد وهو يعدو كالبريد * وينادي ذلك الواحد
باسمه يا فلان من مكان بعيد * فينهض في الحال من مجلسه * مجيبا
بلبيك لبيك دعواه * ويعدو نحوه متعثرا في اذياله * متلقيا ما برزت
به مراسيمه بقبوله واقباله * مطرقا راس التذلل والخضوع * مصغيا
باذان الخنوع والخشوع * مقتصرا على اضرابه * لكونه اهله
ودعاه واعتنى به * وقيل كان اناس من جماعته يلعبون بالنرد
فافترقوا فرقتين واختلفوا في نقش الكعبتين * فقال احد اللاعبين وراس
الامير تيمور كذا وكذا نقش الكعبتين * فرفع يده فخصمه ولطمه *
وسبه ولعنه وشتمه * كانه ذبح يحيى اوزكريا نشر * اوكفر بمحمد

ارقدم موسى على ابى البشر * وقال يا ابن الفاعله * والغاسل ابن الغاسله *
بلغ من انتهاكك الحرم * ان تذكر الامير تيمور بفم * وانى لك
ان تجعل خدك موطئ مداسه * فضلا ان تحلف براسه * انه لاجل
ان يتفوه مثلي ومثلك باسمه * او يتلفظ بشيء من حدود ورسمه *
وانه لاعظم من كيخسرو وكيكاوس وكيقباد * الذين ملكوا المشارق
والمغارب وافخم من نخت نصر وشداد * وقيل انه قصد فى بعض
الارقات الاصطياد * وارسل بمنة ويسرة على العادة طوائف الجيش
والاجناد * ورسم ان يخرج مشاة تلك الرقاع * ورجالة هاتيك القرى
والبقاع * فيمتد وافى الوهد واليفاع * وحين تلتئم على الوحوش حلقة
الكيد * ويصح ان يتنازع فعلا رمى واصمى كلا من عمرو وزيد *
لا يشير احد بضربة ولا طعنة ولا رمية الى صيد * بيد انهم يردون
اوابد تلك البيداء الى بهرة ذلك البيد * فامتثل كل ما به امر *
وحين صار كالبنيان الموصوص صفت تلك الاحزاب والزمر * واحاطت
هاتات تلك الكواسر بالوحوش احاطة النجوم بالقمر * ماجت بحار
الوحوش في ذلك البر * ولم تجد لها من دون تلك السيول الهامرة

من مخرج ولا معبر * فدارت ومارت * وخارت وحارت * وثارت
وبارت * واستجارت بعد ما جارت * واستكانت بعد ما زأرت *
وانطوت ارضها التي طال ما عليها انتشرت * وطرزت خلع اعلامها باعلام
واذا الوحوش حشرت * فبينما هي على تلك الحال * في اشد ما يكون
من الاهوال * امر بان تضرب الطبول من كل الجهات * ويشخ في صور
المزامير والبوقات * فدق الكوس وزعق النفير * وامتلأت الدنيا
من الشهيق والزفير * ورجت الارض رجا * ومارت الاقطار مرجا
ومرجا * وحين سمعت السباع صوت الطبول * ورأت الوحوش هذا
الامر المهول * سقطت قواها * وتقطعت كلاها * وجثت وما انبعثت
ثم تقاربت وتلامت * وتقارنت وتضامت * وتصورت ان القيامة
قد قامت * فاخذ بعضها بعنق بعض ونامت * فعانق النمر
منها اللبوة * وضاجع الاسد فيها الظبية * واختفى السرحان *
بين الغزلان * واستجار الثعلب * بنبات الارنب * ولاذ بالاروى
النعام والارنب بالعقاب * وعاذ الصب بالنون واليربوع بالغراب *
فعند ذلك امر الاطفال من اولاده * واولاد الامراء واحفاده *

ان يرموا ويصموا ويغنوا * مهما اراد وا ولا يطنوا * وجعل ينظر اليهم *
ويتفرج عليهم * ويزهزه لافعالهم * ويقهقه على احوالهم * ويجرأهم
على الاقدام والنضال * ويشجعهم بذلك على صيد الابطال * وجعلت
حواشي الجيش تنجز على ما اصموا * وتجهز على ما انموا * وصار ذلك
المفسل * يترنم وينشد *

* شعر *

* صيد الملوك ارانب وثعالب * فاذا ركبت فصيدي الابطال *

* فصـــــل *

وكان يحمل اليه البلخش من بلخشان * والفيروزج من نيسابور
والازرون ومعادن خراسان * والياقوت من الهند * والماس منها
ومن السند * واللؤلؤ من هرمز والقطيف والحسا * والبشم والمسك
وغيره من الخطا * ومن سائر الاقطار * خالص الفضة ومصفى النضار *

* فصـــــل *

وانشأ في سمرقند بساتين عديدة * وقصورا شوامخ مشيدة * كل له
ترتيب غريب * ووضع انيق عجيب * احكم اساسها * وطعم بافخر

الفواكه غراسها * سمى احدها بستان ارم والآخر زينة الدنيا *
والآخر جنة الفردوس والآخر بستان الشمال والآخر الجنة العليا *
ثم انه هدم مصرا * وبنى في كل بستان منها قصرا * وصور في بعض هذه
القصور مجالسه * واشكال صوره تارة ضاحكة واخرى عابسه *
وهيآت مواقعاته * وصور محاضراته * ومجالس صحبته مع الملوك
والامراء * والسادات والعلماء والكبراء * ومثول السلاطين بين
يديه * ووفود العالمات من سائر الاقطار اليه * وحلق صيده *
وكمائن مكايده * ووقائع الهند والترك والعجم * وصورة انتصاره وكيف
انكسر عدوه وانهزم * وصورة اولاده واحفاده * وامرائه واجناده *
ومجالس عشرته * وكاسات خمرته * وسقاة كاسه * ومطربي ايناسه *
وتنزلات مقاماته * ومقامات تنزلاته * وحظاياه حضرته * وخواتين
عصمته * الى غير ذلك مما وقع له من صورة حادثة في الممالك *
مدة عمره المتقارب المتدارك * كل ذلك كما وقع ووجد * ولم ينقص
من ذلك شيأ ولم يزد * وقصد بذلك الافادة * لمن كان في عالم الغيب
عن احواله بالشهادة * فكان اذا توجه الى مكان * وحلت سمرقند

من الظلمة واعوان الشيطان * تخلو تلك البساتين * ويتوجه اليها اهل المدينة الاغنياء والمساكين * فلا يوجد اعجب متنزها منها ولا احسن * ولا ارونق مرتفقا ولا آمن * واما ثمارها الطيبة فانها مثيله * بحيث انه لا يباع منها قنطار بخرد له * وانشأ في ضواحي سمرقند واطرافها قصبات * سماهن باسماء كبار البلدان والامهات * كمصر ودمشق وبغداد * وسلطانية وشيراز عرائس البلاد * وانشأ بستانا في ضواحي سمرقند على طريق الكش وبنى به قصرا سماه تخت قراجا يحكى ان بعض مشيدي عمارته ضاع له فرس واستمرت ترعى في البستان ستة اشهر حتى وجدوها *

* فصل *

نساؤه الملكة الكبرى * وهي اقدم واكمل * والملكة الصغرى * وهي احسن واجمل * وهما من بنات ملوك الخطا * وتومان بنت الامير موسى امير نخشب المار ذكره في اول الكتاب * وجلبان كانت كالبدر عند الكمال * وكالشمس قبل الزوال * قتلها في حيوته لشيء بلغه عنها * وكان غير واقع وانما فعل ذلك معها * لانه قيل

ان صدقا وان كذبا * واظنها كانت من الخطايا * واما السراري والخطايا * فاكثر من ان تحصين * فالمكتان المذكورتان سمتهما شاه ملك خونا منيما على خليلها وتومان ارسلها خليل سلطان الى شيخ نور الدين بسغناق كما مر وبعده جاءت الى سمرقند وسمعت انها عزمت في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمانمائة على الحج والله تعالى اعلم *

* فصـــــل *

اولاده لصلبه المتخلفون من بعده اميرانشاه قتله قرايوسف كما ذكر وشاه رخ وهو المتملك في يومنا هذا وبنت تدعى سلطان بخت زوج سليمان شاه كانت مترجلة لا تحب الرجال وذلك لما افسدها النساء البغاديات قدمن سمرقند ولها توابع وسوء * احفاده غالبهم انقرض الا اولاد شاه رخ وامثلهم اولوغ بيك حاكم سمرقند وابراهيم سلطان حاكم شيراز وباسنغر حاكم كرمان ماتا كلاهما في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وجوكي وهو الذي مشى على اسكندر بن قرايوسف وشتت شمله بعد موت قرايلوك وذلك في شهور سنة تسع وثلاثين

وتمانمائة ثم مات في اواخرها *

* فصـــل *

امراؤه وزراؤه لا يحصون واشهرهم من ذكر في هذا الكتاب * دواوينه الخواجا محمود بن الشهاب الهروي ومسعود السمناني ومجد الشاغرجي وتاج الدين السلماني وعلاء الدولة واحمد الطوسي وغيرهم * منشيء ديوانه وهو عبارة عن كاتب السر مولانا شمس الدين قاضي زمانه وفاضل ابانه فارسيا وعربيا يصرف اخبار الانشاء كيف شاء كان قلمه في فتح اقاليمه * انفذ من سنان مخدومه * ولما مات تيمور احتجب * وطوى بساط الادب * فقيل له هكت البشرة الا تباشر * وصفت العشرة فهلا تعاشر * فقال ذهب الذي كان يعرف قيمتي * فانا لا اذهب في خدمة الاحداث حرمتي * امامه عبد الجبار بن النعمان المنزلي * صدر مملكته مولانا قطب الدين والخواجا عبد الملك ابن عمه الخواجا عبد الاول وغيرهم * قاري قصصه وتواريخه مولانا عبيد * اطبائه فضل الله وجمال الدين رئيس الطب بالشام وغيرهما وكان دائبا يستعمل معاجين الاحجار * وفي سنة ذلك يجتنبي باكورة

الابكار * منجموه لا تحضرني اسماؤهم *

* فصـــل *

حصل في ايام استيلائه بسمرقند من الفقهاء مولانا عبد الملك وهو من اولاد صاحب الهداية كان يلقي الدرس ويعلم الشطرنج والنرد وينظم الشعر في حالة واحدة ونعمان الدين الخوارزمي ابو عبد الجبار المذكور كان يقال له النعمان الثاني وكان اعمى والخواجا عبد الاول ابن عم مولانا عبد الملك انتهت اليه الرياسة في ما وراء النهر بعد ابن عمه ومولانا عصام الدين بن عبد الملك انتهت اليه الرياسة في بوصنا بعد ابن عمه عبد الاول * ومن المحققين مولانا سعد الدين التفتازاني توفي في محرم الحرام سنة احد وتسعين وسبع مائة بسمرقند والسيد الشريف محمد الجرجاني توفي بشيراز * ومن المجتهدين الشيخ شمس الدين محمد بن الجزري كان اخذه من الروم وكان قد هرب اليها من مصر بعد توجهه من بلاد الشام قبل الفتنة توفي بشيراز والخواجا الكبير المفسر الحافظ المحدث محمد الزاهد البخاري فسر القرآن الكريم في مائة مجلد توفي بمدينة النبي صلى

الله عليه وسلم سنة اثنين وعشرين وثمانمائة * ومن القراء هما ومولانا
فخر الدين ومن حفاظ القرآن المجودين قراءة وصوتا عبد اللطيف
الدامغاني ومولانا اسد الشريف الحافظ الحسيني ومحمود المخرق
الخوارزمي وجمال الدين احمد الخوارزمي وعبد القادر المراغي
الاستاذ في علم الادوار * ومن الوعاظ والمتكلمين مولانا احمد بن شمس
الائمة السرامي كان يقال له ملك الكلام عربيا وفارسيا وتركيا وكان
اعجوبة الزمان ومولانا احمد الترمذي ومولانا منصور الفاغاني *
ومن الكتاب المجودين السيد الخطاط ابن بنكير وعبد القادر
المذكور وتاج الدين السلماني وغيرهم * ومن المنجمين اناس برعوا
لا اعرف من اسمائهم غير مولانا احمد الطبيب النحاس المستخرج
قال لي استخرجت من رابعة الطالع الى مائتي سنة وكان هذا الكلام
في سنة ثمان وثمانمائة * ومن الصواغين الحاج علي الشيرازي والحاج
محمد الحافظ الشيرازي وغيرهما * ومن الحكاكين طائفة جمة واسمهم
التون وكان آية في فنه ينقش الفصوص ويحفر اليشم والعقيق بخط
احسن من ياقوت * ومن الشطرنجيين محمد بن عقيل الشبعي وزين

اليزدي وغيرهما وعلامة ذلك علاء الدين التبريزي الفقيه المحدث
كان يحط لزين اليزدي بيدقا ويغلبه ولابن عقيل فرسا ويركبه
ولقد داخ تيمور الاقاليم شرقا وغربا * وقمر في دست مصافاته كل
سلطان وكل شاه مات عنده جدا ولعبا * وكان يقول له انت
في ملك الشطرنج فريد * كما اني في سياسة الملك وحيد * وكل مني
ومن مولانا علي شيخ في فنه ذو كرامات لم يوجد له نديد *
وله في لعب الشطرنج وعلمه مناصيبه شرح * وما كان احد
يقول انه ينتج ولا دفكره في لعبه معه من غير طرح *
وكان فقيها شافعيا * محدثا اريحيا * حسن البهجه * صادق اللهجه *
حكى لي انه رأى امير المؤمنين عليا كرم الله وجهه في المنام * وانه
ناوله الشطرنج في كيس فلم يغلبه احد بعد ذلك من الانام * ومن
اوصافه في لعبه انه كان لا يتفكر * وبمجرد ما يلعب خصمه بعد التفكر
والتأمل الطويل ينقل من غير ان يتدبر * وكان يلعب على الغائب مع
خصمين * ويعلم مع الطرح لمن هو في جهته على الجهتين * وكان يلعب هو
والامير * بالشطرنج الكبير * ورأيت عنده شطرنجا مدورا وشطرنجا طويلا

والشطرنج الكبير وفيه من الزوائد ما مر ذكره * وطريقة تعلمه بالفعل
اقوى * وليس في شرحه بالقول كثيرا جدوى * ومن المطربين
عبد القادر المراغي المذكور وولده صفي الدين وختنه نسرين وقطب
الموصلي وارد شير الجنكي وغيرهم * ومن النقاشين كثير واعلاهم
عبد الحي البغدادي وكان ماهرا في فنه * ومن التجريدة شهاب الدين
احمد الزرد كاشي * ومن نقاشي الزجاج والنحاس وغيرهم ما لا يحصى
وهؤلاء كل منهم كان علامة دهره واعجوبة عصره * ولو رصعت حلي
الالفاظ بجواهر اوصاف هؤلاء الاعيان * لملأت الاكوان من فرائد
الجمان وقلائد العقيان * وهؤلاء من حضرني ذكره ممن اعرفه وامامن لا اعرفه
او اعرفه ولا يحضرني ذكره فاكثر من ان يحصى * واغزر من ان يستقصى *
وحاصل الامر ان تيمور كان جنى كل حي * وجبى الى سمرقند ثمرات
كل شيء * فكان بها من اهل كل فن عجيب * واسلوب من الصنائع غريب *

من هو على جبين الفضل شامه * وبرز على اقرانه

فصار في فنه علامه *

* فصل *

وكان في سمرقند انسان * يسمى بالشيخ العريان * فقير اد همي * بشكل
يهي وعزم سمي * قيل ان عمره على ما هو فيهم شائع * وبين اكابرهم
واصاغرهم ذائع * ثلاث مائة وخمسون سنة * مع ان قامته مستوية
وهيئته حسنة * كان المشائخ المعمرون * والاكابر المعمرون * يقولون
لقد كنا ونحن اطفال * نرى هذا الرجل على هذا الحال * وكذلك نروعه
عن آبائنا الاكرمين * ومشايخنا الاقدمين * ناقلين ذلك كذلك
عن آبائهم * والمعمرين من اكبرائهم * وكان اطلس وله قوة ناهضة
واحدة * من رآه يتصور انه لم يبلغ اشده * لم يكن للكبر * بوجهه
تجعيد ولا اثر * وكان الامراء والكبراء * والاعيان والصلحاء *
والفضلاء والرؤساء * يترددون الى زاويته * ويتبركون بطلعته
ويلتمسون بركة دعوته * وفي سمرقند مسجد يسمى مسجد الرباط *
يهب لمن يدخله الانشراح والانبساط * والروح والنشاط * وقيل
ان احد فعلته كان وليا * يسمى الشيخ زكريا * هو معتقد تلك البلاد *
ومزاره في مكان مشهور على طود من الاطواد * وقبره يستجاب عنده
الدعاء * وهو عن سمرقند نحو يوم في المدى * وهو بالكرامات

موصوف * وفي كوخ هذه المقامات معروف * وهو في ربوة ذات قرار *
فيها جنات تجري من تحتها الانهار * محفوف باليمن والانس * كأنه
اقتطع من حظيرة القدس * يحكى انه لما كان * فاعلا في ذلك البنيان *
وقع في جبهته نقطة من الطين * فرأى ذلك أحد المباشرين * واستمر
ذلك الطين على هذه الحال * نحوا من ثلاث ليال * فلما اراد واضع
المحراب * وقع الاختلاف في الخطأ والصواب * وكثر في ذلك الصخب
والاضطراب * فقال الشيخ زكريا ضعوا المحراب على هذه الغرة *
ولا تعبئوا عنها يمنة ولا يسرة * فقال ذلك المباشر * لمن في ذلك المكان
حاضر * يا للعجيبة * والقضية الغريبة * رجل لم يغسل وجهه ثلثة
ايام * يرشد الناس الى معالم الاسلام * فقال ذلك العابد الزاهد * او رجل
هو من لم يتم ثلاثة ايام بوضوء واحد * ولكن تعال ايها الجاحد
قف مكانك * وثبت جنانك * ولا تكن ممن انكر وتولى * وانظر
الى عمرو من الكعبة كيف تجلى * فنظر ذلك الذي انكر * فاذا الكعبة
امامه تتبختر * ثم التفتوا الى الشيخ ففقدوه * وطلبوه ارضا وسماء
فلم يجدوه * وهذا المسجد فيه شيء عجب * عدة اسطوانات من خشب *

من جملتها سارية شمخت ارتفاعا * نحوا من خمسة عشر ذراعا * وغلظ جسمها وبدنها * فلا يقدر الرجل يحتضنها * وباقي السواري بها قد حطن * قيل انها شجرة قطن * ولها خاصية عجيبة * طريقة غريبة * من كان به وجع الضرس * يضع عليه مقدار حبة من خشب ذلك البرس * فانه ينفعه * ويسكن في الحال وجعه * جربته فصح ويسأل من يدعي رؤية سمرقند عما رأى فيها من العجائب * ويشاهده من علامات الظرف والغرائب * فان اخبر برؤية هذه السارية الفائقة كانت رؤياه صادقة * واعتد له بصدق الكلام * والا كانت رؤيته اضغاث احلام *

* فصل *

سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع يصان * ولا يجري على جنس المكيلات فيها بالكيل حسبان * وانما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان * ورطل سمرقند اربعون اوقية * كل اوقية بالمثاقيل مائة * فيكون رطلهم اربعة الاف مثقال * كل مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا اخلال * فعلى هذا رطلهم بالمشقي عشرة ارطال * حكى لي مولانا

محمود الحافظ المحرق الخوارزمي ولقب بالمحرق لان سهام ترجيعاته
كانت تصيب حبات حشاشات اذ ترمي * وتفوق رنات اوتارها
فتحرق اذان القلوب فتصمي طائرها ولا تنمي * فان صدعت من القلوب
حجرا * تطاير من اقتداحها في الارواح شررا * فتحرق برناته الارواح
ويشعل بنغماته الاشباح * قال استصحبني تيمور في بعض اسفاره *
فكنت ملازم خدمته في ليله ونهاره * فنزلت عساكره على حصن
لجيحار * فضرب خيمته على مكان عال * ليشرف منه على القتال * ويتفرج
في صنع الرجال * ففي بعض الزمان * حضرت عنده انا ورجلان *
وكان قد حصل له حمى * اورثته كربا وغما * وكانت سماء النزال
ذات حبك واحتباك * ورياح القتال في التواء واشتباك * فاراد
ان يطالع احوالهم * ويشاهد افعالهم * وافرطت شهوته الى
العيمه * فقال احملوني الى باب الخيمه * فدخل ذلك الرجلان تحت
ابطيه * وارتقاه بباب الخيمة وانا بين يديه * فجعل يشاهد
حربهم * ويتميز طعنهم وضربهم * ثم اراد ان يامرهم بشيء * فقال لي
يا محمود الي * فاسرعت الى يده * ودخلت تحت عضده * فارسل احد

الرجلين الى عسكره * يأمرهم بما عن له من عجره وبجره * فكأنه لم يبن
عليلا * ولم يرو غليلا فقال لنادعاني * وعلى الارض ضعاني * فوضعناه
فسقط كأنه رمة باليه * او لحمة على بازيه * ثم ارسل ذلك الرجل
الاخر اليهم * وامرهم بما اقتضته آراؤه واكد عليهم * فبقيت انا وهو
وحدنا * لم يبق احد عندنا * فقال لي يا مولانا محمود انظر الى ضعف
بنيتي * وقلة حيلتي * لا يدلي تنهض * ولا رجل تركض * ولو رماني
الناس ملكت * ولو تركوني وحالي ارتبكت * لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا * ولا اجلب خيرا ولا ادفع شرا * ثم تأمل كيف سخر الله تعالى
لي العباد * ويسر لي فتح مغلقات البلاد * وملأ برعبي الخافقين *
واطار هيبتي في المغربين والمشرقين * واذل لي الملوك والجبابرة *
واهان بين يدي الاكاسرة والقياصرة * وهل هذه الافعال الا افعاله *
وهذه الاعمال الا اعماله * ومن هوانا غير سطيح ذي فاقد * لا باب لي
في الدخول الى هذه الافعال ولا طاقه * ثم بكى وابكاني * حتى ملأت
بالدموع ارداني * فانظر الى هذا الوبر * كيف سلك بهذا القول مسلك
القائلين بالجبر * وانشد وانيه بالفارسي بيتين وهما

* شعر *

* نیم تنی ملك جهانرا کرفت * چشم کشا قدرت یزدان ببین *

* پای نی و تخت بزیر قدم * دست نی و ملك بزیر نکین *

ترجمه فقلت ذو بیت

* قل اظهر قدرة بخافي حکمه * من ملك شقا الدنا جافي قسمه *

* لا کف له والملك في خاتمه * لا رجل له والتخت موطي قدمه *

* فصل *

وامّا عساکره وطرائق سلوکهم * فانهم طول دین ملوکهم * کانوا استدرجوا من حیث لا یعلمون * ورزقوا من حیث لا یحتسبون * مسخرا لهم خفیات الدفائن * مفتوحا علیهم خبیات الخزائن * میسرا لهم مکامن المطالب والمعادن * کل طرف منهم قد جال وبسط * وصار بطرق اللوم امد من القطا * قد دبروا الامور * وجربوا الحر ابن الدهور * وقاسوا معاصر العصور * وکابدوا المکائد * وعالجوا الشدائد * وما رسوا الاشیا * وذاقوا الناس والدنیا * وعرفوا مداخل کل مارق ومخارجه * وادرکوا مدارکه ومعارجه * لا یدلیهم داهیه *

ولا يطغيهم طاغيه * ربما يمرون بقفراء * ويجوزون بمهمه صحراء *

* شعر *

* لا يقزع الارنب اهوالها * ولا ترى الضب بها ينجحر *

فيقف بعضهم ثم تراه * ينظر الى ارض ذلك المكان وثراه * ثم يقول ليس هذا الثرى * من هذا الثرى * ثم ينزل عن دابته ويأخذ من ذلك التراب ويشمه * ثم يلتفت الى جهاته الاربع فيقصد منها جانبا ويؤمه * ثم لا يزال يسير بمن معه من الاعوان * حتى يصلوا الى مكان * فيحفرون ويخرجون كمين الدفائن * وما في ذلك من المغلات والخزائن * وكذلك اذا وصلوا الى عمائر * او مروا على مقابر * يتوجهون الى الخباء كأنهم وضعوه بايديهم * او وخلت شياطينهم بذلك اليهم * وربما يجيئون الى مقام * مر على ساكنه فيه ايام * ومضى عليه فيه شهور واعوام * وفيه شيء مطمور * لم يكن لصاحبه وساكنه به شعور * فيجردون وصولهم اليه * يفتح ذلك عليهم ويطلعون عليه * وحين يطلع ساكنه على ذلك يأكل ندامة وحسرة يديه *

وكان لهم درايات في دهرهم عجيبه * ومهام آراء في عمرهم مصيبه *

وكانوا يحملون البقر ويركبونها * ويسرجون الحمر ويلجمونها *
ويسابقون على ذلك اصحاب الخيل العراب الى قصبات المغانم فيسبقونها *
ويطعمون الجمل * لحم الكلب والحمل * ويعتاضون عن شعير
الفرس * بالقمح والارز والدخن والزبيب والعدس * وربما اعوزهم
ذلك في السفر * فاطعموا دوابهم لحاء الشجر * حكى لي القاضي
برهان الدين ابراهيم القوشة الحنفي المذكور رحمه الله تعالى ان قازان
والتتار * لما قدموا من بلاد الري * خرج من له قوة الفرار فارا من الشرور *
كما فعلوا في قضية تيمور * ومن جملتهم تاجر بالصالحية * كان
في عيشة رخية * وله اموال واخرى وفية * جمع ماله من صالحية المال *
ووضعه في قدرية مهال * ثم حمل الى بركة ماء فحفرها * ووضع تلك
القدرة تحتها وطمرها * ثم رد ها الى مبانيها * واعاد مياهها الى مجاريها *
وحين استتب الوثوب * وقد سعد الكاعب للركوب * قال له امرأته
قد نسينا قرطين * واخاف ان تحدث عليهما في الطريق شين * فانظر لهما
مكانا * لعل يحصل لنا بذلك امانا * فقال آمالا ان * فلا مكان * ثم
اخذهما ووضعهما في سقف سقيفة * على خشبة لطيفة * ثم ركبا *

وتركا الديار وذهبا * فلما حل بلد مشق التتار * نزل منهم فرقة
في تلك الدار * فجعلوا يأكلون ويشربون * وهم في خوضهم يلعبون *
فبينما هم بعض الايام في النشاط * قرض الفار احد تلك الاقراط *
فتدحرجت لؤلؤة وسقطت على البلاط * فتبادرت الجماعة اليها جارية *
كأنهم يتسابقون الى قرطى ماريه * فسبقت الجماعة * ودخلت
البلاعة * فكشفوا عن وجه الارض سترخدرها * فوجدوا الاموال كما هي
في قدرها * فاخذوها واللؤلؤة واخرجوها * وقصدوا باقي القرطين
واقتسموها * وجماعة تبور ايضا كذا كانت * وكل معضلة من القضايا
اذا وصلت اليهم هانت * وكل منهم كان على دين ملكه وفي فنه الى غايته
عرج * فان كنت محدثا عن احوالهم واخبارهم فحدث
عن البحر ولا حرج *

* فصل *

يحكى ان واحدا منهم من اهل الذكاء والكيد * اراد في فصل الشتاء
التنزه فقصد الصيد * فاخرج مركوبه وهو بقره * فشد عليها سرجه
وهو خشبة مكسره * غرزة قضيب من زر * وحزامه حبل مبتر *

وتجمل بلباسه وهو جلد فروة منهوش * وبناجه وهو طرطور من لبد
منفوش * وشد كنانته وهي جلود ممزقة * مشدودة بحبل وعليها
خروق ملزقة * فيها قذى التوت * وحنيتها قد استوت * وزمه
بازي قد نتف القرنا ص ريشه * وقلع عن حقل بدنه زرع خوافيه
وحشيشه * ثم ركب جواده * وحمل بازيه وقصد اصطياده *
فرأى جماعة من البط * على ساحل غدير يرتبط * فرفع يده بالبازي
ساعة * حتى عاين تلك الجماعة * ثم وضع يده بخفض * وارسل البازي
على الارض * فصار يتجول رويدا * قد اضمر للبط كيدا * اذ
لم يكن له قوة الطيران * ولا جناح عليه به يستعان * فوصل الى الطير
بسكون * وهي آمن ما يكون * لانها لا تتوقع البلاء * الا من جهة
السماء * قد خل بينها فما نفرت منه * ولا هربت عنه * فلم تشعر الا وقد
وثب على واحدة وفلق هامها * فادركه صاحبه واخذها * ولما رحلوا
عن دمشق * وقد مشقوا اوراق نعيمها من اغصان وجودها اي مشق *
وكان مع بعضهم بقرة نهبها * وحملها ما اخذه من الاموال التي سلبها *
واركبها اسيرة * وساربها مدة يسيرة * فبعد سيرها يومين او ثلاثة

قلقت * ونادت بلسان حالها انها ما لهذا خلقت * فلما لم تجد ملجأ
مما شكت * توكلت على الله وبركت * فانزلوا الراكبة عنها وصاحوا
عليها فلم تقم فحلوا احمالها وضربوها فلم تتحرك فاوجعوها ضربا *
واشبعوها لعنا وسبا * وتلك المباركة باركة فاوموها وهم يضربونها *
الى ان كادوا يهلكونها * فمن شاحط بمقدمها * ومن جاذب
بموخرها * ومن متعلق بقرنها * ومن متشبث باذنها * وهي جاثمة
مشبهة فيل ابرهة * فعجزوا عنها * وايسوا منها * فبينما هم على ذلك *
وقد ضاقت عليهم المسالك * واذا هم بشيخ كوسج * كانه شجرة عوسج *
قد سلك المشارق والمغارب * ومرت به انواع التجارب * وقاسى برد
الامور وحرها * وذاق حلوها ومرها * وعرف خيرها وشرها * مربع *
وهم في كربهم * فلما رآهم اساروا * عاجزين حياروا * سكارى
وما هم بسكارى * قال تنحوا عنها اتجنه * ثم دنا منها ودنو الراقي
من ذي جنه * واخذ كفا من تراب * انعم من عيش الشباب * ثم قبض
على قرنها * وصبه في اذنها * ثم هز رأسها في مناخها * حتى وصل
التراب الى صماخها * فوثبت قائمة * وهي من ذلك الرغام راغمة *

وجعلت تنفض رأسها * وزادت اضطرابها وشماسها * وطلبت المسير * وكادت تطير * فاعادوا عليها احمالها * وزادوا اثقالها * فصارت تلك الملينها * تعدو ولا يقدر عليها * فصل * وكان في عسكره من الترك عبدة الاصنام * وعباد النار من المجوس الاعجام * وكهنة وسحرة * وظلمة وكفرة * فالمشركون يحملون اصنامهم * والكهان يشجعون غلامهم * ويأكلون الميتة والدم المسفوح * ولا يفرقون بين مخنوق وذبوح * وناس جزازون وزواجر خراصون * ينظرون في الواح الضان * ويحكمون بما يرون فيها على احوال كل مكان * وما حدث في كل بقعة * من الاقاليم السبعة * من الامان والخوف * والعدل والحيف * والرخص والغلاء * والتسقم والشفاء * وسائر ما يكون * فلا يكادون يخطئون * ولهم ايام * وشهور واعوام * كل عام منسوب الى حيوان * يحسبون بها ما مضى من السنين فلا يتأتى فيها زيادة ولا نقصان * وفي اخطالهم خط يسمى دلبرجين * رأيت حروفه احدا واربعين * وسبب زيادته انهم يعدون التقاويم والاملات * حروفا وكل لك البنين بينات * فتتولد الزوائد * وكل حرف زائد *

وأما الجغتاي فلهم قلم يسمى اويغور * وهو بالقلم المغولي مشهور *
وعدة اربعة عشر حرفا وسبب نقصانه وانحصاره في هذا العدد ان
حروف الخلق يكتبونها على هيئة واحدة وكذلك تلفظهم بها ومثل هذه
الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء والفاء ومثل الزاي والسين
والصاد ومثل التاء والدال والطاء وبهذا الخط يكتبون توقيعهم
ومراسيمهم ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومخاتيمهم * وتواريخهم
واشعارهم * وقصصهم واخبارهم * ومجلاتيهم واسفارهم وجميع ما يتعلق
بالامور الدنيوية * والثورة الجنكيزخانية * والماهر في هذا
الخط لا يعوز بينهم * لانه مفتاح الرزق عندهم *

* فصل *

وكما كان فيهم من جبل على الفظاظة * والقسوة والغلاظة * ومن هو قليل
الرحمة بل وعديم الاسلام * كفرة فجرة اوغاد اذلال طغام اغتام *
قد اتخذوه من دون الله هاديا ونصيرا * واستكبروا به في انفسهم
وعتوا عتوا كبيرا * استجرهم كفرهم وحبهم اياه * الى انه لو ادعى
النبوة او الالهية لصدقوه في دعواه * كل منهم يتقرب الى الله تعالى

بنبره * ينذر له اذا وقع في شدة ويفي بنذره * واستمر على اعتقاده
الباطل وكفره * مدة حيوته وبعد موته ينقل النذور ويقرب القربان
الى قبره * وكان ترقى به في المصاحبة * حتى وصل الى مقام المراقبة *
قيل انه كان في السفر * قرأ ف واحد من العسكر * كأن الكرى عطف
رقبته * او السرى امال شقته * او على حال لا يتوجه عليه فيها لوم
ولا عتب * فضلا ان يترتب عليه ضرب او سب * فقال تيمور ترى ما ثم
احد قاطع * يقطع رأس هذا الفاعل الصانع * ولم يزد على هذا الكلام *
فسمعه واحد من اولئك الكفرة اللئام * اسمه دولة تيمور * وهو
امير كبير مشهور * قد البسه الله ثوب النقمة * ولم يشمه شيأ من روائح
الرحمة * ففي الحال سل رأسه من بين كتفيه * وحمله الى تيمور ووضعه
بين يديه * فقال تيمور ويلك ما هذا الامر الافظع * فقال هذا الرأس
الذي اشرت ان يقطع * فاعجبته هذه العبارة * وابتهج بان امره
يمتثل بادنى اشارة * وكان فيهم الظرفاء والادباء * والاذكياء
والشعراء * ومن هم في الفضل اعلام وعلماء * وفيهم المحقق * والباحث
في العلوم والمدقق * ومن شارك في كل العلوم * وبحث فيها بحثا شافيا

من طريقي المنطوق والمفهوم * ويقرر مذهب الصوفية واحياء العلوم *
ومع هذا فبعضهم يمضي على مقتضى ما علمه * وكان من الذين آمنوا
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * وبعضهم كان مع رقة الحاشية *
واللطافة الفاشية * والعلم الوافي والظرف الشافي * والجمال الفائق *
والكمال الشائق والكلام الرائق * قلبه اقسى من الحجر * وفيه
انكى من ضرب الصارم الذكر * يقولون من قول خير البرية * ويمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية * واذا وقع مسلم في مخاليبهم *
او بنابي غريب يتغذ بهم * صنف ذلك العالم المحقق * والحبر المدقق *
في استخراج المال انواع العذاب * واصناف العقاب * واستحضر
في فنون تغذ به كتبا ومسائل * وسرد في علوم تثريبه خطبا
ورسائل * فيصير ذلك المسكين يتكوى * ويستغيث ويتلوى *
ويستجير بالله وآياته * ويستشفع بكل ما في ارضه وسماواته *
من ملك ونبي * وصديق وولي * وذلك المليح يضحك ويتظارف *
ويتمايل ويتلاطف * وينشد لطائف الاشعار * ويتمثل بطرائف
النوادر والاخبار * وربما تخرق وبكى * وتأوه لما يفعل بذلك

من التعنيف والتثني * وصار كبعض قضاة الاسلام * المستولي على مال
الايتام * يخطب ويبكي * وفعله في قلوب المسلمين يبكي * ولما كانوا
في دمشق دخلوا الى بيت واحد من الاعيان بزقاق العجم *
واذا هو مملوء من النفائس والخيرات والنعم *

* شعر *

* قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام *

فقبضوا على صاحب ذلك المنزل وربطوه * وبانواع العذاب والعقابيه
عذبوه * ثم احكموا رجليه شد اوعلقوه * واستخرجوا النفائس *
واستجلوا من حسانها العرائس * واحضروا لذيذات المطاعم والمشارب *
وقضوا من التفكه والتنعيم مالهم من مآرب * وجعلوا يأكلون ويشربون *
ويلهون ويطربون * واذا تحرك في واحد منهم الخبث * الرث مل
واخذه في سكرة العبث * عمد الى ذلك المسكين وهو في شدة النكاد *
فسقاه الماء والملح وسفه الكلس والرماد * وكان فيهم عالم متقشف *
عن تناول المسكرات متعفف *

* كما قيل *

* حجبت من شخص رمن زمن * وذكرة النار وأهوالها *
* يكره ان يشرب في فضة * ويعرق الفضة عن حالها *
وكانوا اذا رأوا القدح المزعفر * احضروا له السكر المكرر * ووضعوه
له في صيني الشوانق * وصبوا عليه الماء الرائق * فيتكرون من هم
بالاقداح القوادح * ويسكرذلك الغامق المحروم من الروائح * ثم
يتوجه الى صاحب المنزل ويضحك عليه ومرقي اشد ما يكون من العذاب
ويشكر منه ويعزل * ثم يتمايل على صوت المثاني والمثالث * ويتناول
من تلك المآكل والمشارب ويقول بشر مال البخيل بادر او وارث *
وكان في عسكره كثير من النساء * يلجن مقانع الهيجاء وقائع الباساء *
ويقاتلن الرجال * ويقاتلن اشد القتال * ويصنعن ابلغ ما يصنع
الفحول من الرجال في النزال * من طعن بالرمح وضرب بالسيف ورشق
بالنبال * واذا كانت احداهن حاملا واخذها وهم سائرون الطلق *
تقعت عن الطريق واعتزلت الخلق * ونزلت عن دابتها ووضعت حملها *
ولفته وركبت دابتها واخذته ولحقت اهلها * وكان في عسكره
نساء ولدوا في السفر * وبلغوا وتزوجوا وجاءهم اولاد ولم يسكنوا

الحضر * وكان في عسكره ثمانون صلحاء عباد * وزهاد اجواد
امجاد * لهم في الخيرات اوراد * وفي ورد هما صدار وايراد * دائبهم
خلاص مأثور * او جبر مكسور * او اطفاء حريق * او انقاذ غريق *
او اصطناع معروف * او اغاثة ملهوف * مهما امكنهم * ووصلته
اليه يدهم * اما بقوة ويد * واما بنوع خديعة وكيد * واما
بايهاب واستشفاع * او تعويض وابتياع * وكانوا سائرين معه
بالاضطرار * وذا اثرين معه لهذه المعاني بالاختيار * حكى لي مولانا
جمال الدين * احمد الخوارزمي احد القراء المشهورين المجودين *
وكان امام مجد سلطان في حيوته * وامام مدرسته بعد وفاته *
ثم خطيب بروسا وبها ادركته المنية * سنة احدى وثلاثين وثمانمائة *
رحمه الله تعالى قال كنت في سمرقند في مدرسة محمد سلطان *
اعلم ما يكتب اولاد الامراء القرآن * فارسل اليه جند الظلوم *
وهو متوجه الى بلاد الروم * ان يتوجه اليه * ويقد هو والامير
سيف الدين عليه * فامتثل ما به امر * واخذ في اعداد اهبة السفر *
وقال لي صبي مرافقك * واقطع علائقك * وخذ اهبة سفرك * واعمل

فصلحة رحلك وتفرك * ورافقنا في المرافقة * فان من حسن المرافقة
الموافقة * فاستحييته من الذهاب * وفتحت له في سب خوخة السفر
كل باب * فقلت له يا مولاي انا رجل من اهل القرآن والفاقة *
مالي بفتح باب السفر من طاقة * لاني ضعيف البنيان * رخو الاركان *
لا جلك لي على الحركة * وان كان في صحبة مولانا الامير كل خير
وبركة * خصوصا على هذا السفر البعيد الشقة * الكثير المشقة *
ومع كوني ليس لي على ذلك من طاقة * لاجول لي في مناخ السفر
ولا ناقة * واما انتم فالسفر عليكم حتم لازم * وحق ملازم * لا يسعكم فيه
التخلف * ولا يفسح لكم فيه المطل والتسويف * فلم يعفني * وتغلل لي
بعلل علمني فيها ولم يشفني * فلم ار بدا من الاستعداد * وتحصيل الرفيق
والزاد * ثم سرنا حتى وافينا جدة * وقد ركب في الجادة لجادة وجدة *
ورأينا من تلك العساكر * بحارا لا اول لها ولا آخر * ان انفرط احد
من سلك جماعته * وضل معتزلا عن سنن سنته * لا يضل اليهم
بالسرج والشمع * ولا يهتدي الى سنة جماعته الا ان كان يوم الجمع *
فبينا انا معهم اسير * واقل وهن مني العظم الكسير * واثر في التعب *

واخذ مني النصب والوصب * وملأت السرور * وعدمت الكرى *
نفضت يدي من الرفيق * واخذت طي فجوة من الطريق * فلما ان خلوت
هيئت بالقرآن العظيم وتلوت * ثم اشتهوا مني الذوق والشوق *
فحلقت بجراشيق حلقي الى فوق * وكان صوته اطيب من رقيق المقطوع
طي زخير الموصول * والذ من جمع شمول طي كاس شمول * بنسيم الشمال
معلول و برضاب الحبيب مشمول * قال واذا برجلين ضعيفين *
كالعود البالي نحيفين * اشعثين اصفرين * ذوي طمرين اغبرين *
بصرا بي عن جنب * وعلقا بي علوق الوتد بالطنب * فجعلا يراقبان احوالي *
ويستمعان اقوالي * فلما زمزمت زمزمتي * وكففت هيئتي * وكتمت
في خزانة صدري جواهر كلماتي * وختمت بطابع دعائي زواهر آياتي *
بكيا لمناجاتي * وامنا طي دعواتي * ثم اقبلا نحوي وسلما * واهتزا
لما سمعاه من تلاوتي وترنما * وقالا احيى الله قلبك كما احييت قلوبنا *
ومحوت بما سطرت في الواح صدورنا بحسن تلاوتك ذنوبنا * ثم انهما
آنساني بالخطاب * وجاريا بي بالسؤال والجواب * واذا هما من صميم
الجغتاي وخاص عسكر تيمور * ومن ضيضي التتار وسنخ الفتن

والشرور * ثم سألاني عن نجاري وجاري * وعن رفيقي في هذا السفر وجاري * فأخبرتهما عن منزلي ومحتدي * ومسقط رأسي من بلدي * وأني من أهل القرآن * وأني مع محمد سلطان * فقالا لي يا سيدنا الشيخ إنما جئنا إليك لتحسن إلينا * وإنا سائلوك عن شيء فلا تجد فيه علينا * فقلت قولا وطولا * فلن تجد اني ملولا * فقالا يا مولانا * هذا شيء يغنينا وإن كان قد عنانا * وكل من اشتغل بما لا يعنيه * فقد ترك ما يعنيه ووقع فيما يعنيه *

* شعر *

* ومن لم يعرف الخير * من الشر يقع فيه *

فبالله يا سيدنا قل * من أين تأكل * فقلت على خوان * محمد سلطان * فقالا ما نأكل هذا العسكر حلال * أم حرام ووبال * فقلت الغالب عليه الحرام * بل كله والله مظالم وآثام * لأنه من التاراج والنهب * والغارات والغصب * والاختلاسات والسلب * فقالا والله يا إمام * لقد أسأنا الأدب إذ واجهناك بهذا الكلام * ولكن أنتم أهل العلم * شيمتكم العفو عن الجاني والحلم * وأنتم أولى بجر الكسير وذي الأسير *

وتيسيرا لامر العسير * فقابل منا هذا الفحص بالصفح * ولا تعامل هذا
الالحاف باللفح * فقلت سلا * ولا تسلسلا * فقالا نسألك بالله
الذي اصطفاك لخزن كلامه * الذي تعبد به عباده وبين لهم فيه معالم
حلاله وحرامه * لا تؤاخذنا بما تهجمنا عليك به * فان الشيخ المرشد
كالوالد الشفوق لا يؤاخذ ولده بغلظة اده به * فقلت كلا سلا ما شئتما *
وسلسلا مهما اردتما * فقالا يا سيدنا اما كان لك منذ وحة عن
مرافقة هؤلاء اللئام * والتعفف بالحلال استغناء عن الحرام * فقلت
اني دخلت فيهم وانا مضطر * وخرجت معهم وانا كاره مجبر * واكرهني
محمد سلطان * وحاباني بما حباني من الاحسان * فصحبتهم وعين
ذاتي من كحل الراحة مرها * وحملتني فرسي في سفرهم كرها ووضعتني
كرها * فقالا ارأيتك لو امتنعت عن الخروج اكانوا يريقون دمك *
ويأسرون اولادك ويسبون حرمك * فقلت لا والله * وحاشا لله *
فقالا اكانوا يحبسونك ويضربونك * وفي مقام المصادرة يجلسونك *
فقلت انا امنع جنابا * ان يسومني خسفا وعذابا * لاني حافظ
القرآن * والقرآن حافظي من هذا الخسران * قالا نغاية فعلهم

منك * اذا رأوا تعززك وتمنعك * انهم كانوا يشتمونك * ويعيبون
الى معلومك فيقطعونك * ويتخطون عليك * ويمنعون رزقهم الواصل
اليك * قلبت ولا كانوا ايضا يفعلون كذا * وتعززي وتمنعي بما يحط من
مكانتي عندهم الى هذا الاوان * ولكنهم حابوني فاستحييت * او خادعوني
فانخدعت ولينتني ابيت * فقالا لا يصلح هذا لك على راحتك * ولا يسلك
بك الى صحة الاعتذار بين يدي الله تعالى سواء الحجة * فهلا جلست
في مكانك * واشتغلت بتلاوة قرآنك * ومطالعة علمك ومباحثة
اخوانك * وفرغت يديك عن الكلال * وملأت بطنك من الحلال *
واحتميت في حمى دينك عن هؤلاء اللئام * واستراحت من
الاضطرار الى تناول الحرام * مع انا سمعنا من امثالكم * ما قل ودل به
في امثالكم * اهل القرآن وقاصته * اهل الله وخاصته * وانهم
عتقاؤه بين خلقه * وبركاتهم ادرار سحاب رزقه * وان السلاطين *
ملوك الناس اجمعين * وانكم انتم ملوك الملوك والسلاطين * واذا
اعتقكم الله واعفاكم الناس * وصرتم لانسان العالم بمنزلة القلب
والكبد والرأس * ولم يبق لاحد عليكم سبيله * ثم القيتم انفسكم

يايديكم الى هذه الورطه * وقعتم على التهالك تهافت الفراش على النار *
وتشبثتم مع كونكم قادرين على الخلاص باذيال الضرر والاضطرار *
فكيف يصح هذا الاعتذار * وانى ينجيكم هذا العذر من عذاب الملك
الجبار * وهل صرتم الا
* كما قيل *
* معاشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد *
فقلت اما اذ احررتما القضيه * فكلنا في هذه المصيبة سويه * مصراع *
بي مثل ما بك يا حمامة فانديي
* وقيل *
* بي مثل ما بك يا حمام البان * انا بالقدود وانت بالاغصان *
فبكيا وانتحبا * وتأوها والتهبا * وتنفسا تنفس الصعدا *
وقالا اين ما بين قصتنا وقصتك في المدى * فوربك الخافقين * ان بين
القصتين لبعد المشرقين * ولكن ما للمقال مجال * وما كل ما يعلم
يقال * واين السر من الاعلان * وان الحيطان لها آذان * فقلت
هذا ايضا ليس بحجه * فلا تعدلا عن سواء المحجه * فقالا نحن المضطرون

جبرا * المأخوذون قهرا وقسرا * وانا مكتبون في الديوان * مضافون
الى واحد من اعيان الاعوان * اذا ورد علينا مرسوم بالبروز *
في يوم عيد مثلا او نوروز * ويكون الخروج وقت الظهر * وتأخر منا
واحد الى وقت العصر * لم يكن له جزاء فيما ارتكبه * الا الصلب او ضرب
الرقبة * فضلا عن ضرب وشتم وشناعة * او رفع عدل او تقديم
شفاعة * واين انت عن قعود ما او تخلف * او استتار بذيل توار او توقف *
فنحن مد الدهر لمثل هذا مستوجبون * وعن مثل ما جرى على اضرابنا
من هذا البلاء متحرزون * مصبحون ابدا لما اشار وما امر * عاملون
بمقتضى رحم الله من رأى العبرة في غيره فاعتبر * ويا ليتنا امكننا التحويل
عن مملكته * والرحيل عن اقليمه ولايته وسلطنته * وكيف لنا بذلك
وهي مسقط رأسنا * ومحل اناسنا ومحط اناسنا * وايلاف رحلتنا *
ومزدرعات معيشتنا * ومدرج آبائنا ومخرج ابنائنا * ومقام قبائلنا
وعشائرنا * ومثابة قاطبتنا وغابرنا * ولوغاب من هوام قبائلنا جل جل *
فضلا عن بلبل او هدهد * لجحف الباقين سيل الظالم والحيف * ولتحكم
في رقاب سائرنا صائل الموت بالسيف * واما اذا برزنا وعزمنا *

على المسير معه وتجهزنا * فنسأل كم سنة نغيب * واي جهة يريد ذلك
المريد المريب * فنأخذ اهبتنا لذلك المقدار * وكل منا ابن عم الآخر
وجار * وله جراب فيه سويقه * ومعه كلفة نفسه وفرسه وعلبقه *
يصوم مع الدهر ويفطر على ما يسد الرمق * ويلبس ما يستر العورة
من رث الثياب والخلق * كل ذلك من زرع ايدينا وكدنا *
وما بذل لنا فيه من عرق جبيننا والحلال غاية جهدنا * لا نتعرض لمال
احد ولا لعرضه * ولا نقف في طريق ابرامه ولا نقضه * ولا لاحد
عندنا نشب * ولا بيننا وبين احد علاقة ولا سبب * ولكن يا مولانا
البلاء العام * والمصاب العام * ثم رقصا رؤسهما يمينا وشمالا *
وارتعدت فرائصهما مهابة وجلالا * وابيضت شفاههما * واسودت
جباههما * واخذا في البكاء والعويل * وانتحبا الانتحاب العريض
الطويل * فوالله لقد ذابت نفسي لديهما * واستصغرت كبار
المشائخ بالنسبة اليهما * وتفكرت فيما دهاهما من شدة الامر *
وعلمت انهما هما القابضان بكفيهما على الجمر * ثم تأوهت آها بعد آه *
وقلت بالله يا اخوتاه * وما هذا البلاء العام * والمصاب العام * الذي

ذكرتماه * قالا خيولنا رموا شيئا * وحوامل مهادنا وغواشينا *
نرفق بها في التحميل * وما نركبها الا وقت الاعياء في الرحيل *
وامر قصيمها اقصم ظهورنا * واعجز امورنا * واضطرنا الى الخوض
في دماء المسلمين واموالهم * والجانا الى رعي زرعهم وتحمل وبالهم *
وما تدري كيف الخلاص * وانى تنجو من ذا المقنص * فبالله يا سيدنا
الشيخ هل تجد لنا في هذا الامر الغالي رخصه * او هل من قطرة برود
تطفئ هذه الحرارة وتسكن شرق هذه الغصة * فقلت لا والله * الا عناية
الله * وايم الله لقد اشمعتماني شرا * وجرعتماني صبرا ومقرا *
واوسعتماني نكدا وضرا * وكان هموم ما بي * من نصبي وعذابي *
يكفيني * الى يوم تكفيني * فقد زدتماني بلاء على بلائي * وعناء على
عنائي * فبالله من انتما وما اسماؤكما * وفي اي قطر ارضكما وسماؤكما *
ومع من انتما فحييتما ما حييتما * فخبراني ولا تحيراني لا جرم
في كل رقت البلما * وافوزا بالسلام عليكما فقالا يا مولانا * الحمد لله
الذي بر رويتك خبرنا * ان معرفتنا لا تجديك شيأ ولا تبرك * وعدم
المعرفة بنا لا يؤذيك ولا يضرك * والغائب من ظننا يا مولانا انك بعد اليوم

لَنْ تَرانا * وإن قُدِّرَ اجتماعٌ فنحنُ نسعى على رُؤسِنا إليكَ * وخليفتُنا

اللهُ والسلامُ عليكَ * ثم ودَّعاني وما وَقَفا * وأودَّعاني إليمَ الفِراقِ

وانصرفا * هذا من البحرِ قَطرَةٌ * ومن الطَّودِ ذَرَّةٌ * ونسألُ اللهَ سبحانَهُ

وتعالى أن يصونَ عن الزَّلَلِ أقوالَنا * وعن الخَطَلِ والخَلَلِ أفعالَنا

وأحوالَنا * وحَسْبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ *

* خاتمة الكتاب *

* * *

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ * الحمدُ للهِ الذي أدَّبَ عبدَهُ أحمدَ فأحسنَ

تأديبَهُ * وخَصَّهُ إذ رَبَّاهُ يتيمًا وأنشأهُ غريبًا بكلِّ يتيمةٍ غريبةٍ * وأظهرَ له

في بيانِ بديعِ المعاني منهجَ كلِّ فنٍّ وأسلوبَهُ * فأعجبَ أهلَ زمانِهِ

إذ أعجزَهم بما أتاهم بهِ من كلِّ أعجوبةٍ * أحمدُهُ حمدًا اقتقتْ في رياضِ آلائِهِ

أنوارُ فصاحتِهِ * وأشكرُهُ شكرًا تعبقتْ في رياضِ نعمائِهِ أزهارُ بلاغتِهِ *

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةً طابقَ خبرُها الواقعَ

والاعتقادَ * وأُسنِدَتْ إلى حقيقةِ الصدقِ فصارتْ حقيقةَ الإسنادِ *

فتمنطقَ الإيمانُ بأقوالِها * وتعلَّقَ الإسلامُ بأفعالِها * وأشهدُ أن سيدَنا

محمد عبده ورسوله الذي انشأ اخبار بعثته على التوحيد * وقصر
فصل رسالته على وصل الاخلاص بالتعبيد * صلى الله عليه صلوة
باقية ببقاء اعجازه * موصولة بطنب الاطناب وصل فصيح الكلام
بايجازه * وعلى آله واصحابه شموس سماء الفصاحة * وبدور
افلاك البلاغة * وسلم تسليما كثيرا * اما بعد فيقول العبد المفتقر
الى مولاه * المعترف بتقصيره وخطاياه * المغترف من بحار كرمه وعطاياه *
الراجي في حدائق المغفرة ثمرة العفو مما جناه * احمد بن محمد بن
عبد الله الحنفي مذهبا * العجمي لقبا * الانصاري نسبا * الدمشقي
مولدا * البيتي معتقدا * عامله الله بما كان اهله * وحفظه عليه
دينه وعقله * لما كانت الدنيا دار انقلاب * ومحل تغير واضطراب *
قدمت على الاخرى للاكتساب * امل الجزيل الثواب * واما لوبيل
العقاب * وكان سيرها سريع الاختفاء * واذا مات ابن آدم
انقطع عمله الا من ثلاث * اردت ان يخلد لي ذكر * ويحول لي
في خواطر الآخرين فكر * لعل رحمة تتبعني * او دعاء صالحا ينفعني *
فناديني لسان الحال * عالا خير عندك تهديها ولا مال * واما

الا ولادفليت صالحيهم كفاني شره * وزاد في حيوتي نفعه وضره *
فلم يبق الا علم ينفع * او فائدة ترفع * وقد صنف العلماء في كل فن
من العلوم ما بلغوا فيه الغاية * وقد رجوا في تقريره وتحريره من البداية
الى النهاية * وعينوا معانيه متونا وشروحا * وبينوا فحاويه خفاء
ووضوحا * مع ان دروس العلوم قد درست * وحدائق رياضها ذبلت
ويبست * وصار الكلام فيها عيا * والمستوي في تحقيقها وتدقيقها نيا *
ولم يبق لطالب العلم به انتفاع * الا انه اذا احتاج الى القوت عرض
كتبه لتباع * غير ان بعض كبراء العصر * ورؤساء الدهر *
وبقايا الاكياس * متشوقون لتواريخ الناس * ومتطلعون لمعرفة
احوال من ساس * من ذئب وراس * ومستشرفون لسالف
الاخبار * كيف كان امر الناس وصار * ولم يكن فيما مضى *
من هذه الامة وانقضى * من متغلبيها وبغاتها * ومتمرديها وطغاتها *
مسلميها وكافرها * مقسطيها وجائرها * عاتيها وموانيها * مصادقها
ومعاديها * صالحيها وطالحيها * سانحيها وبارحيها * غابرها وداجيها *
عابرها وخارجيها * مثل تيمور الاعرج * ولا اعبر منه في العتو

ولا أخرج * سيرة كلها عبر * وكل عبرة منها فيها سير * امورة اظهر من أن تخفى * وما اضرمه من فتائل الفتن شرقا وغربا اعظم من أن يطفا * فقصدت ما ذكرته * وذكرت ما قصدته * وتوخيت الافادة والاعتبار * لا التفاخر والاشتهار * فاعترضتني نوائب الخطوب * وكثرت دون مرامي انياب القلوب * وجبهتني يد الردع * وصدمتني قارعة المنع * بأن اكبر الكبائر * في هذا الدهر الداثر * أدب اديب * او فضل أريب * او عالم لاسيما غريب * لقد كرهة الاديب والفقيه * كراهية التحريم لا التنزيه * وقد تقررهذا في الاذهان ورسخ * ولهم الذنب اذ يذاهم اوكتا وفوههم نفخ * ثم ذكرتني شانبي * وخاطبتني بلساني *

* شعر *

* اتصرف غض العمر في طلب العلى * فتظمني اكماد او تسهرا عينا *
* تقاسي صروف الدهر فقرا وغربة * وبعدا عن الاوطان للقلب موهنا *
* وعيلة اطفال ضعاف كأنهم * جوازل رغب انهكتها يد الضنا *
* ففي مثل تلك الحال ما كنت ضائعا * وكنت بنفس فقرها واسع الغنى *

* الى ان حباك الله فضلا ورفعة * وحزت فنونا من علوم لها سنا *
* فصرت عزيزا في البرايا مكرما * وطار الى الآفاق من هيبتك الثنا *
* وقد سل فوق الرامس سيف مشيبه * وهل بعد هذا غير معترك الفنا *
* اتخشى ضياعا بعد ذاك وعيلة * فترهب من فقر وترغب في الدنا *
* فتبذل وجها طالما صنت ماءه * لك الله لا تفعل وكن متمكنا *
* وهل في الورى من يرتجى لملمة * وان قيل من للمكرمات يقل انا *
* فصن عن جميع الخلق نفسك واتكل * على الله مولى لم يزل بك محسنا *
فما ثم ذو فضل بصدر منشرح * فحط عنك واستريح * فتضاعف الحال
تشتيتا * وزاد الكبد تفتيتا * وارتبكت في عزمين * واشتبكت بين
همين * بين ان اسكت فاضيع * او ان اقول فلا يسمع * فقلت
رجلا واخرت اخرى * واستنهضت جواد فكري كرا وفرا * فتواني
صدق النية فيما هممت * وخلوص الطوية على ما عزمت * وجمعت
من بال متفرق * والفت من فكر متمزق * من قضايا تيمورا الطويلة
العريضة نبذة * وجبذت بكف الافكار من حكاياته جبذة * فثلثت
في بيانها من بديع المعاني الجمة * وسللت وقد صرفت لتومشرق

النطق عنان الكلام عضبه وشحذت غربه * فجاءت بحمد الله تعالى

طريفة المعاني كاملتها * لطيفة المباني فاضلتها *

قلت في مرآة الادب *

* يا لفاظ الحاظ تشير الى النهى * تعلم فن السحر كيف يكون *

حوت دقة الغزل ورقته * ورياقة الغزل ورقته * ولطافة الادباء *

وظرافة الشعراء * وفصاحة البلغاء * وبلاغة الفصحاء * وحقائق

الحكماء * ودقائق العلماء * مع الامثال الفائقه * والاستشهادات

اللائقه * والاستطرادات الرائقه * والتشبيهات الغريبه * والاستعارات

العجيبه * ونوافث السحرة من علماء البيان * ونوادر المهرة

من ارباب الديوان * ومزجت جليل التحسس فيها برقيق التغزل *

ونسجت جديد الجد بمعتق التهزل * وطرزت طلع ذلك كله باعلام

الآيات الشريفه * ونقوش الاحاديث الكريمة المنيفه * اصبت

بكل ذلك محز القصد * وطبقت بحسامه مفصل الضرب *

* قلت في مرآة الادب *

* كأن النهى قد كان عني ناعسا * فمر على اذنيه ما اتلفظ *

* فذ اق لهذ الشهد صدق حلاوة * ففتح عينيه و جا يتلمظ *
فمن اراد النزهة فى التوا بع فعليه بمداومة تكرارها * ومن قصد
التفكه فى رياض الانشاء فليقتطف من يهيي ازهارها * ومن سلك
طرائق الادب فليجن من حدائقها جناتها رها * ومن رام التسلق
الى ذروة العلوم فليتشبث باذيال اسنادها * ومن طلب الاعتبار
بتقلبات الزمان فليتاءمل حقائق اخبارها * ومن اعتنى بسياسة
الملك فليتدبر دقائق اسرارها * مع انى لم اوفها حقها فى التهذيب *
ولم تزل استحقاقها فى حسن الترتيب والتشذيب * لان الكلام كالدر
المنتظم * والدر المنسجم * لابد ان يتعانق لفظه ومعناه اولا وآخرا *
ويتطابق عبارته وفحواه باطنا وظاهرا * والا اختل نظمه * واعتل
فهمه * وانحطت منزلته * وسقطت من سلم الفصاحة درجته *
وهذا المحتاج الى تحرزهن صاف * ومعين علم بكفالة ما يتم به عقود
جواهره واف * وذوق احلى من العسل * وفكر امضى من الاسل *
ويحتاج كما قيل الى حاضر من التوفيق ومعاون صالح من النية * فان
غروب الالسنة ربما جاوزت الى ما يثبت على القائلين الحجة * ومن لى

بذلك * وانى يتيسر لي سلوك هذه المسالك * وكنت طالما افوق
سهم النظر فى بيداء التأمل نحو قنص معنى دقيق * واصوب غواص
الفكر فى دأماء التدبر الى جوهر قصيد رقيق * حتى اذا قلت فاز
القداح * وحاز الغواص * واذا بقاطع الشواغل قطع بترس الشواغل
والحوادث على سهم خاطر الطريق * وبتمساح الهموم التهم غواص
مكرى فاذا هو فى بحر الغموم غريق * فتستند فى وجه قصيد المسالك *
واصير من نهار ازهر الى ليل حالك *

* قلت *

* فانى انتقي للنظم درا * ولم تظفر يدى منه بودعه *
لكن لما كان الشروع ملزما * واتمام ما شرعت فيه متحتما * لم اريدا
من اتمام ما استهديته * واضاء ما انميته * فصرت فى وعوره اقع
واقوم * وفى بحوره اغطس واعوم * ان راق راكد الخاطر *
او حمى الفكر الفاتر * تذكرت من الكلام اوائله * والتقطت بكل منه
ما شاكله * واذا ازعجه من الزمان الجفا * تكدر منه ما صفا *
وتبلدت الافكار * وتولدت الاخطار * وتباوى عند بصر

البصيرة الليل والنهار *

* قلب *

* اكمل كل سطر بعد شهر * وابني كل بيت بعد عام *

فلا اضع المحمول الا وقد حمل الموضوع * ولا اذكر الخبر الا وقد نسي

المبتدا *

* قلت مضمنا شعرا *

* والفكر كالبحر يبدي لي جواهره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر *

فتنتخرم القاعده * ويختلط راس المال والفائده * فقل لي انى ينتظم قال *

وقد انفرط نظام الحال * هذا وان الكلام له مقامات * وكل

من الفصاحة والبلاغة درجات *

* قلت قديما مترجما *

* ما استوى في موقف افصاح منطيق ولوذ *

* قد عجبا سحبان وائل امعي الاصمعي *

* فافتكر فيما ترى في منزل اعمى الورى *

* هل ترى بيت تجاذ * قيل يا ارض ابلعي *

واين من يوفي المقاماتِ حقها * ويعطي كلَّ مستحقٍ منها مستحقها *

ولقد سلكتُ في هذا الكتابِ مسلكَ ابناءِ العصرِ * وطريقةَ اولادِ الدهرِ * فانَّ الناسَ بزمانِهم * اشبهُ منهم بآبائِهم * ولو اخذتُ فيه اخذَ العربِ العرباءِ * والبستهُ في الفاظِهِ ومعانيهِ ثوبَ الاستعصاءِ والاباءِ * فابرزتُ ما قصدتهُ من المعاني الجزلةِ العجيبهِ * في قوالبِ فخلةٍ غريبهِ * لما التفتَ اليه * ولا عوّلَ لقصورِ الهممِ والافهامِ عليه * ولما كانتِ المجازاتُ المشهورهُ * خيراً من الحقائقِ المهجورهِ * والغلطُ المستعملُ * اولى من الصوابِ المهملِ * ابرزتها في اشاراتٍ رشيقهِ * وعباراتٍ رقيقهِ * وعملتُ في بعضِ المواضعِ بقولهِ *

* شعر *

* عمداً اكسرُ مرهفاً مغشوزا * ولو اشاءُ حكتهُ مُحبرا *

* وقد قيل *

* اذا احسنتُ في لفظي قصورا * وخطي والبراعةَ والبيانَ *

* فلا تعتبْ لفهمي ان رقصي * على مقدارِ ايقاعِ الزمانِ *

ثم ان بين هذا الكتابِ * وبين ما صنعهُ قبلهُ ذوو الآدابِ * لبوناً

مذيل * وامدّ بعيد * بوجوه منها ان زمانهم كان بالرّفاهية يساعد * وانا في عصر لا ساعد لي فيه ولا مساعد * ومنها انّ وقتهم كان فيه من يربّي الفضل واهله * ويحلّ كلّا منهم محلّه * من الملوك والاكابر * وذوي الفضائل والمآثر * وارباب المناصب والمفاخر * واقلّ من فيهم كان يحبّ السّماع * ويميل الى الفضل والادب بالطّباع * فكان الفضل فضيلة * والادب خصلة جميلة * واما الآن * فقد انقلب بأهله الزّمان * فصار حامل الفضل والادب من رهطه * والمنتظم من العلم في سلكه وسمطه * كأنّه سارق عملته تحت ابطه * ومنها ان الافهام كانت مدركه * والكلمات كلّ لك قريحة المتكلّم متحرّكه * ولقد صارت الافهام جامدة * والقرائح خامدة * ونارها هامدة * ومنها انّ غالب ما صنّف اخباره كاذبه * وسهام اغراض غيره صائبه * لانّه لا واقع يطابقه * ولا خارج يوافقه * فعمد مصنّفه الى ما عقدته مخيلته * وتوهّمته مفكّرته * فالّف حسبما اراد * واسّس على مقتضى اختياره ما شاء وشاد * واما هذا الكتاب فاخباره صادقه * وكلماته بالصّدق ناطقه * اذ هي في الواقع للخارج مطابقه * فابدا ما منشئ

الخاطر واعاده على طبق ما اريد منه ووفق ما اراد * وليتني
في هذا وهذ كفافا * من خيرها وشرها معافى * ولئن ساعد الزمان
بترفيه الحال * وخلا من سكان الهموم ربع البال * لا تبعثن آثاره *
ولا ستزن بقدر الامكان موارده * ولا يذل الجهد في ترفيه *
واصلاحه وتنقيحه * والا فالصفح مأمول * والعذر عند ذوي
الناس مقبول * والمسئول من صدقات ذوي الادب * البالغين
في البلاغة اعلى الرتب * ان يسبلوا ذيل الاغضاء عليه * وينظروا
بعين الافادة والاستفادة اليه * ويقيلوا العثار * ويقبلوا الاعذار *
فيشدوا اسره * ويجبروا كسره * ويرقعوا خلله * ويحققوا امله *
راجين من لطف الله ما ارجوه منهم * لعل الله سبحانه ان يعفو عني
وعنهم * مع انا كلنا في الهوى سوا * وانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ
ما نوى * الحمد لله حمدا يملأ ارکان الامكنة * ويعطر خياشيم
الازمنة * وصلى الله على سيدنا محمد صلوة تبلغ قائلها مأمنه *
وتحله بشفاعته في جنة الفردوس الاعلى مسكنه * وعلى آله واصحابه
الذين استمعوا القول فاتبعوا احسنه * ونستغفر الله من حصائد الالسنة *

وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل * ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم *

قد انتهت طبع هذا الكتاب المنطاب بغفران الله الملك الوهاب
من دار الامارة كلكتة تماريخ شهر ذي الحجه سنة الف
وماتين وسبعة وخمسين من هجرة النبي سيد الانام عليه
الوف الوف التحية والسلام * والحمد لله اولا وآخرا *

صحيح	غلط	سطر	صفحة
اسمه	سمه	١٥	٣
جلدا	غلدا	٥	٦
تكثرت به	تكزت به	٦	١٠
مصونه	عضونه	١٤	١٦
اجوز	اجوز	١٣	٣٨
الغير المرد	غير المرد	٣	٥٣
علي	علي	١٢	٥٥
آخا	أخا	٥	٧١
وزعوا	وزعوا	١	٨٦
فاخر	فاخز	٦	٣٢٠
الرؤس	الرءس	٢	٣٢١

نائب عجائب المفدو رفي اخبار تيمور للفاضل الأديب الكامل

لاريب وحيد عصره وفريد دهره اقضى القضاة شهاب الدين

محمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي الانصاري المعروف بابن عربشاه طيب الله ثراه ❁

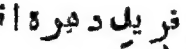

اهتني بطبعه الحقير الفقير احمد كبيرا منيا لالا مر كميتي مرة بعد

اخرى باعانة مولاء العظام المولوي محمد وجيه والمولوي

محمد بشير الدين والمولوي نور الحق والمولوي حافظ

محمد مرتضى والمولوي محمد مظهر والمولوي

عجيب احمد والمولوي يار علي برد نوي

ثم الدهلوي والمولوي غلام حسين

والولي زهيد النبي غفر الله

ذنوبهم وستر عيوبهم

سنه ١٢٥٧

هجريه